

العبادات في الإسلام

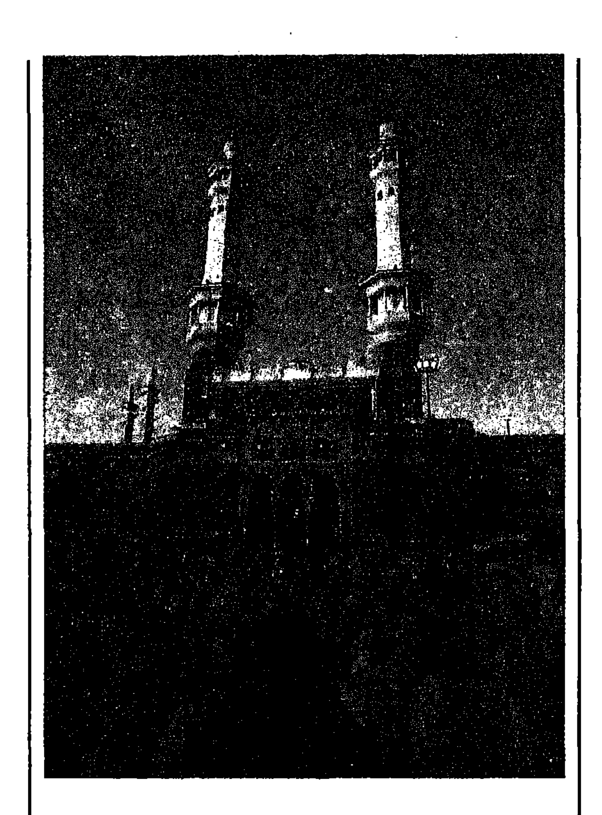
"بحوث وفتاوى"

أ.د/ محمد سيد أحمد المسير



العبادات في الإسلام

« بحوث وفتاوى »



أ. د. محمد سيد أحمد المسير



بسم الله الرحمن الرحيم



اسم الكتاب :	العبادات فى الإسلام «بحوث وفتاوى».
اسم المؤلف :	أ. د. محمد سيد أحمد المسير.
إشراف عام :	داليا محمد إبراهيم.
تاريخ النشر :	الطبعة الأولى يناير ٢٠٠٣
رقم الإيداع :	١٩٣٩٨/ ٢٠٠٢
الترقيم الدولى :	ISBN 977 - 14 - 2038 -0
الناشر :	نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
المركز الرئيسى :	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة مدينة السادس من أكتوبر تليفون : ٨٣٣٠٢٨٧ - ٨٣٣٠٢٨٩ / ٠٢ فاكس : ٨٣٣٠٢٩٦ / ٠٢
مركز التوزيع :	١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة. تليفون : ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢ فاكس : ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص . ب : ٩٦ الفجالة - القاهرة.
الإدارة العامة :	٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة Publishing@nahdetmisr.com ت : ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ فاكس : ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ص . ب : ٢٠ إمبابة .
موقع الشركة على الإنترنت	كافة إصدارات شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع تجدونها على موقع الشركة بالعنوان التالى www.nahdetmisr.com الرقم المجانى 07775666

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى...

أما بعد..

فالفقه فى الدين عطاء إلهى يمنحه الله تعالى للمصطفين من خلقه، وهذا الفقه له دلالتان :

الأولى : الفقه العام الذى يعنى الفهم الصافى لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، عقيدة وشريعة، مقاصد وغايات، وهذا هو المراد من قول رسول الله ﷺ - فى الحديث المتفق عليه :

«مَن يُرِدِ اللهُ بهِ خَيراً يفقِّههُ فِى الدِّينِ».

الثانية : الفقه الخاص الذى يعنى معرفة الحلال والحرام من أمور التشريع، وهو المراد عند الإطلاق فى إطار مجموعة العلوم الإسلامية، وهو ينقسم - فى اصطلاح الفقهاء - إلى عبادات ومعاملات..

وتشمل العبادات الصلاة والزكاة والصوم والحج.

وتشمل المعاملات البيوع والأنكحة والأقضية والشهادات والأيمان والنذور والجهاد..

وتتعدد المذاهب الفقهية حول الأحكام العملية، فهناك فقه سنى وفقه شيعى..

وأشهر مذاهب الفقه السنى :

- مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ - ١٥٠هـ).
- مذهب الإمام مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩ هـ).
- مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠ - ٢٠٤ هـ).
- مذهب الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ).

وهذا الكتاب الذى نقدمه اليوم بعنوان «العبادات فى الإسلام - بحوث وفتاوى» ينتسب إلى الفقه الخاص بمعرفة الحلال والحرام فى الصلاة والزكاة والصوم والحج..

وهو كتاب يتوخى مقاصد الشريعة، ويحرص على بيان حكمة التشريع ويقدم أهم المسائل الفقهية من خلال النصوص الشرعية، ويهتم بالآراء الفقهية الميسرة، ويبرز الأحكام التى تلبى حاجة الناس وسلوكيات البشر..

والكتاب قائم على أربعة أبواب وثمانية فصول..

الباب الأول: الصـــــلاة: (بحوث وفتاوى)

وتكلمنا فيه عن طهارة المسلم، وفرضية الصلاة، ومشروعية الأذان، وصلاة الجمعة، ونوافل الصلاة التابعة للفرائض أو المستقلة عنها، وصلاة الجنازة والعيدين والكسوفين و الاستسقاء.

ثم أوردنا فتاوى الصلاة التى تلبى حاجة المسلم اليومية كى تصح عبادته ويؤدى الصلاة كما أداها رسول الله ﷺ.

الباب الثانى: الزكـــــاة: (بحوث وفتاوى)

أبرزنا دور الزكاة فى الاقتصاد الإسلامى، وفلسفة الميراث فى الإسلام، ودور العقيدة والأخلاق فى محاربة الفساد الاقتصادى، ثم سقنا فتاوى تتعلق بالزكاة والأموال..

الباب الثالث: الصـــيـــام: (بحوث وفتاوى)

تحدثنا عن منهج التربية فى الصيام، والجهاد فى رمضان، والآثار النفسية للاعتكاف، وتفسير سورة القدر، والبعد الروحى للأعياد،

وأثر صلاة العيد فى الصحة النفسية.

وعقب ذلك جاءت فتاوى الصيام وآدابه.

الباب الرابع: الحـــج: (بحوث وفتاوى)

تكلمنا عن الحج فى فضائله النفسية، ودلالته على عزة المسلمين، وأثره فى تنمية الوعى، وتأكيده لقوة الرحماء، وحكمة الحج فى ميقاته وأركانه وشعائره، وفضل زيارة المسجد النبوى الشريف، ونفحات الله تعالى فى عشر ذى الحجة، وفضل يوم عرفة، وثواب الأضاحى..

وختم الباب بفتاوى تنير السبيل لضيوف الرحمن..

والله نسأل حسن العمل، وحسن القبول، وحسن العاقبة..

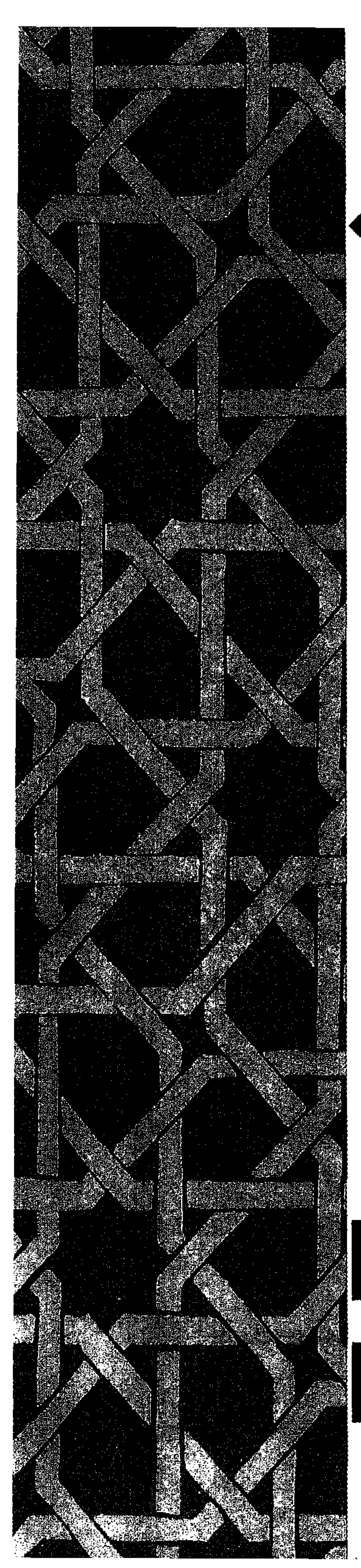
﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

أبو حذيفة
أ.د. محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر

القاهرة ٢٣ من المحرم ١٤٢٢ هـ
١٧ من إبريل ٢٠٠١ م

(١) سورة الزمر: الآيات (١١، ١٢).







١

الباب الأول

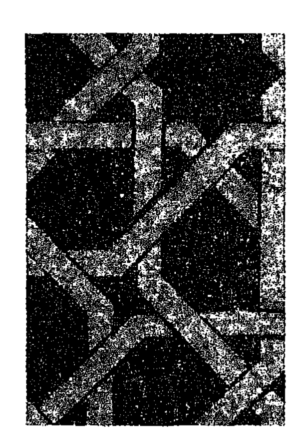
الصلاة

بحوث وفتاوى

١ بحوث فى الطهارة والصلاة

٢ فتاوى فى الطهارة والصلاة





١ بحـــوث فـــى الطهـــارة والصـــلاة

الغـــرّ المحجلـــون

الوضوء سلاح المؤمن، وحياة المسلم قائمة على طهارة الاعتقاد والسلوك، ونظافة الظاهر والباطن، كما قال عليه الصلاة والسلام - فى صحيح الحديث : «الطُّهورُ شطرُ الإيمان».

وكان من معالم التربية والإعداد الإلهى لسيدنا محمد ﷺ - الطهارة وإقامة الصلاة، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [(١)].

وللوضوء - بوجه خاص - منزلة سامية وثواب عظيم فى الدنيا والآخرة، ففى صحيح مسلم بسنده عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبدُ المسلمُ أو المؤمنُ، فغسلَ وجهه خرجَ من وجهه كلُّ خطيئةٍ نظرَ إليها بعينيْه، مع الماءِ أو مع آخرِ قطرِ الماءِ».

فإذا غسلَ يديه خرجَ من يديهِ كلُّ خطيئةٍ كانَ بَطَشتها يداه، مع الماءِ أو معَ آخرِ قطرِ الماءِ.

فإذا غسلَ رجليهِ خرجت كلُّ خطيئةٍ مشتها رِجْلاهُ، مع الماءِ أو مع آخرِ قطرِ الماءِ، حتى يخرجَ نقياً من الذنوب»..

وفى رواية : «أن عثمانَ بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توضأ ثم قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ

(١) سورة المدثر : الآيات (من ١ إلى ٥).

توضأ مثل وضوئى هذا ثم قال : مَنْ توضأ هكذا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاتُه ومشيهُ إلى المسجدِ نافلةً».

وهناك أحاديث صحيحة تصور نعمة الله تعالى على المتطهرين يوم البعث والنشور منها :

ـ عن أبى هريرة ﷺ : «أن رسولَ الله ﷺ أتى المقبرةَ فقال : السلامُ عليكم دار قومٍ مؤمنين، وإنا إن شاءَ اللهُ بكم لاحقون، وددت أن قد رأينا إخواننا.

قالُوا : أو لَسنا إخوانَك يا رسولَ الله؟!

قالَ : أنتم أصحَابى، وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعد.

قالُوا : كيفَ تعرفُ مَنْ لَمْ يأتِ بعد من أمتِكَ يا رسولَ الله ؟

فقالَ : أرأيتَ لو أن رجلاً له خيلٌ غُرّ محجلة، بين ظهرى خيلٍ دُهمٍ بُهمٍ[1].. ألا يَعرفُ خيلَه؟!

قالُوا : بلى يا رسولَ الله.

قال : فإنهم يأتون غُرّاً محجّلِين من الوضوء، وأنا فرطُهُم[2] على الحوضِ». والغُرة بياض فى وجه الفرس..

والتحجيل بياض فى قوائمه، وذلك مما يكسب الفرس جمالاً وحسناً..

فشبه النبى ﷺ النور الذى يكون يوم القيامة فى أعضاء الوضوء بالغرة والتحجيل للفرس، ليفهم أن هذا البياض فى أعضاء المسلم مما يزيده حسناً ويزينه جمالاً، وليس ناشئاً عن مرض جلدى..

ـ وفى حديث آخر متفق عليه، يقول عليه الصلاة والسلام : «إن أُمتى يُدعَون يومَ القيامةِ غُرّاً مُحجّلين من آثارِ الوضوءِ، فمنِ استطاعَ أن يُطِيلَ غُرَّتَه فليفعلْ».

ـ وفى حديث آخر لمسلم : «تبلغُ الحليةُ من المؤمن حِيثُ يبلغُ الوضوءُ».

والحلية ما يُحلى به أهل الجنة من الأساور وغيرها..

ففى هذه الأحاديث وغيرها تنويه بعظم شأن هذه الأمة المسلمة وفضل الله

(١) الدُهم البُهم : الشديدة السواد.
(٢) أى سابقهم ومنتظرهم.

عليها فى هذا اليوم المشهود والمجموع له الناس، فإن أمة الإسلام تمتاز عن أهل المحشر بالنور الساطع المتلألئ فى أعضاء الوضوء..

وهنا يعرف الرسول ﷺ أمته التى أجابت دعوته وصدقت رسالته وجاهدت فى الله حق جهاده..

ولقد منح الرسول ﷺ أتباعه الذين لم يشاهدوه فى الدنيا لقب الأخوة وتمنى لقاءهم..

وهذا الشرف مما يحمّل المسلمين أمانة عظمى فى الاستمساك بدين سيدنا محمد ﷺ وتبليغه للعالمين..

وليست هذه الخصائص مدعاة للكسل والتراخى، وترك الدنيا وهجر الحياة وإنما هى دوافع قوية لعمل صالح وجهاد متواصل حبّاً لله ورسوله، وعمارة للكون وزاداً للآخرة.

***

والوضوء واجب للصلاة، وهو يستوعب أعضاء الجسم الظاهرة، وقد حددها القرآن المجيد فى قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾(١).

وحث الرسول ﷺ على الحفاظ عليه وأدائه بإتقان مهما كانت موانع النفس من كسل أو مغالبة نعاس، وموانع الطقس والمناخ من شدة برد أو حر، فقال عليه الصلاة والسلام : «**ألا أدلُّكم على ما يمحُو اللهُ بهِ الخطَايَا ويرفعُ الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال : إسباغُ الوضوءِ على المكارهِ، وكثرةُ الخُطا إلى المساجدِ، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ، فذلكم الرباطُ، فذلكم الرباط**» رواه مسلم.

ومعنى قوله «فذلكم الرباط» أى أن ذلك لون من ألوان الجهاد فى سبيل الله والاستعداد له، فإن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، وهو مقدمة ضرورية لجهاد الأعداء.

وأوجب الإسلام كمقدمات للصلاة ما هو معروف فى الفقه الإسلامى

(١) سورة المائدة : الآية (٦).

بالاستنجاء، وهو إزالة أثر الفضلات الخارجة من القبل والدبر، الأمر الذى يرتفع بالإنسان عن مستوى العجماوات..

ولقد نهانا رسول الله ﷺ - كما يقول سلمان الفارسى وأخرجه مسلم :

«أن نستقبلَ القبلةَ لغائطٍ أو بولٍ، أو أن نستنجىَ باليمين، أو أن نستنجىَ بأقلَّ من ثلاثةِ أحجارٍ، أو أن نستنجىَ برجيعٍ [1] أو بعظمٍ».

قال العلماء : ويلحق بالحجر كل جامد طاهر مزيل للعين، ليس له حرمة ولا هو جزء من حيوان، كما تجزئ الخرق والمناديل المعدة لذلك متى تحققت بها الإزالة.

والرأى الذى نختاره للفتوى فى استقبال القبلة لغائط أو بول أنه لا يجوز فى الخلاء، ولا يحرم فى البنيان المعد لقضاء الحاجة..

والجمع بين الماء والأحجار فى الاستنجاء أفضل، وعند الاقتصار على أحدهما فالماء أولى لأنه يزيل العين والأثر..

ويجوز البول قائماً وقاعداً ونقل الإمام النووى عن ابن المنذر قوله : **«البول جالساً أحبُّ إلىَّ، وقائماً مُباحٌ»** [2] ..

ومن السنة أن يقول المسلم عند دخول مكان قضاء الحاجة :

«بسم الله، اللهم إنى أعوذ بك من الخُبُثِ والخَبَائثِ» [3] .

وللسواك موقع مهم فى الآداب الإسلامية المتعلقة بالطهارة والنظافة فهو سنة مستحبة فى جميع الأوقات، لكنه فى خمسة أوقات أشد استحباباً :

عند الوضوء، وعند الصلاة، وعند قراءة القرآن، وعند الاستيقاظ من النوم، وعند تغير رائحة الفم.

وتحصل السنة بكل مزيل للصفرة من الأسنان،سواء كان عوداً من شجر الأراك ونحوه أو كان فرشاة كما هو منتشر اليوم..

وفى صحيح الحديث أن رسول الله ﷺ قال :

(١) الرجيع هو : الروث فهو نجس فلا تزال به النجاسة.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم جـ ٣ ، ص ١٦٦ .

(٣) الخُبُث بضم الأول والثانى جمع خبيث، والخبائث جمع خبيثة و المراد الاستعاذة بالله من الشياطين ذكوراً وإناثاً.

«لولا أن أَشُقَّ على أُمَّتى لأمرتُهُم بالسواكِ عند كلِّ صلاةٍ».

وقالت السيدة عائشة (رضى الله عنها) : «إن النبىَّ ﷺ كان إذا دخلَ بيتَهُ بدأ بالسواكِ».

وعن حذيفة رضي الله عنه «أن رسولَ الله ﷺ كانَ إذا قامَ من الليل يشوصُ فاه بالسواكِ» أى يدلك أسنانه بالسواك.

طهـــارة الاغتســـال

حرصاً من الإسلام على شأن الطهارة والنظافة أوجب الغسل إيجاباً تاماً فى مواضع خاصة وحالات معينة تتكرر كثيراً، وربط بالغسل صحة العبادات بحيث يتوقف أداؤها على تمام الغسل واستيعابه لكافة أجزاء الجسم..

من هذه الحالات مباشرة الرجل لزوجته أو عقب انتهاء الدورة الشهرية أو عند انقطاع أثر الولادة.. حيث يعترى الجسم من الفتور نتيجة إفرازات الغدد والأجهزة ما لا معاودة منه إلى النشاط والحيوية إلا بالغسل وتعميم الجسد بالماء وتدليك الأعضاء..

ولأهمية هذا الجانب فى حياة المسلمين لم يمتنع النساء على عهد رسول الله ﷺ من السؤال عنه، وتحكى كتب الصحاح أن امرأة سألت النبى ﷺ عن غسل المحيض فقال : تأخذُ إحداكُن ماءَها وسدرتَها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسِها فتدلكه دلكاً شديداً حتى تبلغ شئون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة[1] ممسكة فتطهر بها..

قالت المرأة : وكيف تطهرُ بها؟

فقال الرسول الكريم : سبحان الله!! تطهرينَ بها.

قالت أم المؤمنين: فاجتذبتها إلىّ وعرفت ما أراد النبى ﷺ فقلت : تتبعى بها أثرَ الدم..

(١) الفِرْصة بكسر الفاءأو ضمها أو فتحها مع سكون الراء: قطعة من صوف أو قطن، ومعنى ممسكة أى فيها مسك أو ما يقوم مقامه من الطيب.

ثم تقول عائشة : نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياءُ أن يتفقهن في الدين..!!

وانطلاقاً من هذا المعنى قدمت أم سليم إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه تسأل عن شيء خاص جداً، ومهدت لذلك بقولها : يا رسول الله : إن الله لا يستحيي من الحق..!!

ثم سألت : هل على المرأةِ من غسلٍ إذا احتلَمَت؟!

فقالت عائشة وكانت جالسة مع الرسول الكريم : يا أُمَّ سليم فضحتِ النساءَ، تربت يمينك!!

فقال الرسول لعائشة : بل أنت فتربت يمينك، نعم فلتغتسل - يا أم سليم - إذا رأت ذلك.

ويوم الجمعة خير يوم طلعت فيه الشمس، وفيه اجتماع أسبوعي للمسلمين على سبيل الفريضة العينية للرجال البالغين العقلاء المقيمين، ومن تكريم هذا اليوم ما جاء في صحيح الحديث أن الرسول ﷺ قال : « إذا كان يومُ الجمعةِ كانَ على كل بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبون الأول فالأول فإذا جلسَ الإمامُ طووا الصحفَ و جاءُوا يستمعون الذكر».

وشأن المسلم أن يتهيأ لهذا الاجتماع المشهود بأفضل هيئة وأطيب رائحة.. فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : «غسلُ يومِ الجمعةِ على كُلِّ محتلمٍ - أي بالغ - وسواكٌ ويمسُّ من الطيبِ ما قدر عليه».

وتحكي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - كما في صحيح مسلم - «أن الناسَ كانوا ينتابون الجمعةَ - أي يأتونها - من منازلهم من العوالي - وهي قرى حولَ المدينة - فيأتون في العبَاءِ ويُصيبُهم الغبارُ فتخرج منهم الريحُ، أي تكونُ لهم رائحةٌ كريهةٌ، فكان ﷺ يقولُ لهم : لو أنكم تطهرتم ليومِكم هذا»..!!

وغسل يوم الجمعة مستحب لكل إنسان سواء كان رجلاً أو امرأة أو صبياً، وسواء حضر الصلاة أم منعه عذر شرعي، لظاهر قوله عليه الصلاة والسلام - كما في صحيح مسلم : «حقٌّ الله على كل مسلمٍ أن يغتسلَ في كل سبعةِ أيامٍ، يغسلُ رأسَهُ وجَسَدَهُ».

وهو أدب إسلامى رفيع لم يُعهد فى مذهب أو ملة أو نحلة سابقة على الإسلام أو لاحقة، فإن هذه الملل والنحل تجعل ترك الغسل قربة إلى الله، وتهمل نظافة الجسد رهبانية ابتدعوها.. والإسلام وحده هو الذى يقول فى محكم كتابه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (١).

ومن آداب الجمعة التى تكتمل بها الزينة الشرعية قص الأظافر وإزالة الشعر من مواضعه المختلفة فى الجسم والتى أشار إليها حديث رسول الله ﷺ - كما فى صحيح مسلم : «خَمسٌ من الفطرةِ، الختانُ والاستحدادُ، وتقليمُ الأظافر ونتفُ الإبطِ وقصُّ الشاربِ».

ويكره لكل إنسان يغشى مجالس الناس أن يأكل شيئاً له رائحة كريهة سواء فى ذلك المساجد وحلقات العلم والولائم العامة.. وقد قال ﷺ : «مَن أكلَ ثوماً أو بَصَلاً فليعتزِلْنا أو ليعتزِلْ مَسجِدَنَا وليقعُدْ فى بيتِهِ».

والمسلم الذى يحرص على هذه الآداب العامة ليوم الجمعة ثم يسعى للصلاة فى سكينة ووقار ثم يحسن الاستماع إلى الخطبة - يحظى برضوان من الله أكبر.. وفى صحيح الحديث قال عليه الصلاة والسلام : «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتَى الجمعةَ وأنصتَ غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعةِ وزيادة ثلاثة أيامٍ».

وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها، والله ذو الفضل العظيم.

****

◆◆ فرضية الصلاة

١ ـ دعاء الأنبياء:

الصلاة فريضة مكتوبة فى رسالات الله إلى البشر، دعا إليها الأنبياء، وأوصى الله بها عباده على مدى الأجيال.

فسيدنا إبراهيم الخليل جعل الغاية من سكنى إسماعيل بجوار البيت الحرام هو إقامة الصلاة فقال : ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (٢).

(١) سورة الأعراف : الآية (٣١).
(٢) سورة إبراهيم : الآية (٣٧).

وختم دعاءه العام الشامل بالتأكيد على تلك الشعيرة فقال :

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (١).

وأوحى الله بها إلى موسى فقال :

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾(٢).

وأخذ الله عليها الميثاق من بنى إسرائيل فقال :

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ (٣).

وتكلم عيسى فى المهد مؤكداً تلك الفريضة فقال :

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ﴾ (٤).

وقد فرضت الصلاة على المسلمين ليلة الإسراء والمعراج خمساً فى الفعل وخمسين فى الأجر والثواب، وكان المسلمون يصلون من مبدأ الدعوة الإسلامية فى مكة صلاة بالغداة وصلاة بالعشى ويشهد لذلك قوله تعالى :

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ (٥).

٢ـ المناجـاة العلـويـة :

فرضت الصلاة على الأمة الإسلامية ليلة الإسراء والمعراج من خلال مناجاة علوية ناجى فيها الرسول ربه تبارك وتعالى واشترك فيهاموسى عليه السلام.. وتخيل معى حديثاً مع الله، هو الصدق كله والصفاء كله، والنور كله.. وتتقاصر الكلمات عن وصف هذه المناجاة، ونكتفى بما يقربها، وهو النص الصحيح كما ورد عن المعصوم ﷺ ..

ففى صحيح مسلم من رواية ثابت البنانى عن أنس :

«ثُمَّ ذهب بى إلى السِّدرةِ المُنتهى، وإذا ورقُها كآذان الفِيَلةِ وإذا ثمرُها كالقِلال..

(١) سورة إبراهيم : الآية (٤٠). (٢) سورة يونس : الآية (٨٧). (٣) سورة المائدة : الآية (١٢).
(٤) سورة مريم : الآية (٣١). (٥) سورة غافر : الآية (٥٥).

قال : فلمَّا غشيها من أمرِ اللهِ ما غشى تغيَّرت، فما أحدٌ من خلقِ اللهِ يستطيعُ أن ينعتَها من حُسنها..

فأوحَى اللهُ إليَّ ما أوحَى، ففرض عليَّ خَمسِينَ صلاة فى كل يومٍ وليلةٍ.

فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال :

ما فرضَ ربُّكَ على أُمتِك؟

قلت : خمسين صلاة.

قال : ارجعْ إلى رَبِّكَ فاسأَلْه التخفيفَ، فإن أُمَّتَكَ لا يُطِيقُون ذَلك، فإنِّى قد بلوتُ بنى إسرائِيلَ وخبرتُهُمْ.

قال : فرجعتُ إلى رَبِّى فقلتُ :

يا ربِّ خَفِّفْ على أُمَّتى.

فحطَّ عنِّى خَمْساً، فرجعتُ إلى مُوسى فقلتُ :

حَطَّ عنِّى خمساً.

قال : إنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُون ذلك فارجعْ إلى ربِّك فاسأَلْه التخفيفَ.

قال: فَلَم أزلْ أرجع بين ربِّى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال:

يا محمدُ إنهن خمسُ صلواتٍ كل يومٍ وليلة، لكلِّ صلاةٍ عشر، فذلك خمسون.

ومن هَمَّ بحسنةٍ فلم يعملْها كُتِبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً.

ومن هَمَّ بسيئةٍ فلم يعملها لم تُكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئةً واحدة.

قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرتُه فقال :

ارجعْ إلى ربك فاسأله التخفيفَ.

فقال رسولُ الله ﷺ :

فقلت : «قد رجعتُ إلى ربِّى حتى استحييتُ منه».

وننبه القارئ الكريم إلى بعض ملاحظات :

١ ـ جاء فى بعض الروايات أن المناجاة كانت بعد مرحلة سمع فيها صريف

الأقلام، وهو صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب..

وجاء فى بعض الروايات أن الوصول إلى سدرة المنتهى كان بعد المناجاة.

وسدرة المنتهى أو السدرة المنتهى سُميت بذلك لكونها ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها، ولم يجاوزها أحد إلا الرسول ﷺ.

وعلى كل فالمناجاة وقعت فى موقع علوى روحى وضاء.

وليكن معلوم أن محمداً ﷺ فى تلك المناجاة لم يكن أقرب إلى الله مكاناً من موسى وهو فى طور سيناء وإن كان أقرب إلى الله مكانة ومنزلة ورفعة.

٢ ـ جاء فى بعض الروايات قال :

«فراجعتُ ربى فوضَعَ شطرَها قال : فرجعتُ إلى موسى عليه السلام فأخبرتُه قالَ : ارجعْ إلى ربك فإن أُمتكَ لا تُطيق ذلك، قال : فراجعتُ ربى فقال هى خمسٌ وهى خمسونَ لا يُبدَّلُ القولُ لدىَّ».

وفى رواية :

«فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى حتى صارت إلى خمس صلوات».

ولعل الرواية التى فيها الحط خمساً هى الأصل وباقى الروايات اختصرت وأُوجزت المراجعات.

٣ ـ لعل اختصاص موسى عليه السلام بالمراجعة فى أمر الصلاة باعتباره صاحب الشريعة السابقة، فإن التوراة هى الأصل الذى توارد عليه أنبياء بنى إسرائيل، حتى إن الجن أنفسهم تفطنوا لهذا المعنى وقالوا :

﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [1].

ومن جهة أخرى فإن موسى هو كليم الله، وصاحب المناجاة فى الوادى المقدس طوى فشأن أصحاب المقامات المتشابهة أن يتلاقوا..

(١) سورة الأحقاف : الآية (٣٠).

٣ـ مواقيت الصلاة :

فى غداة الليلة المباركة التى وقع فيها الإسراء والمعراج بدأت تجربة عملية لتحديد مواقيت الصلاة بدءاً ونهاية..

ففى صحيح مسلم عن أبى مسعود رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : «نزلَ جبريلُ عليه السلام فأمّنى فصليتُ معه، ثم صليتُ معه، ثم صليتُ معه، ثم صليتُ معه، ثم صليتُ معه، يحسب بأصابعه خمسَ صلواتٍ».

وثبت فى الحديث فى سنن أبى داود والترمذى وغيرهما من رواية ابن عباس وغيره فى إمامة جبريل أنه صلى الصلوات الخمس مرتين فى يومين، فصلى الخمس فى اليوم الأول فى أول الوقت وفى اليوم الثانى فى آخر وقت الاختيار..

ونص الحديث كما رواه الترمذى عن ابن عباس :

«أمّنى جبريل عليه السلام عندَ البيتِ مرّتين، فصلّى الظهرَ فى الأولى منهما حين كان الفَىءُ مثل الشراك، ثم صلى العصرَ حين كان كلُّ شىءٍ مثل ظلّه، ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم، ثم صلى العشاء حين غابَ الشفقُ، ثم صلّى الفجرَ حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم.

وصلى المرة الثانية الظهرَ حين كان ظلُّ كلِّ شىءٍ مثله لوقتِ العصرِ بالأمس، ثم صلّى العصر حين كان ظل كل شىء مثليه، ثم صلّى المغربَ لوقته الأول، ثم صلّى العشاءَ الآخرةَ حينَ ذهبَ ثلثُ الليل، ثم صلّى الصبحَ حين أسفرت الأرضُ.

ثم التفت إلىَّ جبريل فقالَ: يا محمدُ هذا وقتُ الأنبياءِ من قبلِكَ، والوقتُ فيما بَين هذَين الوقتّين».

وبمطالعة شرح هذا الحديث نلتقط هذه العبارات[1].

ـ فى رواية فى الأم للشافعى : عند باب الكعبة.

ـ فى رواية لابن إسحق : فأمر فصيح بأصحابه، الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلى به جبريل، وصلى النبى ﷺ بالناس..

(١) تحفة الأحوذى ـ شرح جامع الترمذى جـ ١ ، ص ٤٦٤، تحقيق : د. عبدالوهاب عبداللطيف.

ـ وقال ابن الأثير: قدره ههنا ليس على معنى التحديد، ولكن زوال الشمس لا يبين إلا بأقل ما يرى من الظل، وكان حينئذ بمكة هذا القدر.

والظل يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، وربما يتبين ذلك فى مثل مكة من البلاد التى يقل فيها الظل، فإذا كان طول النهار واستوت الشمس فوق الكعبة لم ير بشىء من جوانبها ظل.

فكل بلد يكون أقرب إلى خط الاستواء و معدل النهار يكون الظل فيه أقصر، وكل ما بعد عنها إلى جهة الشمال يكون الظل أطول.

ـ قوله «**هذا وقت الأنبياء من قبلك**».

قال ابن العربى فى عارضة الأحوذى: ظاهره يوهم أن هذه الصلوات فى هذه الأوقات كانت مشروعة لمن قبلهم من الأنبياء، وليس كذلك، وإنما معناه أن هذا وقتك المشروع لك يعنى الوقت الموسع المحدود الطرفين الأول والآخر.

وقوله: «**ووقت الأنبياء من قبلك**» يعنى و مثله وقت الأنبياء قبلك أى صلاتهم كانت واسعة الوقت وذات طرفين، وإلا فلم تكن هذه الصلوات على هذا الميقات إلا لهذه الأمة خاصة» أهـ.

٤ ـ قبلة الصلاة:

واختلف العلماء فى قبلة المسلمين فى الصلاة أثناء العهد المكى على قولين:

الأول: إلى بيت المقدس واستمرت بعد الهجرة إلى أن صرفهم الله إلى الكعبة.

الثانى: إلى الكعبة، ثم لما وقعت الهجرة صلى المسلمون إلى بيت المقدس

.. وأيًا ما كان، فإن المسلمين قد استقبلوا بيت المقدس فى أوائل العهد المدنى ستة عشر شهراً أو سبعة عشر حتى نزلت الآية الكريمة: ﴿وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (١).

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٤٤).

قال أبو حاتم البستى ـ كما نقل القرطبى: صلى المسلمون إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام سواء وذلك أن قدوم الرسول المدينة كان يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وأمره الله عزوجل باستقبال الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان.

وهذا الاتجاه إلى بيت المقدس كان تعبيراً عن معانٍ سامية منها :

١ ـ محاولة البعد عن شائبة الوثنية، فالكعبة حينئذ كانت محاطة بأصنام تعد بالمئات، وأيضاً المنع من الاشتراك مع المشركين فى الاتجاه.

٢ ـ تهدئة الصراع النفسى لدى المسلمين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

٣ ـ تأليف اليهود و جذبهم للدين الجديد بتعظيم بيت المقدس الذى بارك الله حوله، وبيان أن رسالات الله تلتقى فى أصولها العامة.

وتلك القضية ـ قضية تأليف اليهود ـ اهتم الرسول الكريم بها، ومن مظاهرها الأخرى المعاهدة التى وقعها مع اليهود والتى تضمنت حسن الجوار والتعاون التام والدفاع المشترك، وكذلك صيام عاشوراء وأمر المسلمين به وقوله ﷺ : « نحنُ أحقُّ بمُوسى منكم ».

ولكن إذا ما أحس المسلمون بوحدة صفوفهم وقوة إيمانهم واتخذوا موقف الدفاع وأذن لهم بالقتال، فليتجهوا ـ إذاً ـ إلى البيت الحرام بمكة ليحيا فى وجدانهم حتى يطهروه من رجس الوثنية، ثم إن البيت هو بناء إبراهيم الجد الأكبر للعرب واليهود معاً، وهو أول بيت وضع للناس..

ولذا كان الرسول ﷺ يكثر الدعاء إلى الله تعالى أن يجعل قبلته إلى البيت الحرام بمكة..

وهنا نزل قوله تعالى : ﴿وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (١).

قال الإمام النووى(٢) :

واختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى فى أن استقبال بيت المقدس هل كان ثابتاً بالقرآن أم باجتهاد النبى ﷺ ؟

فحكى الماوردى فى الحاوى وجهين فى ذلك لأصحابنا، قال القاضى عياض رحمه الله تعالى : الذى ذهب إليه أكثر العلماء أنه كان بسنة لا بقرآن، فعلى هذا يكون فيه دليل لقول من قال إن القرآن ينسخ السنة، وهو قول أكثر الأصوليين المتأخرين، وهو أحد قولى الشافعى رحمه الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٤٤).

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم جـ ٥ ، ص ٩.

والقول الثانى له، وبه قال طائفة، لا يجوز لأن السنة مبينة للكتاب فكيف ينسخها، وهؤلاء يقولون لم يكن استقبال بيت المقدس بسنة بل كان بوحى، قال الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا...﴾(١) الآية.

وقد تعددت الروايات فى الصلاة الأولى التى وقعت للكعبة بعد الهجرة، ويسوق الإمام القرطبى منها (٢) :

فى رواية مالك أنها صلاة الصبح.

وقيل نزل ذلك على النبى ﷺ فى مسجد بنى سلمة وهو فى صلاة الظهر بعد ركعتين منها فتحول فى الصلاة فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين.

وقيل إن الآية نزلت فى غير صلاة وهو الأكثر، وكان أول صلاة إلى الكعبة صلاة العصر، وثبت ذلك فى صحيح البخارى.

ولم يبلغ هذا الخبر إلى بعض المسلمين إلا فى فجر اليوم التالى، وجاء فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : «**بينما الناسُ بقُباءَ فى صلاةِ الصبحِ إذ جاءهم آتٍ فقالَ: إن رسولَ الله ﷺ قد أُنزلَ عليه الليلةَ قرآنٌ وقد أُمِرَ أن يستقبلَ الكعبةَ فاستقبِلُوها، وكانت وجوهُهم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبةِ**».

٥ـ السفهاء من الناس :

هذا وقد أحدث تحويل المسلمين إلى الكعبة فى الصلاة حملة تشكيك تولى كبرها السفهاء من أهل الكتاب وقالوا : أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس إن كانت على هدى فقد تحولتم عنه وإن كانت على ضلالة فقد عبدتم الله بها مدة؟! وتساءل البعض عن حكم من مات قبل أن يدرك تحويل القبلة..

هنا نزل القرآن العظيم كاشفاً خفايا صدور المنافقين واليهود، ومصححاً لمفهوم العبادة فقال :

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

(١) سورة البقرة : الآية (١٤٣). (٢) أحكام القرآن جـ ٢ ، ص ١٤٨.

﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

فالعبادة إنما هى الامتثال الضارع لأمر الله الحكيم الخبير، وطالما امتثل الإنسان أمر خالقه وبارئه فهو فى محل الرضا منه سبحانه.

من صلى إلى القبلة الأولى ومات قبل أن يدرك القبلة الثانية فقد قبل الله صلاته لأنه امتثل وأطاع..

وليس الهدى فى اتباع موطن خاص أو التوجه إلى مكان معين، وإنما الهدى هدى الله، والكون كله خاضع لمشيئته وسلطانه.

◆◆ الأذان

فـــى اللغـــة :

الأذان هو الإعلام، قال تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾[2] أى أعلمهم، وقال جل شأنه : ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾[3]، أى إعلام وإعلان.

وأذن له بمعنى استمع، قال الله تعالى : ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[4]، أى استمعت.

وآذنه بالشىء أى أعلمه.

بـدء المشـــروعيـــة :

شرع الأذان بالمدينة بعد الهجرة، لأنها موطن عز الإسلام وأهله، وفيها قامت دولة الحق، وأصبح للمسلمين قوة يردون بها العدوان، ويعبدون الله آمنين، ويعلنون عقيدتهم بلا تخوف.

وتشاور المسلمون فى كيفية الإعلان بالصلاة المكتوبة[5] ودعوة الناس إلى الجماعة، واقترحوا اقتراحات منها :

(١) سورة البقرة : الآيات (١٤٢ : ١٤٣). (٢) سورة الحج : الآية (٢٧). (٣) سورة التوبة : الآية (٣).
(٤) سورة الانشقاق : الآية (٢). (٥) لا يشرع الأذان فى النوافل مطلقاً سواء كانت تؤدى فرادى أو جماعات، فلا أذان لصلاة الليل ولا للعيدين ولا للكسوفين ولا فى فرض الكفاية كصلاة الجنازة ولا فى المنذورة.

أن يوقدوا ناراً، أو يضربوا ناقوساً، أو يتخذوا بوقاً..

ورفضت هذه المقترحات لشبهها بملل الكفر، فالنار للمجوس، والناقوس للنصارى، والبوق لليهود..

وشاء الله أن يرى الأذان أحد الصحابة وهو عبدالله بن زيد بن عبد ربه، كما فى سنن أبى داود والترمذى وغيرهما، فأخبر النبى ﷺ بما رأى، فجاء عمر بن الخطاب فقال : **والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى، فقال عليه الصلاة والسلام : «إنها لرؤيا حق إن شاء الله».**

قال الإمام النووى :

«فشرعه (أى الأذان) النبى ﷺ بعد ذلك إما بوحى وإما باجتهاده ﷺ على مذهب الجمهور فى جواز الاجتهاد له ﷺ، وليس هو عملاً بمجرد المنام، هذا مما لاشك فيه بلا خلاف، والله أعلم»[1].

وساق الإمام ابن حجر أن ابن المنذر جزم بأنه ﷺ كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة، وإلى أن وقع التشاور فى ذلك»[2].

وفى صحيح البخارى بسنده أن ابن عمر كان يقول :

كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة، ليس ينادى لها، فتكلموا يوماً فى ذلك، فقال بعضهم اتخذوا ناقوساً مثل النصارى، وقال بعضهم : بل بوقاً مثل قرن اليهود، فقال عمر : أولا تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ : «**يا بلالُ قُم فنادِ بالصلاة**».

وفى رواية عن أنس : «**ذكروا النار والناقوس، فذكروا اليهود والنصارى**».

ألفـــاظ الأذان :

أمر الرسول ﷺ بلالاً أن يشفع الأذان أى أن يأتى بالأذان مثنى مثنى [3]، وكلمات الأذان عند أبى حنيفة والشافعى وأحمد وجمهور العلماء هكذا :

(١) صحيح مسلم بشرح النووى، جـ ٤ ص ٧٦.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، جـ ٢ ، ص ٧٩.

(٣) أى غالباً لأن التكبير عند الجمهور أربع فى أول الأذان، وكلمة التوحيد فى آخره واحدة، ثم إن لفظ الشفع يشمل التثنية والتربيع.

الله أكبر الله أكبر	،	الله أكبر الله أكبر
أشهد ألاَّ إله إلا الله	،	أشهد ألاَّ إله إلا الله
أشهد أن محمداً رسول الله	،	أشهد أن محمداً رسول الله
حي على الصلاة	،	حي على الصلاة
حي على الفلاح	،	حيَّ على الفلاح
الله أكبر الله أكبر	،	لا إله إلا الله

لكن الإمام مالكاً يرى أن الأذان بالتثنية فى أوله وليس بالتربيع أى أنه يكتفى بتكبيرتين فى أول الأذان هكذا :

الله أكبر ، الله أكبر

واختلف العلماء فى الترجيع وهو ترديد الشهادتين بصوت خفيض قبل رفع الصوت بهما، فيرى بعضهم أن الترجيع ركن لا يصح الأذان بدونه، ويرى آخرون أنه سنة، لو تركه صح الأذان مع فوات كمال الفضيلة..

ويُزاد فى أذان الصبح بعد الحيعلتين[1]: الصلاة خير من النوم، مرتين، وفى الموطأ عن مالك رضي الله عنه أنه بلغه أن المؤذن جاء إلى عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً فقال: الصلاة خير من النوم، فأمره أن يجعلها فى نداء الصبح.

وفى هامش الموطأ نقل المحقق عن ابن عبدالبر قوله : لا أعلم أحداً روى هذا عن عمر من وجه يحتج به، وكان ذلك - أى الصلاة خير من النوم - فى الأذان منذ عهد رسول الله ﷺ[2].

ويضيف الشيعة عقب الشهادتين فى الأذان : أشهد أن علياً ولى الله، مرتين، وعقب الحيعلتين : حى على خير العمل، مرتين، ويجعلون كلمة التوحيد فى آخر الأذان مرتين..

(١) الحيعلتان هما : حى على الصلاة وحى على الفلاح.

(٢) موطأ الإمام مالك - رواية يحيى بن يحيى الليثى، إعداد : أحمد راتب عرموش، ص ٥٩، ط رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية سنة ١٤٠٤هـ، وتسمى هذه الجملة فى الأذان تثويباً، من ثاب إذا رجع فالتثويب هو العود إلى الإعلام بعد الإعلام فقول المؤذن : «الصلاة خير من النوم» لا يخلو من ذلك.

وبالنسبة للإقامة فقد أمر الرسول ﷺ بلالاً أن يوترها أى أن يأتى بألفاظها مرة واحدة إلا قول : «قد قامت الصلاة» فإنه يكرر، فتكون الإقامة هكذا :

الله أكبر ، الله أكبر

أشهد ألاَّ إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله

حى على الصلاة، حى على الفلاح

قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة

الله أكبر ، الله أكبر

لا إله إلا الله

ولا يعترض بأن التكبير مكرر مرتين فى أول الإقامة وآخرها، لأنه بالنسبة للأذان كأنه وتر، فالتكبير فى الأذان - عند الجمهور - أربع مرات فى أوله.

ولذا يستحب للمؤذن أن يقول كل تكبيرتين بنفس واحد..

والمشهور عن الإمام مالك أن الإقامة عشر كلمات، فلم يثن لفظ الإقامة..

ونقل الإمام ابن حجر عن ابن عبدالبر قوله :

ذهب أحمد وإسحق وداود وابن جرير إلى أن ذلك من الاختلاف المباح، فإن ربّع التكبير الأول فى الأذان أو ثنّاه، أو رجّع فى التشهد أو لم يرجع، أو ثنّى الإقامة أو أفردها كلها أو إلا «قد قامت الصلاة».. فالجميع جائز[1]..

أدب الأذان :

من السنة أن يؤدى الأذان بصوت ندى مرتفع، وتؤدى الإقامة بصوت أخفض، لأن الأذان تجميع لغائبين والإقامة تجميع لحاضرين، ويكون الأذان فى أوّل الوقت حتى يعلم الأداء والقضاء فى الصلاة المكتوبة وحتى يمسك الصائم أو يفطر.. قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[2]، وقال جل شأنه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[3].

(١) فتح البارى، جـ ٢، ص ٨٤.
(٢) سورة النساء : الآية (١٠٣).
(٣) سورة البقرة : الآية (١٨٧).

وساق الإمام البخارى فى صحيحه باباً بعنوان :

«هل يتتبع المؤذن فاه ههنا وههنا؟».

وهل يلتفت فى الأذان؟

ويذكر عن بلال أنه جعل إصبعيه فى أذنيه، وكان ابن عمر لا يجعل إصبعيه فى أذنيه.

وقال إبراهيم (النخعى): لا بأس أن يؤذن على غير وضوء، وقال عطاء: الوضوء حق وسنة.

وقالت عائشة: **«كان النبىُّ ﷺ يذكرُ اللهَ على كلِّ أحوالِهِ».**

فهذا العنوان على طوله يفهم منه أن هذه الأمور ليست شرطاً للأذان ولا ركناً فيه، وإنما هى آداب وهيئات قد تفعل وقد تترك، والالتفات بالفم والوجه وليس بالبدن ويكون عند قول: حى على الصلاة، حى على الفلاح..

ويرى الإمام مالك أن الأذان من جملة الأذكار لا يشترط فيه ما يشترط فى الصلاة من الطهارة واستقبال القبلة.

ومن السنة أن يردد المستمع كلمات الأذان خلف المؤذن، فإذا وصل إلى قوله: **«حى على الصلاة، حى على الفلاح»** قال: **لا حول ولا قوة إلا بالله..**

وعند التثويب فى صلاة الصبح يقول: صدقت وبررت .. فإذا فرغ المؤذن صلى المستمع والمؤذن على رسول الله ﷺ وسألوا الله له الوسيلة.

وفى صحيح البخارى بسنده عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«من قالَ حينَ يسمعُ النداءَ : اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ و الصلاةِ القائمةِ آت محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته، حلَّت له شفاعَتِى يومَ القيامَةِ».

وفى صحيح مسلم قال عليه الصلاة والسلام : **«إذا سمعتُمُ المؤذِّنَ فقولُوا مثلَ ما يقولُ ثم صلُّوا علىَّ فإنه من صلَّى علىَّ صلاة صلى الله عليه عشراً، ثم سلُوا اللهَ لِيَ الوسيلَةَ».**

وفى حديث آخر يفسر الوسيلة يقول عليه الصلاة والسلام : **«فإنَّها منزلةٌ فى الجنةِ لا تنبغِى إلا لعبدٍ من عبادِ اللهِ وأرجُو أن أكونَ أنا هُوَ».**

المـــــؤذنـــــون :

المؤذن الأول فى الإسلام هو بلال الحبشى، أمره الرسول ﷺ بالنداء للصلاة لأنّه أندى صوتاً أى أرفع وأطيب..

واتخذ الرسول مؤذناً آخر هو ابن أم مكتوم الأعمى، فكان بلال يؤذن قبل صلاة الفجر ليوقظ النائم وكان ابن أم مكتوم يؤذن عند طلوع الفجر..

وفى صحيح البخارى بسنده عن عائشة رضى اللّه عنها، عن النبى ﷺ أنه قال : «إن بِلالاً يُؤذِّن بليلٍ فكلُوا واشربُوا حتى يُؤذِّن ابنُ أمِّ مكتوم».

وقد اتخذ العلماء من ذلك دليلاً على تعدد المؤذنين فى المسجد الواحد عند كثرة الناس واتساع المسجد، بحيث يقف كل مؤذن فى جانب من المسجد ليعلم من خلفه، ولم توجد يومئذ مكبرات للصوت..

أما الآن فلسنا فى حاجة إلى هذا التعدد، ويكفى أذان واحد لكل مسجد ليجتمع الناس فيه لأداء الصلاة..

والمؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة لشرفهم وعظم ثواب عملهم، وهم يحظون بشفاعة كل من يسمعهم..

وفى صحيح البخارى بسنده عن المازنى عن أبيه أنه أخبره أن أبا سعيد الخدرى قال له: «إنى أراكَ تحبُّ الغنمَ والباديةَ، فإذا كنتَ فى غنمِك - أو باديتِك - فأذّنت بالصلاةِ فارفع صوتَك بالنداءِ فإنه لا يسمعُ مَدَى صوتِ المؤذنِ جنٌّ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شهدَ له يومَ القيامة، قال أبو سعيد: سمعتُه من رسولِ اللهِ ﷺ».

ومعلوم أن الشهادة يوم القيامة نوعان :

شهادة تفضح وشهادة ترفع ..

فشهادة الفضوح كما فى قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [١].

(١) سورة فصلت : الآيات (من ١٩ إلى ٢١).

وشهادة الرفعة والتكريم كشهادة القرآن لأهله والصيام للصائمين والأذان للمؤذنين..

ولعظم ثواب الأذان كان الأذان باباً من أبواب التنافس الشريف يحرص عليه المؤمن ويسعى إليه، وقد صور هذا المعنى قول رسول الله ﷺ - كما فى صحيح البخارى :

«لو يعلمُ الناسُ ما فى النداءِ والصفُ الأول ثم لم يجدُوا إلا أن يستهمُوا عليهِ لاستهمُوا، ولو يعلَمُون ما فى التهجيرِ لاستبقُوا إليهِ، ولو يعلَمونَ ما فى العتمةِ والصبحِ لأتوهما ولو حَبْوًا».

والتهجير هو التبكير إلى الصلاة أو المراد به الإتيان إلى صلاة الظهر فى أول وقتها رغم شدة الحر الذى هو الهجير..

والعتمة هى صلاة العشاء..

فالنداء والصف الأول والتبكير فى الذهاب إلى المساجد وانتظار الصلاة والحرص على الجماعة فى العشاء والصبح أبواب من الخير تفتح على المسلم خزائن رحمة الله.

***

◆◆ صلاةُ الجمعة

يومُ الجمعة :

إن يوم الجمعة خير يوم طلعت فيه الشمس، وفيه اجتماع أسبوعى للمسلمين، على سبيل الفريضة للرجال البالغين العقلاء المقيمين.. وكان هذا اليوم يسمى فى الجاهلية يوم «العَرُوبة»[1]، أى البيّن المعظم، ولم يصل المسلمون جمعة إلا فى المدينة المنورة بعد الهجرة، حيث الاستقرار والنصرة والتمكين..

وخطبة الجمعة تجديد لشباب الإسلام، وتبصير بدعوة الحق، وربط لحياة المسلمين بآفاق الدين السامية، ولذا كان يتولاها الرسول ﷺ بنفسه،

(١) بفتح العين المهملة وضم الراء.

وأداها الخلفاء الراشدون من بعده، وقام بها كل وال من ولاة المسلمين فى العهود الزاهرة..

ويوم الجمعة مكرم بتكريم الله تعالى له، فهو يوم مشهود فى الأرض وفى السماء.. وقد جاء فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : «**إذا كانَ يومُ الجمعةِ كانَ على كلّ بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبونَ الأولَ فالأول، فإذا جلسَ الإمامُ طَووا الصحفَ وجاءُوا يستمعُون الذكرَ**».

فالمسلم حين يفقه هذا القول الكريم ويدرك أن الملائكة ـ وهم عباد الرحمن المكرمون ـ يستقبلونه وهو ذاهب إلى المسجد، ويجلسون معه حين يستمع الخطبة ـ لا شك أنه يستشعر فى قرارة فؤاده غبطةً لا يعدلها شىء..

وكان من فضل الله تعالى على هذه الأمة المحمدية أن خصها بهذا اليوم المبارك السعيد وهداها إليه..

وفى صحيح الحديث قال النبى ﷺ : «**أضلَّ اللهُ عن الجمعةِ مَنْ كانَ قبلَنَا، فكانَ لليهودِ يومُ السبتِ، وكانَ للنصَارى يومُ الأحدِ، فجاءَ اللهُ بنا فهَدَانا اللهُ ليومِ الجمعة**».

وفى رواية للشيخين قال ﷺ : «**نحنُ الآخِرُونَ السابقُون يومَ القيامةِ، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتابَ مِن قبلِنا، وأُوتِيناهُ مِن بَعدهِم وهذا يومُهم الذى فرض عليهم، فاختلفُوا فيه، فهدانا الله له، فهم لنا فيه تَبَعٌ..**».

فالأمة الإسلامية متأخرة فى الزمن متقدمة فى الفضل والثواب والمنزلة، وقد هداها الله تعالى إلى تعظيم يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها كما ورد بذلك الحديث فى صحيح مسلم..

وقد ضل عنه اليهود والنصارى فاتخذ اليهود يوم السبت عيداً لهم واتخذ النصارى يوم الأحد عيداً لهم..

وللعلماء توجيهات فى كيفية ضلال أهل الكتاب عن يوم الجمعة منها :

١ ـ أن الله تعالى فرض عليهم يوماً فى الأسبوع، وُكِلَ إلى اختيارهم فاختلفوا فى تعيينه ولم يهتدوا ليوم الجمعة.

٢ ـ أن الله تعالى أمرهم بتعظيم يوم الجمعة فاختلفوا هل يلزم تعينه أو يسوغ إبداله بيوم آخر فاجتهدوا فى ذلك وأخطأوا.

٣ ـ أن الله تعالى أمرهم بتعظيم يوم الجمعة بعينه فغلبهم طبعهم وقالوا سمعنا وعصينا وأبوا الالتزام به..."[1].

****

التبكـيـــرُ:

صلاة الجمعة ركعتان فى جماعة يسبقهما خطبتان، ووقتها وقت صلاة الظهر، وهى بدل عن ظهر يومها لكل من أداها سواء كانت الجمعة واجبة عليه كالرجال المقيمين أو تصح منهم كالنساء والمرضى والمسافرين، فهى وإن كانت غير واجبة على هؤلاء فإن صلاة الجمعة تصح منهم، ومتى أدوها سقط عنهم فرض صلاة الظهر.

والتبكير للذهاب إلى المسجد له ثواب كبير عَبّر عنه الرسول ﷺ - فى صحيح البخارى - بقوله : «**مَن اغتسلَ يومَ الجمعةِ غُسلَ الجنابةِ ثم راحَ - أى فى الساعةِ الأولى - فكأنما قَرَّب بَدَنَةً، ومَن راحَ فى الساعةِ الثانيةِ فكأنما قَرَّب بقرةً، ومَن راحَ فى الساعةِ الثالثةِ فكأنَّما قَرَّب كبشاً أقرن، ومن راحَ فى الساعةِ الرابعةِ فكأنَّما قَرَّب دجاجةً، ومن راحَ فى الساعةِ الخامسةِ فكأنما قَرَّب بيضةً، فإذا خَرَجَ الإمامُ حضرت الملائكةُ يستمعونَ الذكرَ**».

فهذا الحديث يبين مراتب الناس فى الثواب لدى سعيهم إلى المساجد لأداء صلاة الجمعة، وقد تعددت آراء العلماء فى معنى التبكير لصلاة الجمعة، فقيل إن أول التبكير من ارتفاع الشمس وقت الضحى، وقيل من طلوع الشمس وقيل من طلوع الفجر، ورأى بعض المالكية والشافعية أن الساعات الخمس لحظات لطيفة أولها زوال الشمس عند الظهيرة وآخرها قعود الخطيب على المنبر، فالساعة جزء من الزمن غير محدد.."[2].

(١) راجع فتح البارى، جـ٢ ، ص ٢٥٥ .

(٢) راجع فتح البارى ، جـ٢ ، ص ٣٦٨ .

أذان الجمعة :

كان للجمعة أذان واحد على عهد رسول الله ﷺ عندما يصعد الخطيب المنبر في أول دخول الوقت وظل الأمر كذلك على عهد الخليفة الأول أبي بكر والخليفة الثاني عمر، فلما كثر الناس على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وانتشر الناس في الأسواق ولم تكن لديهم الساعات المعروفة اليوم و لا وسائل الإعلام أحدث عثمان بتأييد الصحابة وموافقتهم أذاناً على دار في السوق يقال لها الزوراء قبل دخول الوقت ليعلم الناس أن الجمعة حان وقتها.

ويطلق على هذا الأذان أنه الأذان الأول وقد يقال عنه الأذان الثاني وقد يوصف بأنه الأذان الثالث..

فهو أول باعتبار كونه مقدماً على الأذان بين يدي الخطيب فهو أول زمني.

وهو ثان باعتبار مشروعيته وإحداثه فهو وجد على عهد عثمان رضي الله عنه ولم يكن موجوداً من قبل..

وهو ثالث إذا سمينا الأذان والإقامة أذانين تغليباً أو لاشتراكهما في الإعلام، فيكون السابق على عهد عثمان أذانين هما الأذان بين يدي الخطيب والإقامة عقب الخطبة وقد أمر عثمان بثالث على الزوراء..

وفي صحيح البخاري بسنده عن السائب بن يزيد قال: **كان النداء يَومَ الجمعة أوله إذا جلسَ الإمامُ على المنبر، على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان عثمان رضي الله عنه ، وكثر الناس، زاد النداء الثالث على الزوراء.**

المنبر :

كان رسول الله ﷺ يخطب على جذع نخلة قائماً ثم يقعد ثم يقوم، فلما كثر الناس وشق عليه الوقوف على الجذع اتخذ منبراً بثلاث درجات، وظل الوضع هكذا حتى زاده مروان في خلافة معاوية ست درجات من أسفله..

وفي صحيح البخاري بسنده عن أبي حازم بن دينار: أن رجالاً أتوا سهل بن سعد الساعدي وقد امتروا في المنبر مم عوده؟ فسألوه عن ذلك فقال: **والله إني لأعرفُ مما هو، ولقد رأيته أولَ يوم وُضع، وأولَ يوم جلسَ عَلَيه رسولُ الله ﷺ.**

أرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى فلانة - امرأة قد سماها - مُرى غلامك النجارَ أن يعملَ لى أعواداً أجلسُ عليهنَّ إذا كلمتُ الناس، فأمرته فعملها من طَرْفاء الغابةِ[1]، ثم جاءَ بها فأرسلت إلى رسولِ الله ﷺ فأمر بها فوضعت ههنا..».

هذا وقد حدثت معجزة باهرة عندما انتقل الرسول ﷺ من الجذع إلى المنبر فقد سمع للجذع بكاء وصياح حزناً على مفارقة الرسول له وظل الجذع يبكى حتى استلمه الرسول ﷺ ووضع يده عليه فسكن..

وأخرج البخارى فى صحيحه عن ابن عمر رضى اللّٰه عنهما قال : « كان النبى ﷺ يخطبُ إلى جذعٍ، فلما اتخذ المنبر تحوَّلَ إليه، فحَنَّ الجذعُ فأتاه فمَسَحَ عليهِ»..

وفى رواية : فصاحت النخلةُ صياحَ الصبى..

وفى رواية : فسمعنا لذلكَ الجذعِ صوتاً كصوتِ العشار [2].

ويقال : كان الحسنُ إذا حدَّثَ بهذا الحديثِ يقولُ:

يا معشرَ المسلمين، الخشبةُ تَحِنُّ إلى رسولِ الله ﷺ شوقاً إلى لقائهِ فأنتمْ أحقُّ أن تشتاقُوا إلَيْهِ»..

الإنـصَــاتُ :

الإنصات للخطبة واجبٌ، ويحرمُ التشاغل عن سماع الخطيب، ومن دخل المسجد يوم الجمعة والخطيب على المنبر صلى ركعتين خفيفتين ثم يجلس..

وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

«إذا قلتَ لصاحبِكَ يومَ الجمعةِ أنصِت والإمامُ يخطبُ فقد لَغَوْتَ».

واللغو هو الإثم كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [3].

واستثنى من ذلك الأمر العارض الذى فيه مصلحة كتحذير ضرير من بئر،

(١) الطَرْفاء شجر، الواحدة طَرَفَة، وبها سمى طرفة بن العبد، وقال سيبويه : الطَرْفاء واحد وجمع، أهـ من مختار الصحاح.

(٢) العشار : الحوامل من الإبل التى قاربت الولادة أو أتى على حملها عشرة أشهر ويقال ناقة عشراء و نوق عشار.

(٣) سورة الفرقان : الآية (٧٢).

أو أمر واجب كرد السـلام، أو طلب شيء من الخطيب كدعاء فى نازلة أو فتح عليه فى آية..

وفى صحيح البخارى بسنده عن أنس قال :

«أتى رجلٌ أعرابىٌّ من أهلِ البدوِ إلى رسولِ الله ﷺ يومَ الجمعةِ فقالَ: يا رسولَ الله هَلكَت الماشِيةُ، هَلكَ العِيَالُ، هَلكَ الناسُ، فرفعَ رسولُ الله ﷺ يَدَيه يدعُو، ورفَعَ الناسُ أيديهم معه يدعُون، قال : فما خرجنا من المسجدِ حتى مُطِرْنا، فمازلنا نمطر حتى كانت الجمعةُ الأخرى فأتى الرجلُ إلى نبىِّ الله ﷺ فقال : يا رسولَ اللهِ بشق[1] المسافر ومُنع الطريق».

وفى رواية : **«فرفعَ رسولُ الله يَدَيْهِ وقال : اللهم حَوالَينا ولا عَلَيْنَا».**

خطبة الجمعة :

جاء فى صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوته واشتد غضبُه حتى كأنه منذرُ جيشٍ يقول : صبحكم ومساكم، ويقول: بُعثت أنا والساعة كهاتيَن ويقرنُ بين أصبعَيهِ السَّبَّابةِ والوسطى، ويقول : أما بعدُ فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله و خيرَ الهدى هدىُ محمدٍ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلٌّ بدعة ضلالةٌ، ثم يقولُ: «أنا أولى بكل مؤمنٍ من نفسِهِ ومن تَرَكَ مالاً فلأهلِهِ ومن تَرَك دَيْناً أو ضَيَاعاً فإلىَّ وعلىَّ».

هذا الحديث الشريف يبين لنا حرص سيدنا رسول الله ﷺ على أمته فعند الخطبة المتعلقة بأمر عظيم ينفعل انفعالاً يتناسب مع الموقف، وقد سجل القرآن المجيد هذا المعنى عندما قال : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

لكن هذا الانفعال لا يخرج عن حدوده المعقولة ولا ينقلب إلى حركة هوجاء، وأخرج مسلم فى صحيحه : **أن عمارة بن رُؤَيبة رأى بشرَ بنَ مروان على المنبر رافعاً يَدَيه، فقال : قبح الله هاتَينِ اليدينِ لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ما يزيدُ على أن يقولَ بيدِه هكذا، وأشار بأصبعه المسبحة.**

(١) بشق : ضعف المسافر وعجز عن السفر لصعوبة السير فى الوحل.

(٢) سورة التوبة : الآية (١٢٨).

ولم تكن خطبة رسول الله طويلة مملة بل كانت صلاته قصداً وخطبته قصداً، وليست القضية متعلقة بالكم الذى يقال، وإنما هى أساساً متعلقة بصدق العبادة وإخلاص القصد وحكمة التوجيه ومراعاة مقتضى الحال.

ولا بأس بتصحيح أوضاع طارئة أثناء الخطبة فإن ارتباط الحكم بسبب يجعله أوقع وأثبت، وتحكى كتب الصحاح أن سليكا الغطفانى جاء يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب فجلس، فقال له : يا سليك قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما، ثم قال : «إذا جاء أحدُكم يومَ الجمعةِ والإمامُ يخطبُ فليركعْ ركعتين وليتجوَّزْ فيهما».

ويحكى أبو رفاعة فيقول : انتهيتُ إلى النبى ﷺ وهو يخطبُ فقلت : يا رسولَ الله رجلٌ غريبٌ جاءَ يسألُ عن دينِهِ ولا يدرى ما دينهُ؟ قال : فأقبلَ علىَّ رسولُ الله ﷺ وتركَ خُطبتَه حتى انتهى إلىَّ فأتى بكرسى حسبتُ قوائمَه حَديداً فقعدَ عليه رسولُ الله ﷺ وجعلَ يعلِّمُنى مما علَّمَهُ الله ثم أتى خُطبتَه فأتمَّ آخرَها.

قال الإمام النووى : وفى هذا الحديث استحباب تلطف السائل فى عبارته وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبى ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتى، وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول فى الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور، وقعوده ﷺ على الكرسى ليسمع الباقون كلامه ويروا شخصه الكريم، ويحتمل أن هذه الخطبة التى كان النبى ﷺ فيها خطبة أمر غير الجمعة، ولهذا قطعها بهذا الفصل الطويل، ويحتمل أنها كانت الجمعة واستأنفها، ويحتمل أنه لم يحصل فصل طويل، ويحتمل أن كلامه لهذا الغريب كان متعلقاً بالخطبة فيكون منها ولا يضر المشى فى أثنائها».

هذا وإن خطبة الجمعة لوثيقة الصلة بحياة المسلمين أفراداً وجماعات فمعرفة سبيل الرشاد والتواصى وتوثيق عُرى الأواصر الاجتماعية والإبقاء على نقاء العقيدة وطهر السلوك، وتحديد ملامح المجتمع الإسلامى سياسياً واقتصادياً وحضارياً ـ كل ذلك مرتبط بخطبة الجمعة..

وإن مصير المسلمين يتحدد دائماً من فوق المنبر، فقد بدأ تاريخهم السياسى من فوق منبر الرسول فى المدينة وتوالى بعده منبر دمشق ومنبر بغداد ومنبر الأزهر ومنابر المساجد فى مشارق الأرض ومغاربها..

إن المنبر وسيلة وغاية : فهو وسيلة لدعوة الناس إلى الله، قد يصاحبه فيها أجهزة أخرى ولكنها جميعاً تسعى لغاية واحدة هى العودة بالناس إلى المسجد ليكون المنبر وحده هو مصدر الصوت الإلهى المقدس.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(١).

وقت الجمعة :

جاء فى الصحيح عن جابر بن عبدالله أن النبى ﷺ كان يخطب قائماً يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً فأنزلت هذه الآية فى الجمعة : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾(٢).

هنا موقف يجب التأمل فيه واتخاذ العبرة منه.

إن النبى ﷺ كان خطيباً فى الناس يوم الجمعة فأقبلت عير لأحد التجار عليها طعام وبضاعة وأحدثت جلبة فى المكان فانصرف الناس عن سماع الخطبة وخرجوا يلتمسون الشراء أو يستطلعون الخبر ولم يبق مع الرسول ﷺ فى المسجد إلا اثنا عشر رجلاً منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وجابر بن عبدالله.

وذكر أبو داود فى مراسيله أن خطبة النبى ﷺ هذه التى انفضوا عنها إنما كانت بعد صلاة الجمعة وظنوا أنه لا شىء عليهم فى الانفضاض عن الخطبة وأنه قبل هذه القضية إنما كان يصلى قبل الخطبة.

وأيا ما كان فإن الوحى الإلهى قد نزل مبيناً أدب المسلمين وقت الخطبة والصلاة قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

فعند النداء لصلاة الجمعة يجب السعى إليها، والمراد به الاهتمام بها، وعقد القلب عليها والذهاب إلى المسجد فى وقار وسكينة، وليس المراد بالسعى المشى

(١) سورة الجن : الآية (١٨). (٢) سورة الجمعة : الآية (١١). (٣) سورة الجمعة : الآية (٩).

السريع فهذا منهى عنه، ففى الصحيح أن الرسول ﷺ قال : «**إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلُّوا وما فاتكم فأتِمُّوا**».

وشأن المسلمين ألاَّ يحصل بينهم بيع وشراء أو معاملة أثناء نداء الجمعة فإن اتفاق العلماء على حرمة ذلك، واختلفوا هل يصح العقد أم لا؟ والظاهر بطلان العقد.

وعلى هذا لا يصح شرعاً مباشرة أى عمل ممن تجب عليه الجمعة وقت النداء لأنه تعطيل لتلك الشعيرة الخالدة، وقد قال عليه الصلاة والسلام ـ كما فى صحيح مسلم : «**لينتهين أقوامٌ عن وَدْعِهِم الجمعاتِ أو ليختِمَنَّ اللهُ على قلوبِهِم ثم ليكونن من الغافِلِين**».

ثم قالت الآية التالية : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

فالمسألة ليس تعطيلاً عن الإنتاج أو إعاقة لسير العمل وإنما هى فى الحقيقة تزود بخير الزاد وهو التقوى وامتلاء القلب بالإيمان وانشراح الصدر بتقوى الله حتى يستطيع المسلم مواصلة الحياة الجادة الطاهرة، ولذا كان هذا الأمر الإلهى بالانتشار فى الأرض وعمارة الكون وابتغاء فضل الله فى الرزق الحلال، ويُروى أن عراك بن مالك رضي الله عنه كان إذا صلى الجمعةَ انصرفَ فوقفَ على بابِ المسجدِ فقال : **اللهم إنى أجبتُ دعوتَك وصليتُ فريضَتك وانتشرتُ كما أمرتنى فارزُقْنى من فضلِكَ وأنت خيرُ الرازقين**.

ثم كانت الآية الثالثة : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[2]، فيجب ألا تشغلنا أهلونا وأموالنا عن مبادئ الدين وقيم الحياة المثلى، فليست الحياة مجرد مآكل ومشارب وشهوة وإلا فالحيوان الأعجم أوفر حظاً منا، وإنما الحياة فى حقيقتها، قبل ذلك وبعده صفاء نفس وطهارة قلب ونقاء فكر واستقامة سلوك فى إطار منهج الله الذى يهدى للتى هى أقوم..

***

(١) سورة الجمعة : الآية (١٠).

(٢) سورة الجمعة : الآية (١١).

◆◆ نوافـــلُ الصـــلاة

شرع الله تعالى الصلاة فريضة على المؤمنين والمؤمنات، خمسا فى اليوم والليلة، حتى يتعود الإنسان دوام الاتصال بالله تعالى والمراقبة لحدوده..

ثم شرع الله تعالى بعض النوافل قبل الفريضة أو بعدها لحكم جليلة، منها التمهيد للفريضة كى يتهيأ العقل لمناجاة الله، ويتفرغ القلب للسكينة والخشية، ثم لكى تجبر ما قد حصل فى الفريضة من قصور..

وفى كلا الحالين يكتسب المرء حسنات تقربه إلى الملأ الأعلى وتسوقه إلى الفردوس والنعيم المقيم..

ومرتبة النوافل بعد الفرائض، فلا تقبل نافلة حتى تؤدى فريضة، وليس متصوراً شرعاً أن يصلى إنسان نافلة الظهر ويدع الظهر نفسه، أو يقوم متهجداً بالأسحار ويترك الأوقات الخمسة..

وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن اللهَ تعالى قالَ: مَنْ عادَى لِى ولياً فقد آذنتُهُ بالحَربِ، وما تقرَّب إلىَّ عبدِى بشىءٍ أحب إلىَّ مما افترضتُهُ عليهِ، ولا يزالُ عبدِى يتقرَّبُ إلىَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحبَبْته كنتُ سمعه الذى يسمعُ به، وبصرَهُ الذى يُبصِرُ به، ويَدَهُ التى يبطِشُ بها، ورِجلَهُ التى يمشِى بها، ولئن سألنى لأُعطِينَّه، ولئِن استعاذَنِى لأُعِيذنَّه**».

ونوافل الصلاة المرتبطة بالفرائض موزعة هكذا :

- ركعتان قبل الصبح، وتقول السيدة عائشة (رضى الله عنها) : «**إن النبىَّ ﷺ لم يكُنْ على شىءٍ من النوافلِ أشدّ معاهدة منه على ركعتينِ قبلَ الصُّبحِ**».

وتروى أيضاً - كما فى صحيح مسلم : «**أن النبى ﷺ قال : لَهُمَا أحبُّ إلىَّ من الدنيا جميعاً**».

- وبالنسبة لصلاة الظهر يروى ابن عمر (رضى الله عنهما) «**أن رسول الله ﷺ صلَّى قبلَ الظهرِ ركعتين وبعدَهُ ركعتين**»..

وفى رواية صحيحة عن أم حبيبة (رضى الله عنها) قالت : «**قال رسولُ الله ﷺ من حافظَ على أربعِ ركعاتٍ قبلَ الظهرِ وأربعِ بعدَه حرَّمَهُ اللهُ على النارِ**».

وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى اللّه عنها: «أنَّ النبىَّ ﷺ كان لا يدعُ أربعاً قبلَ الظهر وركعتين قبل الغداةِ».

ـ وبالنسبة لصلاة العصر فهناك أربع ركعات قبله استناداً إلى ما رواه أبوداود والترمذى: «رَحِمَ اللّه امرءًا صلَّى قبلَ العصر أربعًا».

ـ وبالنسبة لصلاة المغرب فهناك ركعتان قبل الصلاة غير مؤكدتين وركعتان بعدها مؤكدتان.

ففى صحيح البخارى باب بعنوان «الصلاة قبل المغرب» وساق حديثين:

الأول: قال فيه النبى ﷺ: «صلُّوا قبلَ صلاةِ المغرب، قال فى الثالثةِ لِمَن شَاءَ، كراهة أن يتخِذَها الناسُ سُنَّةً» أى طريقة وشريعة لازمة..

والثانى: قول عقبة بن عامر الجهنى: «إنا كُنَّا نفعلُهُ على عهدِ رسول الله ﷺ».

فلما سُئِلَ: فما يمنعك الآن؟ قال: الشغل.

ـ وبالنسبة لصلاة العشاء فهناك ركعتان مؤكدتان بعدها، وفى صحيح البخارى بسنده عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال:

«حفظتُ من النبىِّ ﷺ عشرَ ركعاتٍ: ركعتين قبلَ الظهرِ وركعتين بعدَهَا، وركعتين بعدَ المغربِ فى بيتِهِ، وركعتين بعدَ العشاءِ فى بيتِهِ، وركعتين قبلَ صلاةِ الصُّبحِ».

فهذه هى النوافل المؤكدة التابعة للفرائض..

أما النوافل غير التابعة للفرائض فهى كثيرة منها:

صلاة الضحى، وتُؤَدّى بعد طلوع الشمس وارتفاعها إلى الزوال وقت الظهيرة وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان وأوصلها بعضهم إلى اثنتى عشرة ركعة، والأحاديث فى ذلك متعددة ومتعارضة، ففى صحيح البخارى «أن ابنَ عمرَ (رضى الله عنهما) سُئِلَ: أَتُصلِّى الضُّحَى؟ قال: لا، قيل له: فعمر؟ قال: لا. قيل له: فأبو بكر؟ قال: لا، قيل له: فالنبى ﷺ؟ قال: لا إخاله» أى لا أظنه.

وساق البخارى عن عبدالرحمن بن أبى ليلى قوله: «ما حدَّثَنا أحدٌ أنه رأىَ النبىَّ ﷺ يصلِّى الضحى غير أمِّ هانئ فإنها قالت: إن النبى ﷺ دخلَ بيتها

يومَ فتح مكة فاغتسل وصلّى ثمانى ركعات، فلم أرَ صلاةً قط أخفَّ منها غيرَ أنه يتمُّ الركوعَ والسجودَ».

وقد حمل بعض العلماء هذه الصلاة يوم الفتح على أنها صلاة شكر لله تعالى.

ونقل البخارى عن عائشة (رضى الله عنها) قولها :

«ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ سَبح سُبْحَةَ الضحى، وإنى لأسبحها».

والسُّبْحة النافلة وأصلها من التسبيح، وخصت النافلة بذلك لأن التسبيح الذى فى الفريضة نافلة، فقيل لصلاة النافلة سُبحة لأنها كالتسبيح فى الفريضة.

وقولها : «إنى لأسبحها» جاء فى رواية أخرى : «إنى لأستحبها»، وحمل العلماء قولها : «ما رأيته سبحها» على الدوام أى لم يداوم عليها، وقولها : «إنى لأسبحها» أى أداوم عليها..

وأخبر أبو هريرة أن رسول الله ﷺ أوصاه بصلاة الضحى، ففى صحيح البخارى : «أوصَانِى خَليلِى بثلاثٍ لا أدعهُنَّ حتى أموتَ صوم ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ، وصلاة الضحَى، ونوم على وترٍ».

ولهذا جمع الإمام ابن القيم أقوال العلماء فى حكم صلاة الضحى فبلغت ستة هى:

الأول : أنها مستحبة.

الثانى : لا تشرع إلا لسبب .

الثالث : لا تستحب أصلاً.

الرابع : يستحب فعلها تارة وتركها أخرى بحيث لا يواظب عليها.

الخامس : تستحب صلاتها والمواظبة عليها فى البيوت.

السادس : أنها بدعة.. [1].

ومن الصلوات ذات الثواب العظيم قيام الليل أو التهجد، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2].

وقال جل شأنه فى وصف عباده المحسنين : ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3].

---

(١) نقلاً عن فتح البارى لابن حجر، جـ٣ ، ص ٥٥.

(٢) سورة المزمل : الآيات (١، ٢)

(٣) سورة الذاريات : الآيات (١٧ ، ١٨).

وهذه الصـلاة تؤدى بعد نوم مثنى مثنى و تختم بركعة واحدة تسمى وتراً فإن كان الإنسان غير معتاد لقيام الليل ختم صلاته بعد العشاء وسنتها بركعة يوتر بها..

ويراعى فى هذه الصلاة طول القيام والسجود حتى لقد ورد أن النبى ﷺ تفطرت قدماه وتشققت، وكان يسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدنا خمسين آية..

ويمكن للمسلم أن يصلى ما شاء من عدد الركعات، إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة أو خمس عشرة ركعة أو سبع عشرة ركعة.. والمهم أن يكون العدد وتراً، والمسألة متروكة لنشاط المرء وهمته ومدى فراغه أو شغله، وقد قال أنس (رضي الله عنه) - كما فى صحيح البخارى :

«كان رسولُ الله ﷺ يُفطِرُ من الشهر حتى نظنَّ ألاَّ يصوم، ويصومُ حتى نظنَّ ألاَّ يُفطر منه شيئاً، وكان لا تشاءُ أن تراهُ من الليل مُصلياً إلا رأيتَهُ، ولا نائماً إلا رأيتَهُ».

وهذا هو التطبيق العملى لقول الله تعالى : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[1].

ومن الدعاء المأثور لقيام الليل ما رواه البخارى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : **«كان النبيُّ ﷺ إذا قامَ من الليل يتهجَّدُ قال: اللهمَّ لك الحمدُ أنت قيِّمُ السمواتِ والأرض ومن فيهن، ولك الحمدُ لك ملكُ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولكَ الحمدُ أنتَ نورُ السمواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ أنتَ مَلِكُ السمواتِ والأرضِ، ولكَ الحمدُ أنتَ الحقُّ، ووعدُكَ الحقُّ، ولقاؤُكَ حَقٌّ، وقولُك حَقٌّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنارُ حَقٌّ، والنبيُّونَ حَقٌّ، ومحمدٌ ﷺ حقٌّ، والساعةُ حق، اللهمَّ لك أسلمْتُ وبكَ آمنتُ، وعليكَ توكَّلتُ، وإليكَ أنَبتُ، وبك خاصَمْتُ، وإليكَ حاكمتُ فاغفِر لى ما قدَّمتُ وما أخرَّتُ، وما أسررْتُ وما أعلنتُ، أنتَ المقدِّمُ وأنت المؤخِّرُ، لا إله إلا أنتَ - أو لا إلهَ غيرُك - ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ».**

***

(١) سورة المزمل : الآية (٢٠).

◆◆ الصـــلاةُ جامِــعــةً

وهناك صلوات تُؤدى فى جماعة على سبيل السنة أو فرض الكفاية ولا يسبقها أذان أو إقامة، وإنما ينادى لها : الصلاةَ جامعةً.. بفتح الكلمة الأولى على الإغراء ونصب الثانية على الحال، وهذه الصلوات هى صلاة الجنازة وصلاة العيدين وصلاة الكسوف أو الخسوف.

صـــلاة الجــنــازة (١) :

متى توفى مسلم وجب غسله و تكفينه والصلاة عليه ودفنه، ويراعى الترتيب بين هذه الأمور الأربعة.

وفى كيفية الغسل جاءت مجموعة أحاديث منها :

ما أخرجه البخارى فى صحيحه بسنده عن أم عطية الأنصارية - رضى الله عنها - قالت : « **دخلَ علينا رسولُ اللّهِ ﷺ حين تُوفِّيت ابنتُهُ فقال : اغسِلْنهَا ثلاثاً أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماءٍ وسدر، واجعلن فى الآخـرة كافوراً أو شيئاً من كافور، فإذا فرغتُنَّ فآذِنَّنِي، فلما فرغنا آذَنَّاه، فأعطانا حِقْوه فقال: أشعرنها إياه، تعنى إزاره** ».

والسدر شجر النبق يخلط بالماء من أجل النظافة أو يوضع على الجسد ثم يصب عليه الماء وهو أشبه بالصابون.

والكافور لون من الطيب قوى الرائحة، وقد يقال : حنط الميت أى طيبه بالحنوط وهو كل شىء يخلط من الطيب للميت خاصة، ومن الأفضل أن تكون الغسلات بالماء والكافور ثم يجفف بدن الميت ثم يجعل على بدنه وكفنه الحنوط حتى تظل رائحته نفاذة..

وغسل الميت يبدأ بالميامن ومواضع الوضوء، ويُراعى نقض شعر الرأس الطويل بلطف ليبلغ الماء إلى البشرة، فإن تناثر منه شىء ضم إلى الميت فى كفنه، ويجعل الشعر الطويل ثلاثة قرون، شعر الناصية وشعر الجانبين، وتلقى هذه الثلاثة خلف الظهر.

(١) الجنازة - بفتح الجيم وكسرها - لغتان ، وقيل الكسر أفصح، وقيل بالكسر للنعش وبالفتح للميت، ولا يقال نعش إلا إذا كان عليه الميت.

وإذا كان الميت محرماً بالحج والعمرة يغسل بماء وسدر، ولا يجعل فى غسله حنوط أو طيب، ويكفن ويكشف رأسه، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً.

وفى صحيح البخارى بسنده عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : «بينما رجلٌ واقفٌ مع رسولِ الله ﷺ بعرفةَ إذ وقعَ من راحلتِهِ فأقصعتهُ - أو أقعصته أو قصعته[1] - فقال رسولُ الله ﷺ : اغسِلُوه بماءٍ وسِدرٍ وكفِّنُوه فى ثوبين ولا تحنِّطُوه ولا تُخَمِّروا[2] رأسه، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً».

وشهيد المعركة لا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن بثياب المعركة عند جمهور العلماء.

وفى صحيح البخارى بسنده عن جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما - قال : «كان النبىُّ ﷺ يجمعُ بينَ الرجلينِ من قَتلى أُحُدٍ فى ثوبٍ واحدٍ ثم يقولُ: أيُّهم أكثرُ أخذاً بالقرآن؟، فإذا أُشير له إلى أحدِهِما قدَّمه فى اللحدِ وقالَ: أنا شهيدٌ على هَؤُلاءِ يومَ القيامةِ وأمرَ بدفنِهِم فى دمائِهِم ولم يُغَسَّلُوا ولم يُصلّ عليهم».

قال ابن حجر : «ولا فرقَ فى ذلكَ بين المرأةِ والرجلِ، صغيراً أو كبيراً، حرًّا أو عبداً، صالحاً أو غير صالح، وخرج بقوله : «المعركة» من جرح فى القتالِ وعاشَ بعد ذلك حياةً مستقرةً، وخرجَ بحرب الكفار مَن ماتَ بقتالِ المسلمين كأهلِ البَغى، وخرجَ بجميع ذلك من سُمِّى شهيداً بسبب غير السببِ المذكورِ، وإنما يُقال له شهيد بمعنى ثواب الآخرة، وهذا كله على الصحيح من مذاهب العلماء.

والخلاف فى الصلاة على قتيل معركة الكفار مشهور :

قال بعضهم يصلى على الشهيد وهو قول الكوفيين وإسحق، وقال بعضهم لا يصلى عليه وهو قول المدنيين والشافعى وأحمد، وقال الشافعى فى الأم :

جاءت الأخبار كأنها عيان من وجوه متواترة أن النبى ﷺ لم يصل على قتلى أُحُد، وما رُوى أنه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح[3]»..

***

والتكفين إنما يكون بعد الغسل، والكفن من جنس ما يلبس حياً، فلا يجوز تكفين الرجال فى الحرير لأنه محرم عليهم حال الحياة، بل كره الإمام مالك

(١) كسرت عنقه. (٢) الخمار : غطاء الرأس.

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى، جـ٣، ص٢٠٩ : ٢١٠ .

وعامة الفقهاء التكفين فى الحرير مطلقاً للرجال والنساء، وأقل الكفن ثوب واحد يستر جميع البدن، والسنة أن يكون ثلاثة أثواب بيض، وقد يزاد قميص ثم عمامة للرجل وخمار للمرأة، وثمن الكفن من تركة الميت فإن لم تكن له تركة فعلى من تلزمه نفقته وإلا فمن بيت مال المسلمين..

والمغالاة فى الكفن منهى عنها شرعاً لأن الكفن للتراب، بل ذهب بعض العلماء إلى أن المغسول من الثياب أفضل من الجديد منعاً للإسراف.

وفى صحيح البخارى بسنده عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : «**دخلتُ على أبى بكر (رضي الله عنه) فقال : فى كم كفنتم النبى ﷺ ؟ قالت : فى ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ سحوليةٍ ليسَ فيها قميصٌ ولا عمامةٌ، وقالَ لها: فى أى يومٍ تُوفِّى رسولُ اللهِ ﷺ؟**

قالت : يوم الإثنين ، قال : فأىُّ يومٍ هذَا ؟

قالت : يوم الإثنين.

قال : أرجُو فيما بينى وبين الليل، فنظر إلى ثوبٍ عليه كان يُمَرِّض فيه، بِهِ ردع[1] من زعفَران، فقال : اغسلُوا ثوبى هذَا وزيدُوا عليه ثوبين فكفِّنونى فيهما، قلت : إن هذا خَلَق، قال : إن الحَىَّ أحقُّ بالجديدِ من الميتِ إنما هو للمهلة، فلم يتوفَّ حتى أمسَى من ليلةِ الثلاثاء ودُفِنَ قبلَ أن يُصبِحَ».

والسحول بالضم أو الفتح، قيل هو القطن النقى وقيل نسبة إلى بلدة يمنية تسمى بهذا الاسم.

وقولها «ليس فيها قميص ولا عمامة» يحتمل نفى وجودهما جملة، ويحتمل نفى دخولهما فى العدد أى أن القميص والعمامة زائدان على الثلاثة.

وقوله : «إنما هو لِلمُهلة» بضم الميم وفتحها وكسرها، وقيل هو بالكسر الصديد، وبالفتح التمهل وبالضم عكر الزيت والمراد هنا الصديد أى أن الكفن للصديد فلا ينبغى المغالاة فيه..

***

وصلاة الجنازة ليس فيها ركوع ولا سجود حتى لا يتوهم الجهلاء أنها عبادة للميت..

(١) لطخ أى قطعة عليها زعفران.

وتحتاج إلى طهارة كاملة لأن النبى ﷺ افتتحها بالتكبير واختتمها بالتسليم وجعلها صفوفاً..

وصلاة الجنازة أربع تكبيرات يرفع يديه فيها جميعاً، واختار الثورى وأبوحنيفة الرفع فى التكبيرة الأولى فقط، ويقرأ المصلى الفاتحة عقب التكبيرة الأولى ويصلى على النبى ﷺ عقب الثانية ويدعو للميت عقب الثالثة ويقول فى الرابعة: **اللهم لا تحرِمْنا أجرَهُ ولا تفتِنَّا بعدَهُ و اغفِرْ لنا ولَه،** ثم يسلم تسليمة واحدة عند جمهور العلماء وتسليمتين عند الثورى وأبى حنيفة والشافعى وجماعة من السلف.

والاقتصار على أربع تكبيرات هو الذى عليه أكثر أهل العلم.

وقد اختلف السلف فى عدد تكبيرات صلاة الجنازة، ونقل الإمام ابن حجر فى ذلك ما يلى:

روى مسلم عن زيد بن أرقم أنه يكبر خمساً، ورفع ذلك إلى النبى ﷺ ، وروى ابن المنذر عن ابن مسعود أنه صلى على جنازة رجل من بنى أسد فكبر خمساً.

وروى ابن المنذر وغيره عن علىّ أنه كان يكبر على أهل بدر ستاً وعلى الصحابة خمساً وعلى سائر الناس أربعاً.

وروى أيضاً بإسناد صحيح عن أبى معبد قال : صليت خلف ابن عباس على جنازة فكبر ثلاثاً..

وذهب بكر بن عبدالله المزنى إلى أنه لا ينقص من ثلاث ولا يزاد على سبع.. وقال أحمد مثله لكن قال : لا ينقص من أربع.

وساق بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب قال : كان التكبير أربعاً وخمساً فجمع عمر الناس على أربع..

وروى البيهقى بإسناد حسن إلى أبى وائل قال : «**كانوا يُكبِّرُون على عهدِ رسولِ الله ﷺ سبعاً وستاً وخمساً وأربعاً فجمع عمر الناس على أربع كأطولِ الصلاة**»[1]..

***

(١) فتح البارى، جـ ٣ ، ص ٢٠٢.

ومن الدعاء الذى يُقال للميت عند الصلاة ما جاء فى صحيح مسلم بسنده عن عوف بن مالك قال : «صلّى رسولُ الله ﷺ على جنازةٍ فحفظتُ من دعائِهِ وهو يقول : اللهمَّ اغفِرْ لَهُ وارحَمْه وعَافِهِ واعفُ عنه، وأكرِمْ نُزُلَهُ، ووسِّعْ مُدخَلَهُ، واغْسِلْه بالماءِ والثلجِ والبَرَدِ، ونَقِّهِ من الخَطَايا كما نَقَّيتَ[1] الثوبَ الأبيضَ من الدنَس، وأبدِلْه دَاراً خيراً من دارِهِ وأهلاً خيراً من أهلِهِ، وزَوجاً خيراً من زوجِهِ، وأدخِلْه الجنةَ وأعِذْه من عذابِ القبر أو من عذابِ النار».

قال عوف بن مالك: حتى تمنيتُ أن أكونَ أنا ذلك الميتَ.

ويلاحظ أن الضمائر يُراعى فيها حالُ الميت ذكراً كان أو أنثى[2]، مفرداً أو جمعاً، ولا يُقال فى المرأة : زوجاً خيراً من زوجها لأن المرأة لا يجوز لها تعدد الأزواج.

وعند الصلاة على الطفل يكون الدعاء للوالدين بالأجر والمثوبة والعافية والرحمة.

وفى صحيح البخارى: قال الحسن: يُقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب ويقول: «اللهم اجعَلْهُ لنا فَرطاً [3] وسَلَفاً وأجرا».

ويجوز للنساء والصبيان أداء صلاة الجنازة، ويمكن للصبية أن يقفوا مع الرجال فى صفوفهم، أما النساء فيكن خلف الرجال..

وفى صحيح البخارى باب بعنوان «صلاة الصبيان مع الناس على الجنائز»..

ويقف الإمام عند وَسْط المرأة ورأس الرجل للاتباع فى ذلك.

وفى صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال : «صليتُ وراءَ رسولِ الله ﷺ على امرأةٍ ماتت فى نفاسها فقامَ عليها رسولُ الله ﷺ فى الصلاةِ وسْطَها».

ويرى بعض العلماء أن ذلك كان قبل اتخاذ النعش للنساء لسترهن، أما بعد اتخاذه فقد حصل الستر فلا فرق بين الرجل والمرأة ويقف الإمام حيث شاء.

واختلف العلماء فى الأحق بالإمامة فى صلاة الجنازة ونقل الإمام ابن حجر

(١) وفى رواية ـ كما يُنَقّى.

(٢) وإن قصد الشخص الميت فيمكن استخدام الدعاء للذكر والأنثى بضمير المذكر وإن قصد الجنازة جاز له تأنيث الضمائر كلها.

(٣) أى سابقاً إلى الحوض شافعاً لوالديه.

أن جماعة من أهل العلم قالوا إن إمام الحى أحق، وقال آخرون : الوالى أحق من الولى، وقال الشافعى : الولى أحق من الوالى[1].

ومن السنة أن يقف الناس صفوفاً خلف الجنازة حتى ولو كانوا قليلاً.

وفى صحيح البخارى بسنده عن جابر بن عبدالله «أن النبى ﷺ صلّى على النجَاشِى فكنتُ فى الصفِّ الثانِى أو الثالِثِ».

وفى رواية : «فصفَفْنا فصلّى النبىُّ ﷺ عليهِ و نحنُ صُفُوف».

ومن فاتته الصلاة على الميت يمكن أن يُؤَدِّيها فى أى مكان آخر ولو على قبره.

وفى صحيح مسلم بسنده عن أبى هريرة أن امرأة سوداء كانت تقم[2] المسجدَ أو شاباً ففقَدَها رسولُ الله ﷺ فسأل عنها أو عنه فقالوا: مات، قال أفلا كنتم آذنتمونى؟! قال : فكأنهم صغّروا أمرها أو أمره، فقال عليه الصلاة و السلام : دلونى على قبره، فدلوه فصلى عليها ثم قال : إن هذه القبورَ مملوءةٌ ظلمةً على أهلِهَا وإنّ الله عز وجل ينوّرها لهم بصلاتى عليهم».

وقد حث الرسول ﷺ على شهود الجنائز وتشييع الموتى والصلاة عليهم لما يناله الحى من الثواب وما يناله الميت من الشفاعة..

وفى صحيح مسلم بسنده أن أبا هريرة قال : «قال رسولُ الله ﷺ: من شَهِدَ الجنازةَ حتى يُصلّى عليها فله قيراطٌ ومن شهدَهَا حتى تُدفَنَ فله قيراطان، قيلَ: وما القيراطان؟ قال : مِثْل الجبلين العظيمين».

وفى رواية : أصغرهُمَا مثلُ أُحُد.

وكان ابن عمر يصلى على الجنازة ثم ينصرف فلما بلغه حديث أبى هريرة قال: لقد ضيعنا قراريطَ كثيرة..!!

وفى صحيح مسلم بسنده عن عائشة ـ رضى الله عنهاـ : «عن النبى ﷺ : مَا مِن ميتٍ تُصلّى عليه أُمَّةٌ من المسلمين يبلغون مائةً، كُلُّهم يشفعونَ له إلا شُفِّعُوا فيه».

وفى رواية عن ابن عباس : «ما مِن رَجُلٍ مسلمٍ يموتُ فيقومُ على جنازَتِهِ أربعون رجلاً لا يُشرِكون بالله شيئاً إلا شفَّعَهُم اللهُ فيهِ».

(١) فتح البارى، جـ٣ ، ص ١٩١ .

(٢) أى تزيل القمامة من المسجد وتنظفه.

وفى رواية أخرجها البخارى : «أيُّمَا مسلم شَهِد لَهُ أربعَةٌ بخيرٍ أدخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ، فقلنا : وثلاثةٌ؟ قال : وثلاثة، فقلنا : واثنان؟ قال : واثنان، ثم لم نسأله عن الواحِدِ».

والمعتبر فى ذلك شهادة أهل الفضل والصدق بما هو مطابق للواقع مما يعلمون، وما خفى فمرده إلى الله عزوجل..

وإذا كان الميت مشهوراً بالفسق فلعل دعاء الصالحين يلحقه فإن الأعمال داخلة تحت المشيئة الإلهية كما قال جل شأنه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[1].

***

◆◆ صلاة العيد

لدى المسلمين عيدان سنويان يرتبطان بركنين من أركان الإسلام، هما : عيد الفطر فى غرة شوال عقب صيام شهر رمضان، وعيد الأضحى فى اليوم العاشر من ذى الحجة عقب الوقوف بعرفة الذى هو أعظم أركان الحج..

وتؤدى صلاة العيد بعد شروق الشمس وارتفاعها، وهى ركعتان يكبر فى الأولى سبعاً غير تكبيرة الإحرام، وفى الثانية خمساً غير تكبيرة القيام كما هو مذهب الشافعى..

وقال مالك وأحمد : التكبيرات سبع فى الأولى، إحداهن تكبيرة الإحرام.

وقال الثورى وأبو حنيفة : أربع فى الأولى غير تكبيرة الإحرام، وثلاث فى الثانية غير تكبيرة القيام..

وكان رسول الله ﷺ يقرأ فى الركعة الأولى بسورة «ق والقرآن المجيد» وفى الركعة الثانية بسورة «اقتربت الساعة وانشق القمر».

ففى صحيح مسلم بسنده أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثى : «ما كان يقرأ بهِ رسولُ الله ﷺ فى الأضحى والفِطر؟

(١) سورة النساء : الآية (١١٦).

فقال: كان يقرأ فيهمَا بـ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ و﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

ولا شك أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يعلم ذلك لكنه أراد التثبت أو إعلام الناس بهذا الهدى النبوى.

وعقب انتهاء الصلاة يقوم الإمام بأداء خطبتين يذكر الناس فيهما بمعالم الإسلام وشعائر الدين ويحثهم على الصدقة ومكارم الأخلاق.

ويندب افتتاح الخطبة الأولى بتكبيرات تسع وافتتاح الخطبة الثانية بتكبيرات سبع كما هو مذهب الشافعى..

ولا سنة لصلاة العيد قبلها ولا بعدها..

ويحضر الصلاة جميع المسلمين رجالاً ونساء وصبية حتى ولو لم يؤد بعض النساء الصلاة لعذر شرعى فإن هذا اللقاء الطيب المبارك يعمق الإخاء والحب والمودة.

وفى صحيح مسلم بسنده عن أم عطية قالت : كُنا نُؤمَرُ بالخروج فى العيدين، والمخبأة والبكر، قالت : والحيض يخرجن فيكن خلفَ الناس يكبرن..

وفى رواية : «أمرَنا رسولُ الله ﷺ أن نُخرجَهن فى الفطر والأضحى، العواتق والحيض وذوات الخدور[1]، فأما الحيض فيعتزلن الصلاةَ ويَشْهَدن الخيرَ ودعوةَ المسلمين، قلت : يا رسولَ الله، إحدانا لا يكونُ لها جلبابٌ؟ قال : لتُلْبِسْها أختُها من جلبَابِها».

ولهذا يستحب صلاة العيد فى الخلاء والصحراء وفى مكان خارج المسجد يتسع لهذا الجمع الحاشد، ولا يأخذ حكم المسجد فى حرمة تواجد أصحاب الأعذار الشرعية[2]..

ومن فاتته صلاة العيد مع الإمام جاز له قضاؤها فى بيته، وقد جاء فى صحيح البخارى باب بعنوان : إذا فاته العيد يصلى ركعتين، وكذلك النساء ومن

(١) العواتق جمع عاتق وهى البالغة التى لم تتزوج، والمخبأة بمعنى ذات الخدر أى المنزل والمراد بها المتزوجة المصونة فى بيتها.

(٢) أهل مكة يؤدون صلاة العيد فى المسجد الحرام لشرفه واتساعه، ويرى الإمام الشافعى أن صلاة العيد فى المسجد أفضل إذا كان متسعاً.

كان فى البيوت والقرى، لقول النبى ﷺ «هذا عيدُنا أهل الإسلام» وأمر أنس بن مالك مولاهم ابن أبى عتبة بالزاوية فجمع أهله وبنيه وصلى كصلاة أهل المصر وتكبيرهم، وقال عكرمة : أهل السواد يجتمعون فى العيد يصلون ركعتين كما يصنع الإمام، وقال عطاء : إذا فاته العيد صلى ركعتين».

ويقصد البخارى من سوق حديث «هذا عيدنا» عموم حكم صلاة العيد لكل المسلمين رجالاً أو نساء، مقيمين أو مسافرين، فى الأمصار أو البوادى، والمراد بالزاوية موضع كان لأنس بن مالك يقيم فيه مع أهله قريباً من البصرة.

والمراد بالسواد أهل القرى والبوادى.

وكل ذلك ساقه البخارى ليؤكد عموم حكم صلاة العيد..

ويرى بعض الفقهاء أن من فاتته صلاة العيد أدى أربع ركعات..

ويصف لنا جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ صلاة العيد مع رسول الله ﷺ فيقول ـ كما فى صحيح مسلم :

شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاةَ يومَ العيدِ، فبدأ بالصلاةِ قَبل الخطبةِ، بغيرِ أذانٍ ولا إقَامَةٍ، ثم قامَ متوكئاً على بلالٍ فأمرَ بتقوى الله وحثَّ على طاعتِهِ، ووعظَ الناسَ وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساءَ فوعظهن وذكَّرهن فقال: تصدقْنَ فإن أكثركن حطبُ جَهنَّم.

فقامت امرأةٌ من واسطةِ النساءِ[1]، سفعاء الخدين[2] فقالت : لمَ يا رسول الله؟ قال: لأنكن تُكثِرْن الشكاة، وتكفُرن العشير، فجعلَ النساءُ يتصدَّقن من حُلِيهن، يُلقِين فى ثوبِ بلالٍ من أقرطتهن وخواتمهن».

وقد كانت الصلاة قبل الخطبة زمن رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر، فلما تولى الخلافة عثمان رأى أن الناس قد لا يدركون الصلاة فبدأ بالخطبة قبل الصلاة ليُفسح المجال لهؤلاء القادمين من الآفاق ومن أماكن بعيدة..

وفى عهد معاوية تقدمت الخطبة كى يحبسوا الناس لسماع الخطبة وينتظروا الصلاة..

(١) واسطة النساء من خيارهن والوسط العدل والخيار أى جَالسة فى وسط النساء.

(٢) سفعاء الخدين، فيهما تغير وسواد.

وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : «كانَ رسولُ الله ﷺ يخرجُ يومَ الفطرِ والأضحى إلى المُصَلَّى فأوَّلُ شيءٍ يَبدأُ بِهِ الصلاة، ثم ينصرفُ فيقومُ مقابلَ الناسِ - والناسُ جلوسٌ على صفوفِهِم - فيعظهُمْ ويوصِيهم ويأمُرُهُمْ»..

فإن كانَ يُريدُ أن يقطعَ بعثاً قطعَهُ، أو يأمرَ بشيءٍ أمرَ بهِ، ثم ينصرفُ..

قال أبو سعيد :

فلم يزل الناسُ على ذلك حتى خرجت مع مروان - وهو أمير المدينة - فى أضحى أو فطر - فلما أتينا المصلى إذا منبرٌ بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريدُ أن يرتقِيَه قبل أن يُصلى، فجبذت بثوبه فجبذنى، فارتفع فخطب قبل الصلاة.

فقلت له : غيرتُم والله، فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلتُ : ما أعلمُ والله خيرٌ مما لا أعلم، فقال : إن الناسَ لم يكونوا يجلسُون لنا بعد الصلاةِ فجعلتُها قبلَ الصلاةِ»...

وساق الإمام ابن حجر أن أول من خطب قبل الصلاة عثمان، صلى بالناس ثم خطبهم - يعنى على العادة - فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة ففعل ذلك أى صار يخطب قبل الصلاة، وهذه العلة غير التى اعتل بها مروان، لأن عثمان رأى مصلحة الجماعة فى إدراكهم الصلاة، وأما مروان فراعى مصلحتهم فى إسماعهم الخطبة..

وقيل إنهم كانوا فى زمن مروان يتعمدون ترك سماع الخطبة لما فيها من سب من لا يستحق السب، والإفراط فى مدح بعض الناس فعلى هذا إنما راعى مصلحة نفسه.

ويحتمل أن عثمان فعل ذلك أحياناً بخلاف مروان فواظب عليه فلذلك نسب إليه..

وجاءت روايات تفيد أن أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة فى العيد معاوية، فهذا يشير إلى أن مروان فعل ذلك تبعاً لمعاوية لأنه كان أمير المدينة من جهته..

وموقف أبى سعيد الخدرى مع مروان يؤخذ منه إنكار العلماء على الأمراء إذا صنعوا ما يخالف السنة، وفيه أيضاً حلف العالم على صدق ما يخبر به، وجواز عمل العالم بخلاف الأولى إذا لم يوافقه الحاكم، لأن أبا سعيد حضر الخطبة ولم ينصرف.

ويستدل بذلك على أن البداءة بالصلاة فى العيد ليست بشرط فى صحتها[1].

(١) فتح البارى، جـ٢ ، ص ٤٥٠ ، ٤٥٢ بتصرف.

صلاة الاستسقاء

حياة الكائنات مرتبطة بالماء، وقد قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[١].

واقتضت رحمة الله أن الماء ينزل من السماء ويخرج من الأرض ويفيض بقدر حاجة البشر، قال الله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[٢].

فإذا جف الماء أو تأخر المطر هلك الحرث والنسل، ولا نجد غير الله نلجأ إليه.. قال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[٣].

وطلب الماء من الله عزوجل هو المسمى الاستسقاء..

وهذا اللجوء إلى الله سبحانه له ثلاث صور :

الأولى : الدعاء مطلقاً بحيث يجأر الإنسان إلى الله في ليله أو نهاره، على انفراد أو في تجمع، رجالاً أو نساء. ويلح المرء في الدعاء حتى يستجيب الله له، فقد أمرنا الله بالدعاء ووعدنا بالإجابة، فقال جل شأنه : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٤].

الثانية : الدعاء أثناء إحدى الصلوات الخمس أو عقبها أو في خطبة الجمعة..

وفي صحيح مسلم بسنده عن أنس بن مالك «أن رجلاً دخل المسجد يومَ الجمعةِ من بابٍ كان نحوَ دارِ القضاء[٥]، ورسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ يخطبُ فاستقبلَ رسولَ الله ﷺ قائماً ثم قال: يا رسولَ اللهِ هلكت الأموالُ وانقطعت السبلُ فادعُ اللهَ يُغِثْنا قالَ: فرفعَ رسولُ الله ﷺ يَديهِ ثم قال: اللهُمَّ أغِثْنا، اللهُمَّ أغِثْنا، اللهُمَّ أغثنا..

(١) سورة الأنبياء : الآية (٣٠).
(٢) سورة المؤمنون : الآية (١٨).
(٣) سورة الملك : الآية (٣٠).
(٤) سورة البقرة : الآية (١٨٦).
(٥) هي دار لعمر بن الخطاب بيعت بعد وفاته قضاء لدين كان عليه، وكان يقال لها : دار قضاء دين عمر ثم اقتصروا في الكلام فقالوا: دار القضاء.

قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار[1].

قال : فطلعت من ورائه سحابةٌ مثل التُرْس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت.

قال : فلا والله ما رأينا الشمس سبتا[2]، قال : ثم دخل رجلٌ من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائماً، فقال : يارسولَ الله، هلكت الأموالُ وانقطعت السبلُ فادع الله يُمسكها عنا.

قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال :

اللهم حولنا[3] ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر[4].

فانقلعت وخرجنا نمشى فى الشمس».

الثالثة : صلاة ركعتين وأداء خطبتين، وهذه هى الصورة المثلى للاستسقاء..

وفى صحيح مسلم مجموعة روايات نسوق منها :

- «خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فاستسقى وحول رداءه حين استقبل القبلةَ».

- «خرج النبى ﷺ إلى المصلى فاستسقى واستقبل القبلةَ وقلب رداءه وصلى ركعتين».

- «خرج رسول الله ﷺ يوما يستسقى فجعل إلى الناس ظهره يدعو الله واستقبل القبلة وحول رداءه ثم صلى ركعتين».

- عن أنس قال : «رأيتُ رسولَ الله ﷺ يرفعُ يديه فى الدعاءِ حتى يرى بياض إبْطيه».

- عن أنس «أن النبى ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء».

(١) القَزَعة : بفتح القاف والزاى - القطعة من السحاب، وسَلْع بفتح السين وسكون اللام جبل قرب المدينة والمراد أنهم لم يجدوا سبباً ظاهراً ولا باطناً لسقوط الأمطار فالجو صحو والشمس ساطعة.

(٢) السبت القطع أى فترة من الزمن هى سبعة أيام متصلة يتواصل فيها المطر.

(٣) فى رواية حوالينا.

(٤) الآكام جمع أكمة وهى دون الجبل، والظراب جمع ظَرْب بفتح فسكون وهى الروابى الصغيرة والملاحظ أن الرسول لم يدع بانقطاع المطر كلية وإنما بتحوله إلى أماكن الانتفاع به.

وفى شرح هذه الأحاديث نلتقط من الإمام النووى ما يلى[1] :

١ ـ استحباب الخروج للاستسقاء إلى الصحراء لأنه أبلغ فى الافتقار والتواضع ولأنها أوسع للناس.

٢ ـ استحباب تحويل الرداء[2] فى أثناء خطبة الاستسقاء، قيل فى ثلث الخطبة الثانية وقيل حين يستقبل القبلة، وشرع التحويل تفاؤلاً بتغير الحال من القحط إلى الغيث ويكون التحويل من الإمام والمأمومين.

٣ ـ اختلف العلماء هل الخطبة قبل الصلاة أو بعدها؟ فذهب الشافعى والجماهير إلى أن الصلاة قبل الخطبة، وقال الليث الصلاة بعد الخطبة، فكل ذلك جائز والأفضل تقديم الصلاة.

٤ ـ اختلف العلماء هل يكبر تكبيرات زائدة فى أول الصلاة كما يكبر فى العيد، فقال به الشافعى وابن جرير، وقال الجمهور لا يكبر.

٥ ـ أجمع العلماء على استحباب الجهر بالقراءة فى الصلاة، وأجمعوا على أنه لا يؤذن لصلاة الاستسقاء ولا يقام ولكن يقال : الصلاة جامعة.

٦ ـ رفع اليدين فى الدعاء من هدى رسول الله ﷺ لكن الرفع فى صلاة الاستسقاء يكون بليغاً بحيث يرى بياض الإبط[3].

٧ ـ السنة فى كل دعاء لرفع بلاء أن يرفع يديه ويجعل ظهر كفيه إلى السماء، وإذا دعا لسؤال شيء وتحصيله جعل بطن كفيه إلى السماء أ.هـ.

هذا ويحرص الإمام فى خطبته على حث الناس على التوبة والصدقة ورد الحقوق لأصحابها وترك الشحناء والبغضاء والمبادرة إلى الصيام وكثرة الذكر، فالله تعالى يقول على لسان سيدنا نوح عليه السلام : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[4].

وتكرر الصلاة مع الخطبة يوماً بعد يوم حتى يستجيب الله تعالى الدعاء وينزل الغيث.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى، جـ ٦ ، ص ١٨٧ .

(٢) تحويل الرداء بجعل يمينه يساراً وعكسه ويجعل أعلاه أسفله، والرداء ما يغطى أعلى الجسم، ويقابله الإزار وهو ما يغطى أسفل الجسم.

(٣) الإبْط بسكون الباء ما تحت الجناح.

(٤) سورة نوح : الآيات (من ١٠ إلى ١٢).

ويمكن للمسلمين الذين لم يصبهم القحط أن يصلوا من أجل فريق منهم أصابهم القحط فى مكان آخر.. فإن المسلمين إخوة كالجسد الواحد والبنيان المرصوص..

ومن أعجب ما قرأت أنه لا يمنع أهل الذمة من حضور الصلاة وسماع الخطبة لأنهم مسترزقون وفضل الله واسع وقد يجيبهم استدراجاً لهم(١)..

ومن الدعاء الذى أسنده الشافعى :

«اللهم سُقيا رحمةٍ لا سُقيا عذابٍ ولا مَحْق ولا بَلاَء ولا هَدم.. اللهم على الظّرابِ والآكَام ومنابتِ الشجرِ وبُطونِ الأوديةِ.. الهم حَوَالينا ولا عَلَينا.. اللهم اسقنا غَيثاً، مُغيثاً، هَنِيئاً، مَرِيئاً، مَرِيعاً، غَدَقاً، مُجلِّلاً، سحًا، طبقا، دائماً(٢).. اللهم اسقنا الغيثَ ولا تجعلنا من القانِطِين.. اللهم إن بالعبادِ والبلادِ من الجهدِ والجوعِ والضنكِ ما لا نشكو إلا إليك.. اللهمَّ أنبت لنا الزرعَ وأدر لنا الضَّرعَ، وأنزلْ علينا من بركاتِ السماءِ، وأنبت لنا من بركاتِ الأرضِ، واكشِفْ عنا من البلاءِ مالا يكشفُهُ غيرُكَ.. اللهم إنا نستغفرُك إنك كنتَ غَفاراً»..

***

◆◆ صلاة الكسوفين

الكسوفان للشمس والقمر، وقد يختص الكسوف بالشمس، والخسوف بالقمر، قال الله تعالى : ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾(٣).

والمراد بالكسوف والخسوف ذهاب ضوء الشمس والقمر كلياً أو جزئياً..

وصلاة الكسوفين سنة، وهى ركعتان، فى كل ركعة قيامان، وقراءتان، وركوعان..

(١) الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع للشيخ محمد الشربينى الخطيب، جـ١ ، ص ١٦٦، ط المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٢٩ هـ.

(٢) المَريع بفتح الميم وكسر الراء، ذا ريع أى نماء، والغدق الكثير، والمجلل بكسر اللام أى يعم الأرض ويكسوها بالنبات، ويقال سح الماء إذا سال، والطبق بفتح الطاء والباء أى يستوعب الأرض، والضرع اللبن.

(٣) سورة القيامة : الآية (٨).

ويرى جمهور العلماء أنهما ركعتان كسائر النوافل..

يقرأ الفاتحة فى كل قيام[١]، ويطيل القراءة والركوع والسجود[٢]، وتكون القراءة جهراً.. وجمهور العلماء على أنه يُسِرُّ فى كسوف الشمس ويَجْهرُ فى خُسوف القمر..

ويستحب بعدها خطبتان[٣]، وتؤدى هذه الصلاة فى المسجد، ويحضره الرجال والنساء وكل مَنْ تصح منه الصلاة[٤]..

ووقتها هو وقت الكسوف أو الخسوف فى أى وقت من ليل أو نهار، لكن بعض الفقهاء منع أداءها فى الأوقات المنهى عنها، وجعل مكانها تسبيحاً[٥].

وفى صحيح مسلم بسنده عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : «خَسَفَت الشمسُ فى عهدِ رسولِ الله ﷺ فقامَ رسولُ الله ﷺ يُصلى فأطالَ القيامَ جداً، ثم ركعَ فأطالَ الركوع جداً ثم رفعَ رأسَه فأطالَ القيامَ جداً، وهو دُونَ القيامِ الأول، ثم ركعَ فأطالَ الركوعَ جداً، وهو دُونَ الركوعِ الأول.. ثم سجَدَ.

ثُم قامَ فأطالَ القيامَ وهُو دُونَ القيامِ الأول، ثم ركَعَ فأطالَ الركوعَ، وهُو دُونَ الركوعِ الأول، ثم رفعَ رأسه فقامَ فأطالَ القيامَ وهو دون القيامِ الأول ثم ركعَ فأطالَ الركوعَ وهو دون الركوعِ الأول ثم سجدَ..

ثم انصرفَ رسولُ الله ﷺ وقد تجلَّت الشمسُ فخطبَ الناسَ فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال : إن الشمسَ والقمرَ من آياتِ الله وإنهما لا ينخسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه، فإذا رأيتموهما فَكَبِّرُوا وادعوا الله وصلّوا وتصدَّقوا.. يا أمةَ محمد إنْ مِنْ أحد أغيرُ من الله أن يزنى عبدُه أو تزنى أَمَتُهُ.. يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً.. ألا هل بلَّغت».

وإنما ذكر الرسول ﷺ أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته

(١) يرى بعض العلماء أن الفاتحة فى القيام الأول فقط من كل ركعة.

(٢) ذهب بعض العلماء إلى أن السجود لا يطول بل يكون كالسجود المعتاد فى كل صلاة.

(٣) قال مالك وأبو حنيفة : لا خطبة لصلاة الكسوفين.

(٤) يجوز أن تؤدى فرادى.

(٥) راجع كتاب «الإفصاح عن معانى الصحاح» لابن أبى هبيرة، جـ١ ، ص ١٨٧، ١٨٨ ، ط المنشورات السعيدية بالرياض.

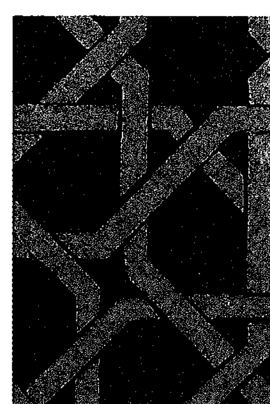
ليبطل قول المنجمين الذين يربطون مواقع النجوم بسعادة البشر أو شقاوتهم وحياتهم أو موتهم.

وقد صحح الرسول ﷺ عقيدة التوحيد الخالص لأن الكسوف يومئذ كان فى اليوم الذى مات فيه إبراهيم ابن الرسول الكريم من مارية القبطية وتحدث الناس قائلين : إنما انكسفت الشمس لموت إبراهيم..

ولما سمع الرسول ﷺ مقالة الناس هذه خرج مسرعاً يجر رداءه ويبعث منادياً يقول : الصلاة جامعة.

وتسامى الرسول ﷺ فوق حزنه الشديد لفراق إبراهيم وصلى بالناس صلاة الكسوف وذكرهم بعقيدة التوحيد ودعاهم إلى التوبة والدعاء والصدقة والتكبير والذكر..

***



٢ فتـــــاوى فـــى الطهـــارة والصـــلاة

١ ـ الثـــوبُ الطويـــلُ

س : بعض الشباب يشمر رجل البنطلون أو السروال أثناء الصلاة، والبعض يلبس ثوباً إلى منتصف الساق، ويقولون إن الصلاة لاتُقبل من مسبل الإزار، وإن ما زاد عن الكعبين فهو فى النار.. فما مدى صحة هذه الأقوال؟

***

ج : القاعدة الشرعية فى المأكل والملبس ما قاله ابن عباس ـ رضى الله عنهما: كُلْ ما شِئتَ والبَسْ ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرفٌ أومخيلةٌ.

ومسألة إسبال الثوب أو عدم إسباله مرتبطة بالرجال فقط ولا تتعلق بالنساء، فإن المرأة مطالبة شرعاً بستر جميع بدنها ماعدا الوجه والكفين بالصورة الطبيعية من غير افتعال فى لفت النظر إليهما.

والأحاديث فى موضوع الإسبال منها المُطلق كقوله عليه الصلاةوالسلام فى صحيح البخارى : «ما أسفل من الكعبين من الإزارِ ففى النارِ».

هذا الحديث وأمثاله مُطلق فيحمل على المُقَيّد فى مثل قوله ﷺ فى صحيح البخارى : «من جَرَّثوبه خُيلاءَ لم ينظُر الله إليهِ يومَ القيامةِ».

وقوله ﷺ : «لايَنظُرُ اللهُ يومَ القيامةِ إلى مَن جرَّ إزارَهُ بَطَراً».

وقوله عليه الصلاة والسلام : «بينَمَا رَجلٌ يَمشِى فى حُلَّةٍ تُعجبُهُ نفسُهُ، مُرجّلٌ جُمّته (أى مسرح شعره المسترسل) إذ خسفَ اللهُ بهِ، فهو يتجلجَلُ إلَى يومِ القيامَةِ».

فالصلاة فى أى ثوب ساتر للعورة صلاة صحيحة، وخشوع الصلاة مطلب شرعى، وأى تقصير فى الخشوع فهو يخل بثواب الصلاة ويمنع قبولها، وهناك فرق بين صحة الصلاة وقبولها فقد تكون الصلاة صحيحة من حيث الأركان والشروط ولا ثواب فيها لصاحبها لإخلاله بالخشوع..

وإسبال الثوب أو عدم إسباله مرتبط بعادات الشعوب، والمهم شرعاً هو الابتعاد بالملبس عن الشهرة والخيلاء، والله أعلم..

***

◆◆ ٢ـ موضع النظر فى الصلاة

س : أين ينظر المصلى أثناء صلاته؟ هل ينظر أمامه أو ينظر إلى موضع سجوده؟

***

ج : يجب على المسلم أن يخشع فى صلاته بحيث يستحضر عظمة الله وجلاله ويطمئن فى ركوعه وسجوده وتسكن جوارحه ويقشعر بدنه، قال تعالى فى وصف المؤمنين المفلحين : ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(١).

ولا يجوز شرعاً رفع النظر إلى السماء أثناء الصلاة لقوله ﷺ ـ كما فى صحيح البخارى ـ : «ما بالُ أقوامٍ يرفعونَ أبصارَهُم إلى السماءِ فى صلاتِهِم؟ فاشتدَّ قولُه فِي ذَلكَ حتّى قالَ: لينتهُن عن ذلك أو لتُخطّفَنَّ أبصَارُهُم».

ويرى المالكية أن المصلى ينظر أمامه استدلالاً بقوله تعالى : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(٢).

فالنظر إنما يكون إلى الكعبة المشرفة عينها أو جهتها، كما استدلوا بقوله ﷺ ـ كما فى صحيح البخارى ـ : من رواية أنس بن مالك قال : «صلّى لنا النبىُّ ﷺ ثم رَقَا المنبرَ فأشارَ بيَدَيه قِبَلَ قِبلَةِ المسجدِ ثم قال : لقد رأيتُ الآنَ ـ منذُ صليتُ لكم الصلاةَ ـ الجنةَ والنارَ مُمَثَّلَتين فى قِبلةِ هذا الجدارِ، فلم أرَ كاليومِ فى الخيرِ والشرِّ، ثلاثاً».

(١) سورة المؤمنون : الآية (٢).
(٢) سورة البقرة : الآية (١٤٤).

فهذا الحديث يدل على أن الرسول كان ينظر أمامه.

وذهب الشافعية والحنابلة والأحناف إلى أن المصلى ينظر إلى موضع سجوده لأنه أقرب إلى الخشوع..

وفصل بعضهم فقال ينظر المصلى فى قيامه إلى صدره وفى ركوعه إلى موضع قدميه وفى حال سجوده إلى موضع أنفه وفى حال قعوده إلى حجره..

وأياً ما كان فالمدار على الخشوع واستجماع الفكر وتوجه القلب إلى الله عزوجل.

***

٣ ـ السياح فى المساجد

س : يدخل السياحُ المساجدَ رجالاً و نساء وقد يكونون فى أوضاع غير مناسبة، فما حكمُ الدين فى ذلك؟

***

ج : فروع الشريعة إنما يُخاطب بها المؤمنون، لأن الأصل فى قبول العمل هو الإيمان والتصديق، فالمدخل إلى فروع الدين هو العقيدة، وأحكام المساجد فى مثل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾(١) موجهة إلى المؤمنين، أما غير المسلم فلا يقبل منه عمل صالح حتى يؤمن إيماناً جازماً بأركان الإسلام وعقيدة التوحيد ورسالة محمد ﷺ.

وبالتالى فإن دخول غير المسلم إلى المساجد لزيارة أو سماع محاضرة أو مشاهدة أثر ـ من الأمور الجائزة التى أقرتها الشريعة بنصوص القرآن والسنة مادام دخولهم فى أدب ووقار واحترام وبما يتناسب مع القيم الإسلامية فى السلوك.

قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٢).

(١) سورة النساء : الآية (٤٣).

(٢) سورة التوبة : الآية (٦).

فسماع كلام الله تعالى قد يكون فى المسجد وقد يكون خارج المسجد والآية عامة.
وفى صحيح البخارى باب بعنوان «**دخول المشرك المسجد**».
وساق حديثاً عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : «**بعَثَ رسولُ الله ﷺ خَيلاً قِبَلَ نجدٍ، فجاءت برجلٍ من بَنِى حنيفةَ يُقال له ثُمامة بن أُثال، فربطوه بساريةٍ من سَوارِى المسجدِ**».
وجاء فى هذا الحديث فى باب المغازى أنه ظل ثلاثة أيام فى المسجد ثم أطلقه رسول الله ﷺ فلما خرج استشعر عظمة الإسلام فاغتسل وعاد إلى المسجد وأعلن الشهادتين وحسن إسلامه وقال : يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلىّ من وجهك فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه إلىّ، والله ما كان من دين أبغض إلىّ من دينك فأصبحَ دينُك أحبَّ الدِّينِ إلىَّ، والله ما كانَ من بَلدٍ أبغض إلىّ من بلدِكَ فأصبحَ بلدُك أحبَّ البلادِ إلىَّ».
وهكذا فالواجب أن نحسن إلى هؤلاء السياح ونقدم لهم سماحة الخلق الإسلامى عسى الله أن يُؤلف قلوبهم ويجمعهم على الهدى.

***

◆◆ ٤ ـ حُكمُ السّواكِ

س : ما حكم استعمال السواك؟ وهل هو ضرورى عند الصلاة؟

***

ج : من آداب الإسلام اليومية استعمال السواك وهو سنة مستحبة فى جميع الأوقات ولكنه فى خمسة أوقات أشد استحباباً، عند الصلاة وعند الوضوء وعند قراءة القرآن وعند الاستيقاظ من النوم وعند تغير رائحة الفم..
وتحصل السنة بكل مزيل للصفرة من الأسنان سواء كان عوداً من شجر الأراك ونحوه أو الفرشاة المعروفة حالياً..
قال العلماء : والمستحب أن يستاك عرضاً ولا يستاك طولاً لئلا يدمى لحم أسنانه ويستحب أن يمر السواك أيضاً على طرف أسنانه وكراسى أضراسه وسقف حلقه إمراراً لطيفاً، ويستحب أن يبدأ فى سواكه بالجانب الأيمن..

وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ : «لولا أن أشقّ على أُمّتِى لأمرتُهُم بالسواكِ عندَ كلِّ صلاةٍ..

وذلك لأن الإسلام حريص على نظافة المسلم وطهارته وخاصة عند الصلاة التى يُناجى فيها ربه وتحضرها الملائكة ويجتمع فيها مع إخوانه المؤمنين..

وفى صحيح مسلم : «أن عائشة - رضى الله عنها - سُئلت : بأى شىءٍ كان يبدأ النبى ﷺ إذا دخل بيتَه؟ قالت : كان إذا دخلَ بيتَه يبدأُ بالسواكِ»..

وعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «كان رسولُ الله ﷺ إذا قامَ ليتهجدَ يشوصُ فاه بالسواكِ» أى يدلّك أسنانه بالسواك..

وهذا كله إرشاد نبوى كريم حتى يظل المسلم طيب الرائحة كريم النفس سليم البدن، فالطهارة شطر الإيمان..

◆◆ ٥ ـ الدّورةُ الشهرية

س : تأتى إلىّ الدورة الشهرية فى الأسبوع الأول بشكل عادى والأسبوع الثانى أقل منه ثم بعد ذلك يستمر أثر الدورة بشكل ضعيف جداً حتى آخر الشهر، فماذا أفعل بالنسبة للصلاة؟

***

ج : المعروف شرعاً وعادة أن أقل الدورة الشهرية يوم وليلة و متوسطها ست أو سبع وأكثرها خمسة عشر يوماً بلياليها.. وتدع المرأة خلالها الصلاة والصيام ولا قضاء عليها بالنسبة للصلاة لتكررها اليومى ومشقة ذلك على المرأة، أما الصيام فيقضى لأنه أيام معدودات، وفى صحيح البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : «إن كانَ يُصيبُنا ذَلكَ - أى الحيض - فنُؤْمَرُ بقضاءِ الصيامِ ولا نُؤْمرُ بقضَاءِ الصلاةِ».

فإذا جاوزت الدورة الشهرية أقصى حد معروف لها فتمسى فى عرف الفقه الإسلامى استحاضة، وجاء فى صحيح الحديث : «أن امرأة قالت يا رسول الله : إنى امرأةٌ استحاضُ فلا أطهرُ أفأدعُ الصلاةَ؟ فقال: لا إنمَا ذلك عِرْقٌ وليس بالحَيضَةِ، فإذا أقبلَت الحيضةُ فَدَعِى الصلاةَ وإذا أدبرَت فاغسِلِى عنكِ الدّمَ وصَلّى».

فالمستحاضة كالطاهرة فى جميع الأحكام وعليها أن تحسب قدر عادتها إن كانت معروفة سابقاً أو استطاعت أن تميز بين دم الحيض والدم الزائد فإن لم تتمكن من ذلك اعتبرت دورتها خمسة عشر يوماً.. والأخت السائلة من هذا القبيل لأن الدورة تأتيها أسبوعين بشكل عادى أو قريب منه فتدع خلالها الصلاة وتتعلق بها سائر أحكام الحيض ثم بعد ذلك تغتسل الغسل الواجب وتتمتع بكل أحكام المرأة الطاهرة من صلاة و قراءة قرآن ومكث فى المساجد وغير ذلك، إلا أنها تؤمر بالاحتياط عند الطهارة من حيث التنظيف والحيلولة دون اندفاع الدم إلى الخارج ثم الموالاة بين ذلك والوضوء والصلاة، وتجدد وضوءها لكل فريضة مكتوبة، أما النوافل فتصلى ما تشاء.. ويلحق ذلك الحكم المرأة التى تصاب بنزيف لا علاقة له بنفاس أو حيض فإنها تحتاط وتصلى..

◆◆ ٦ـ لحمُ الإبلِ

س: هل صحيح أن من أكل لحم الإبل و جب عليه أن يعيد وضوءه؟

***

ج : جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنه لا يجب الوضوء من مأكول أو مشروب مَسَّته النار أم لا، وسواء كان لحم إبل أو غيرها، وقد استقر الشرع على أن المأكول مطلقاً ليس من نواقض الوضوء.

لكن للمسألة أصل دار حوله كلام للعلماء، فقد وردت أحاديث صحيحة بالأمر بالوضوء عقب أكل ما مسته النار أو أكل لحوم الإبل، وقد حملها جمهور العلماء على بادئ الأمر وأول التشريع ثم اعتراها النسخ، فقد ثبت فى الصحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ «**أن النبى ﷺ أكل عَرْقًا أو لحماً ثم صلى ولم يتوضأ ولم يمس ماء**».

وهناك من العلماء من حمل أحاديث الوضوء مما مست النار أو من لحوم الإبل على الوضوء اللغوى وهو النظافة بغسل الفم والكفين بعد الأكل و قبل الصلاة لئلا تبقى فى الفم بقايا يبتلعها حال الصلاة..

وإلى هذا الإشارة بحديث ابن عباس - رضى الله عنهما - : «أن النبى ﷺ شربَ لبناً ثم دَعَا بماءٍ فتمضمضَ وقال : إن له دَسَمًا».

ومن العلماء من حمل أحاديث الوضوء مما مست النار أو من لحوم الإبل على الندب بمعنى أنه من الأفضل بعد تناول الطعام المطهى - الوضوء للصلاة حتى ينشط المرء ويزيل عن نفسه الفتور الحاصل للبدن.

هذا وقد قال بنقض الوضوء الإمام أحمد بن حنبل وبعض علماء الحديث.

والله أعلم

***



٧- التيمُّمُ

س : إذا احتاج الإنسان إلى التيمم بدلاً من الوضوء فهل يتيمم قبل دخول الوقت أم بعده؟

***

ج : الأصل فى الطهارة هو الوضوء أو الغسل، ولا ينتقل إلى التيمم إلا عند العجز عن استعمال الماء أو فقده.

وحيث إن التيمم طهارة ضعيفة اشترط جمهور الفقهاء دخول الوقت للصلاة المكتوبة، ولا يؤدى المتيمم إلا فرضاً و احداً وما شاء من النوافل..

لكن فقهاء الظاهر وبعض الأئمة أجازوا التيمم قبل دخول وقت الصلاة..

ولكل وجهة فى فهم الآية الكريمة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[1].

فهل المراد إذا أردتم القيام سواء دخل الوقت أم لم يدخل، أو المراد إذا وجب القيام إلى الصلاة بدخول الوقت؟

وفى المسألة كلام طويل للأصوليين..

والله أعلم..

(١) سورة المائدة: الآية (٦).

◆◆ ٨ـ سـلـس الـبـول

س : أجريت عملية جراحية ترتب عليها نزول البول باستمرار.. فماذا أفعل فى طهارتى وصلاتى؟

***

ج : شرع الله تعالى منوط بوسع الإنسان، قال تعالى : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(١)، وقال جل شأنه : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٢).

ليس هناك فريضة شرعية إلا ويراعى فيها أصحاب الأعذار، فهذا الإنسان الذى يخرج منه ناقض للوضوء باستمرار له وضع شرعى عليه أن يتبعه لإتمام طهارته التى يترتب عليها قبول صلاته..

وهذا الوضع الخاص هو أن يبدأ استعداده للصلاة بعد دخول وقتها وليس قبله، وأن يستنجي ويتحفظ على موضع خروج الناقض للوضوء بوضع قطن أو عصابة أو ما شاكلها، ثم يوالى الإنسان بين استنجائه ووضوئه وصلاته، ولا يصلى بهذا الوضوء إلا فرضاً واحداً وما شاء من النوافل، وعليه أن يجدد وضوءه وطهارته لكل صلاة مفروضة..

ويعفى عما يصيب الإنسان المريض فى جسده أو ثوبه من النجاسات التى يعسر إزالتها أو يشق على الإنسان ملاحقتها..

ومن الأحاديث الصحيحة الواردة فى مثل هذه الحالات «**أن فاطمةَ بنتَ أبى حبيش جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسولَ الله : إنى امرأة أستحاض فلا أطهر (أى ينزل عليها الدم باستمرار) أفأدعُ الصلاةَ؟ فقال: لا، إنما ذلك عِرقٌ وليس بحَيضةٍ، فإذا أقبلت الحيضةُ فَدَعِى الصلاةَ، وإذا أدبَرَت فاغسِلِى عنك الدمَ وصلى**».

أى أن هذه المرأة التى ينزل عليها الدم باستمرار تحسب مدة حيضها وعادتها الشهرية فإذا انتهت اغتسلت الغسل الواجب واستأنفت حياتها العادية فى العلاقة الزوجية والصلاة بالكيفية التى أسلفناها..

وهكذا كل إنسان مريض بسلس من بول أو دم أو غير ذلك..

والله أعلم ..

(١) سورة البقرة : الآية (٢٨٦). (٢) سورة الحج : الآية (٧٨).

◆◆ ٩ ـ الوضوءُ فى دوراتِ المياهِ

س : يقوم بعض الناس بالوضوء داخل دورات المياه فما رأى الدين فى ذلك؟

***

ج : أجمعت الأمة الإسلامية على لزوم الطهارة للصلاة وأنها شرط من شروط صحتها فمن صلى من غير طهارة فصلاته باطلة سواء فى ذلك الفريضة والنافلة وفى صحيح مسلم عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لا تُقبلُ صلاةٌ بغيرِ طهورٍ**».

وفى فضل الوضوء يحدثنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فيقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لا يتوضأُ رجلٌ مسلمٌ فيحسنُ الوضوءَ فيصلى صلاةً إلا غفرَ اللهُ له ما بينَهُ وبين الصلاةِ التى تَلِيها**».

والوضوء مذكور فى القرآن المجيد فى قوله جل شأنه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[١].. فمتى قام المسلم بالوضوء على الوجه المشروع صح الوضوء أياً كان الموقع الذى يتوضأ فيه فالمدار على طهارة الماء واستيعاب أعضاء الوضوء، وهذا المعنى متحقق فى دورة المياه أو خارجها.. لكن التساؤل الوارد قد يكون بالنسبة لأذكار الوضوء ودعائه، وهنا نقول إن النية محلها القلب، ويُكره للشخص المشتغل بقضاء الحاجة أو الواقف فى محل قضائها أن يذكر الله تعالى بلسانه فلا يسبح ولا يرد السلام ولا يشمت العاطس ولا يقول مثل ما يقول المؤذن.. ويكون ذكره لله تعالى فى هذا الموقف بقلبه وفى نفسه من غير تحريك لسانه..

أما الدعاء الوارد عقب الوضوء مثل ما جاء متفقاً عليه : «**أشهدُ ألاَّ إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ**» وما يضاف إليه مما رواه الترمذى : «**اللهمَّ اجعلنِى من التوابين واجعلنِى من المتطهرين**»، وما يضم إليه مما رواه النسائى : «**سبحانَكَ اللهُمَّ وبحَمْدِكَ أشهدُ ألاَّ إلهَ إلا أنتَ وحدَكَ لا شريكَ لك أستغفِرُكَ وأتوبُ إليكَ**»، فيمكنُ للمتوضئِ أن يقوله مستقبلاً للقبلة بعد خروجه من هذا المكان.

(١) سورة المائدة : الآية (٦).

بقى تنبيه خاص وهو أن يحترز الإنسان عن أن يصيبه شيء من رشاش الماء أثناء وضوئه.

***

◆◆ ١٠ـ طهارةُ العائدِين من الجنازةِ

س : هل صحيح أن الإنسان إذا رجع من دفن الميت عليه أن يغتسل وإلا مات أحد أفراد بيته؟

***

ج : من الأغسال المسنونة أن يغتسل الإنسان الذى غَسَّل ميتاً وأن يتوضأ من حمل الجنازة سواء كان الميت مسلماً أم لا، وسواء كان الغاسل طاهراً أم لا، لأن هذا الغسل أو الوضوء للنظافة ولمعنى تعبدى آخر وليس لرفع الحدث أو غيره..

وقد أُستدل على ذلك بما رواه أبو هريرة ﷺ - وأخرجه الترمذى وحسنه - أن رسول الله ﷺ قال : «مَن غسَّلَ ميتاً فليغتسِلْ ومَن حَمَلَهُ فليتوضَّأ»..

وهذا الأمر للندب بقرينة حديث ابن عمر : «كُنَّا نُغسِّل الميتَ فمِنَّا من يغتسلُ ومنا من لا يغتَسِلُ» ولأن الإنسان لا ينجس حياً أو ميتاً، وقد يستعاض عن الغسل أو الوضوء بغسل اليدين لأنهما المباشرتان لبدن الميت وقد ورد بذلك أثر يقول : «فحسبُكُم أن تغسلوا أيدِيكُمْ».

هذا وأما القول بأن الإنسان إذا لم يغتسل من دفن الميت فإن أحد أفراد بيته يموت - هذا القول تشاؤم لا يقره الإسلام، والآجال كلها بيد الله لا تقدم ولا تُؤخر، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً﴾[1].

وعلى المسلم أن يصحح اعتقاده فى الله عزوجل ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال سبحانه : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2].

***

(١) سورة آل عمران : الآية (١٤٥).
(٢) سورة الحديد : الآية (٢٢).

◆◆ ١١ - الخشـوع فـى الصـلاة

س : كيف يتخلصُ الإنسان من الشواغل حتى يُؤدِّىَ الصلاةَ فى خشوع؟

***

ج : شأن المسلم إذا أراد الصلاةَ أن يستحضر عظمة الله جل شأنه ويذهب إلى الصلاة بوقار وسكينة من غير تسرع فى المشى أو استعجال فى النفس، وفى صحيح الحديث أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا أُقيمت الصلاةُ فلا تأتُوها و أنتم تسعَونَ وأتوها تمشون و عليكم بالسكينةِ فما أدركتم فصَلُّوا وما فاتكم فأتِمُّوا»..

ومن الأدب الإسلامى أن يُؤذن للصلاة فى أول وقتها وأن يقام لها سواء كنا نصلى فرادى أو فى جماعات فإن الشيطان يدبر عند سماعهما وقد أخبرنا بذلك الصادق المصدوق سيدنا محمد ﷺ .

كذلك علمنا الإسلام أن نتهيأ للفريضة بأداء السنة قبلها حتى تسكن النفس وتطمئن، ونهانا الرسول ﷺ عن الصلاة بحضرة الطعام لما فيه من اشتغال القلب به وذهاب كمال الخشوع، فقال - كما فى صحيح مسلم - «إذا قرب العشاءُ وحضرت الصلاةُ فابدءُوا به قبلَ أن تُصَلُّوا صلاةَ المغربِ ولا تعجلوا عن عشائِكُم»..

كذلك نهانا المصطفى عن الصلاة مع مدافعة البول والغائط فقالت عائشة - رضى الله عنها - : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا صلاةَ بحضرةِ الطعامِ ولا وهو يدافعهُ الأخبثان»..

وإذا دخل المسلم فى الصلاة استفتح قبل القراءة ودعا بالدعاء الوارد : «اللهمَّ باعِدْ بَينِى وبينَ خَطَايَاىَ كما باعَدتَ بينَ المشرق والمغربِ، اللهم نَقِّنِى من خَطَايَاىَ كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ، اللهم اغسِلْنِى من خَطَايَاىَ بالثلجِ والماءِ والبَرَدِ»..

ثم يتأمل ما يقرأ من القرآن ويركع ويسجد بطمأنينة وخشية ويعبد الله كأنه يراه وبذلك يؤدى الصلاة كاملة غير منقوصة..

***

◆◆ ١٢ ـ الالتفات في الصلاة

س : هل الالتفات فى الصلاة يبطلها؟

***

ج : شأن المسلم أن يخشع فى صلاته وتطمئن جوارحه، ويستحضر عظمة الله الكبير المتعال، قال الله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[(١)].

والالتفات فى الصلاة يتنافى مع الخشوع المطلوب فيها وهو من المكروهات التى تفوت على المصلى جانباً من ثواب الله عزوجل، وفى صحيح الحديث الذى رواه البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «سألتُ رسولَ الله ﷺ **عن الالتفاتِ فى الصلاةِ قال : هو اختلاسٌ يختلِسُهُ الشيطانُ من صلاةِ العبدِ**»..

وفى حديث أخرجه أحمد و ابن ماجة من حديث أبى ذر رضي الله عنه : «**لا يزالُ اللهُ مُقبِلاً على العبدِ فى صلاتهِ ما لم يلتفِت فإذا صَرَفَ وَجْهَهُ انصَرَفَ**»..

وقد يكون الالتفات مبطلاً للصلاة إذا استدبر المصلى القبلة بصدره أو انحرف عنها انحرافاً كبيراً..

وقد يتجاوز عن الالتفات إذا كان لحاجة ضرورية كإنقاذ طفل صغير أو ما شاكل ذلك..

ومما يتنافى مع الخشوع فى الصلاة رفع البصر إلى السماء، ففى صحيح الحديث أن النبى ﷺ قال: «**ما بالُ أقوامٍ يرفعونَ أبصارَهُم إلىَ السماءِ فى صلاتِهِمْ، فاشتدَّ قولُه فى ذَلِكَ حتَّى قالَ: لينتهُنَّ عن ذلك أو لتُخطَّفَنَّ أبصارُهُم**»..

وكان صحابة رسول الله ﷺ يستحبون ألا يجاوز بصر أحدهم موضع سجوده..

***

(١) سورة المؤمنون : الآيات (١، ٢).

◆◆ ١٣ ـ الشكُّ في الصلاةِ

س : هل شرودُ الذِّهن أثناءَ الصلاةِ يبطلُها؟ وماذا أفعل عندما أشك في ركن من أركان الصلاة؟

***

ج : أمر الله تعالى بالخشوع فى الصلاة وخضوع القلب له جل شأنه فقال : ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[1] وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[2]، وحرص الإسلام على كل ما يوفر للمصلى اتصال القلب بالله فأمر الرسولﷺ بالذهاب إلى الصلاة فى سكينة ووقار، ونهى عن الصلاة فى حضرة الطعام أو مع مدافعة الأخبثين و نهى عن رفع البصر إلى السماء والالتفات وغير ذلك حتى تسكن الجوارح ويخشع القلب ويصفو العقل للمناجاة والتدبر..

فعلى المصلى أن يجاهد نفسه لكى يؤدى الصلاة على الوجه المشروع الأكمل، وليس له من ثواب صلاته إلا ما عقل منها..

وشرود الذهن أثناء الصلاة يتنافى مع الخشوع المطلوب للصلاة ولكنه لا يبطل الصلاة ما لم يأت بأمر يبطلها..

وعندما يشك المصلى فى ركن من أركان الصلاة فلابد من الإتيان به وما بعده لغو فى ركعته، بمعنى أنه لو شك وهو ساجد أنه ترك الركوع فعليه أن يأتى بالركوع ثم السجود ويوالى صلاته..

ولو شك وهو فى آخر صلاته أنه ترك ركوع الركعة الأولى أتى بركعة جديدة بدلاً من الركعة التى ترك فيها الركن..

وفى كلا الحالين يسجد ندباً للسهو سجدتين، ومحله بعد التشهد الأخير وقبل السلام عند جمهور العلماء..

وقد سها رسول الله ﷺ فى صلاته تعليماً لأمته، وتعددت الأحاديث والمواقف، منها ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه وأخرجه الشيخان ـ قال : « صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ ـ أى إحدَى الرباعِيَّات ـ خمساً فلما سَلَّمَ قيل له : يارسولَ

(١) سورة البقرة : الآية (٢٣٨). (٢) سورة المؤمنون : الآيات (١ ، ٢).

اللهِ أحَدَثَ فى الصلاةِ شيءٌ؟ قال : وما ذاكَ؟ قالُوا : صليتَ كذا وكذا، فثنى رِجلَيهِ، واستقبلَ القبلةَ فسجَدَ سجدتينَ ثم سلَّم ثم أقبل على الناس بوجههِ فقالَ: إنه لو حدث فى الصلاةِ شيءٌ أنبأتكم به ولكن إنما أنا بشرٌ مثلُكُم أنسَى كما تنسونَ فَإذا نسِيتُ فذَكِّروني وإذا شكَّ أحدُكُمْ فى صلاتِه فليتحرَّ الصوابَ فليُتِمّ عليه ثم ليسجُدْ سجدتين».

***

١٤ ـ نشأة المساجد

س : فى قصة أهل الكهف نقرأ قول الله تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[١]، فهل كانت هناك مساجد قبل مسجد الرسول ﷺ؟

***

ج : الصلاة نداء الله الخالد فى كل الرسالات الإلهية، ولقد بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة للطائفين والعاكفين والركع السجود، وقد أطلق القرآن المجيد لفظ المسجد على الكعبة وبيت المقدس فقال : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[٢].

والمسجد هو مكان السجود، وطالما كان هناك صلاة وسجود، فهناك مسجد، فهو البقعة الطاهرة التى تتخذ مكاناً للصلاة ، وعلى هذا فكلمة المسجد تعم سائر أماكن العبادة فى كل رسالات الله إلى البشر.

لكن الكلمة قد تنقل إلى معنى خاص، فأصبحت كلمة المسجد الآن مخصوصة بالمسلمين، فأماكن عبادة المسلمين هى التى تسمى مساجد، وأطلقت ألفاظ أخرى لغير المسلمين كالصوامع والبيع والكنائس وغير ذلك، قال تعالى : ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾[٣].

ومقالة الناس فى قصة أهل الكهف : ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ محل نظر وبحث،

(١) سورة الكهف : الآية (٢١) . (٢) سورة الإسراء : الآية (١).
(٣) سورة الحج : الآية (٤٠).

أولاً : من القائل هل هم المؤمنون أو المشركون؟، ثانياً : هل هم محمودون فى مقالتهم هذه أو لا؟ والذى عليه أهل العلم أن اتخاذ المساجد على القبور حرام ولا يجوز، وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك أشد النهى ولعن أصحاب الأديان الذين يعبدون من فى القبور.. وقال: «اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائهم وصالِحِيهم مساجد»، وقال: «إنَّ أولئكَ إذا كانَ فيهم الرجلُ الصالحُ فماتَ بنوَا على قبرهِ مسجِداً وصوَّروا فيه تلك الصورَ، أولئكَ شِرَارُ الخلقِ عندَ الله تعالى يومَ القيامَةِ»..

***

◆◆ ١٥ ـ صلاة الجمعة فى ظل رئاسة المرأة

س : عندما تتولى امرأة رئاسة الحكومة فى دولة إسلامية، هل تصح إقامة صلاة الجمعة والأعياد فى هذه الدولة؟

***

ج : هذا السؤال له شقان، الأول يتعلق برئاسة الدولة الإسلامية، هل تجوز للمرأة؟ والثانى يتعلق بإقامة صلاة الجمعة فى بلد لا حاكم له أو له حاكم امرأة..

ونقول ـ وبالله التوفيق : إن الإمامة الكبرى وهى رئاسة الدولة، لا تكون إلا للرجال لأنها نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا، وقد قال رسول الله ﷺ : «ما أفلحَ قومٌ أسندُوا أمرَهُم إلى امرأةٍ»، وبالقياس على إمامة الصلاة فى الجماعة والجمعة فلا تجوز باتفاق العلماء للنساء.. كما أن المرأة لم تتحمل رسالة التبليغ عن الله تعالى، قال عزوجل : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾(١).

وقد جعل الله قيادة الأسرة للرجل فكيف تكون قيادة الأمة للنساء؟! قال الله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾(٢).

ثم إن الإمامة تقتضى مباشرة أمور يضعف عنها النساء كقيادة الجيش

(١) سورة الأنبياء : الآية (٧). (٢) سورة النساء : الآية (٣٤).

وتدبير أمور الجهاد، وقد تستدعى مواقف تحظر على النساء كالخلوة مع الأجنبى والسفر الطويل فى صحبة الرجال.. وغير ذلك.

وبالنسبة للقضاء فقد اختلف الفقهاء فى اشتراط الذكورة، فقال الجمهور هى شرط فى صحة الحكم، وقال أبو حنيفة يجوز أن تكون المرأة قاضياً فى الأموال، وقال الطبرى: يجوز أن تكون المرأة قاضياً على الإطلاق فى كل شىء..

ويأتى هذا الخلاف فى مسألة الوزارة، لكن رأى الجمهور هو المعتمد الذى تسانده نصوص الشرع ويؤيده الواقع..

ولا يقدح هذا فى كرامة المرأة التى أكدها الدين وأعلى قدرها، وإنما المسألة راجعة إلى مراعاة طبائع الأشياء ومصالح العباد، وليس كل رجل مؤهلاً للإمامة والقضاء بل لابد من شروط خاصة هى العلم والعدالة والكفاءة وسلامة الحواس والأعضاء.. إلخ..

أما موضوع صلاة الجمعة : فالشروط العامة لصلاة الأوقات الخمسة هى شروط فى صلاة الجمعة لكن الجمعة تختص بشروط أخرى هى محل خلاف بين الفقهاء، مثل الإمام العام أى الحاكم، والمسجد الجامع، والمصر أى المدينة الكبيرة، والعدد الذى يؤدى الصلاة..

فيرى فريق من العلماء أن وجوب الجمعة مرتبط بوجود حاكم يقيم الحدود، ولابد أن تؤدى فى مسجد جامع وسط مدينة كبيرة..

ولم يشترط فريق آخر هذه الشروط، فأبو حنيفة اشترط الإمام والمصر ولم يشترط العدد، واشترط مالك المسجد الجامع وترك اشتراط المدينة والسلطان، واشترط الشافعى المسجد الجامع والعدد أربعين رجلاً، وذهب الإباضية إلى القول بالإمام أو نائبه والمسجد الجامع والمصر؛ لكن يبقى تساؤل هل هذا الخلاف فى الوجوب أو الصحة؟ بمعنى أن صلاة الجمعة قد لا تجب ولكنها تصح، فالمسافر أو المرأة مثلاً لا يجب عليهما صلاة الجمعة لكن تصح منهما..

فهل الإمام بمعنى الحاكم العام شرط لصحة صلاة الجمعة؟

جمهور العلماء على أن الحاكم العام ليس شرطاً لصحة الجمعة، فتصح صلاة الجمعة مع وجود الحاكم العادل والجائر، وتصح الجمعة بدون وجود حاكم مطلقاً طالما التقى الناس فى جماعة وأمهم مسلم تصح منه الصلاة فخطبهم وصلى بهم..

وبالتالى فعندما تتولى امرأة رئاسة الحكومة فى دولة إسلامية يجب أن تظل الجمعة قائمة والمناسبات الدينية واضحة المعالم حتى لا نفرط فى ديننا، وحتى لا تضيع معالم التوجيه الإسلامى الذى يصحح للناس كل أسبوع مسيرة حياتهم..

ولنعلم أن دوام الحال من المحال، وسنة الله جارية بالتغيير، وما على المؤمنين الصادقين إلا توحيد الكلمة وجمع الصف ومواصلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]..

***

◆◆ ١٦ ـ الصلاةُ أثناءَ العملِ المتواصلِ

س : ظروف عملى تجعلنى أقضى اليوم كله خارج البيت وتضيع علىّ الصلاة فأشار علىّ بعض الناس أن أؤدى الصلاة قبل خروجى للعمل ركعتين ركعتين فأنا الآن أصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء قصراً فى البيت قبل الذهاب للعمل فما رأى الدين فى ذلك؟

***

ج : شرع الله تعالى الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً وجعل لكل وقت بدءاً ونهاية، ولتوزيعها على اليوم والليلة حكم جليلة فهى تربط المسلم بربه وتجعله دائم اليقظة فلا يتعدى حدود الله قال سبحانه : ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2].

وشأن العبادات أنها توقيفية تتلقى من الوحى المعصوم وليس لنا أن نقدم فيها أو نؤخر، ولم يرد فى شرع الله قصر للصلاة أو جمع إلا فى السفر أو المرض بشروط خاصة وبكيفيات معينة بحيث يصلى الظهر والعصر معاً أو المغرب والعشاء معاً تقديماً أو تأخيراً وليس هناك صورة مشروعة يجمع فيها بين العصر والمغرب مثلاً..

(١) سورة الرعد : الآية (١١).

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤٥).

كما أن قصر الصلاة بمعنى أدائها ركعتين إنما هو للصلاة الرباعية فقط وهى الظهر والعصر والعشاء أما صلاة المغرب فتؤدى سفراً وحضراً ثلاث ركعات..

وعلى هذا فإن ما تفعله الأخت السائلة ليس له أصل مشروع فى الدين بل هو أداء للصلاة فى غير مواقيتها وبصورة غير جائزة شرعاً، والواجب عليها قضاء كل الصلوات التى أدتها بالطريقة التى أشارت إليها، فهى باطلة لم تنعقد، وعليها بعد ذلك أن تحافظ على الصلاة فى مواقيتها المحددة شرعاً سواء كانت فى البيت أو فى مكان العمل، ومادامت المرأة المسلمة ملتزمة بزيها الإسلامى الوقور وفى حدود الأدب العفيف فيمكنها أداء الصلاة حيث أدركتها فى أى مكان، والمسألة متعلقة بمدى الحرص على طاعة الله ومرضاته..

***

١٧ ـ الصلاة قبل رحلة الإسراء والمعراج

س : نعرف أن الصلاة فرضها الله علينا أثناء رحلة الإسراء والمعراج لسيدنا محمد ﷺ فهل كان المسلمون يصلون قبل هذه الرحلة؟ وما شكل هذه الصلاة؟ وما عدد ركعاتها؟

***

ج : فرض الله الصلاة فى شريعة كل نبى، ويكفى أن نعلم أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام رفعا قواعد البيت الحرام بمكة ليكون مسجداً للصلاة، قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[١].

وتضرع إبراهيم إلى ربه جل جلاله أن يوفق ذريته لأداء الصلاة فقال : ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾[٢].

وكانت الصلاة فريضة فى شريعة موسى عليه السلام، قال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

(١) سورة البقرة : الآية (١٢٥).
(٢) سورة إبراهيم : الآية (٤٠).
(٣) سورة يونس : الآية (٨٧).

وهكذا فريضة الصيام والزكاة والحج شرعت على لسان الأنبياء إلا أن كيفيات هذه الصلاة وتلك العبادات تختلف من شريعة لأخرى، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1].

وكان سيدنا محمد ﷺ فى بدء الدعوة الإسلامية يصلى منفرداً ويصلى بأهله ويصلى بالمسلمين وذكر العلماء أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها استئناساً بقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾[2]، وقوله جل شأنه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾[3]، ثم كان قيام الليل واجباً على النبى ﷺ وعلى أمته حولاً كاملاً ثم نسخ وجوبه فى حق الأمة ويقى واجباً فى حق الرسول ﷺ كما يشير إلى ذلك صدر سورة المزمل : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[4] وخاتمتها : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[5].

وعندما فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج قبيل الهجرة وكانت خمس صلوات بدأت مرحلة جديدة من التشريع نسخت المراحل السابقة كلها ثم لحقها تخفيف فى حال السفر وهو القصر بأن تؤدى الصلاة الرباعية مثنى، ففى الصحيح عن عائشة قالت : «**فُرِضَت الصلاةُ ركعتَينِ ركعتَينِ فى الحضرِ والسفرِ فأُقِرَّت صلاةُ السفرِ وزِيدَ فى صَلاةِ الحَضَرِ**».

***

◆◆ ١٨ ـ الصلاةُ خلفَ المذياع

س : نظراً لفقد بصرى وكبر سنى، وعدم مقدرتى على الذهاب إلى المسجد أؤدى الصلاة جماعة خلف المذياع فهل هذه الصلاة صحيحة؟

***

ج : نشكر للسيدة الفاضلة هذا الشعور الدينى الفياض ونقدمها مثلاً كريماً لهؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة من الرجال والنساء الذين لا يحرصون على

(١) سورة المائدة : الآية (٤٨).
(٢) سورة غافر : الآية (٥٥).
(٣) سورة ق : الآيتان (٣٩ ، ٤٠).
(٤) سورة المزمل : الآيات (١ ، ٢).
(٥) سورة المزمل : الآية (٢٠).

مواقيت الصلاة أو لا يؤدونها جماعة.. فهذه السيدة الفاضلة فقدت بصرها، وكبر سنها ومع ذلك يتحرك قلبها لأداء الصلاة جماعة فى إيمان وخشية..

قال ﷺ كما فى صحيح البخارى : «صلاةُ الرجلِ فى الجماعةِ تضعف على صلاتِهِ فى بيتِهِ وفِى سوقِهِ خمساً وعِشرين ضِعفاً وذلك أنه إذا توضّأ فأحسنَ الوضوءَ ثم خرجَ إلى المسجدِ لا يُخرجُه إلا الصلاةُ لم يخطُ خُطوةً إلا رُفِعَت له بِهَا درجةٌ وحُطَّ عَنه بِها خَطِيئَةٌ فإذا صَلَّى لم تَزَلْ الملائكةُ تُصلّى عليهِ (تدعو له) مادامَ فى مصلاهُ اللهُمَّ صلِّ عليهِ اللهُمَّ ارحَمْهُ.. ولا يزالُ أحدُكم فى صلاةٍ ما انتظرَ الصلاةَ»..

هذا ونقول للسيدة الكريمة إن حالتك هذه من الأعذار المبيحة للصلاة فى البيت ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ويمكنها أن تحظى بصلاة الجماعة إذا صَلَّت وهى فى البيت مع أى رجل يقيم معها أو أية امرأة تلازمها..

أما الصلاة خلف المذياع فهى غير صحيحة لأن من شروط الجماعة اجتماع الإمام والمأموم بمكان واحد، وعدم تقدم المأموم على الإمام، وإمكان الوصول إلى الإمام، وهى كلها منتفية فى الصلاة خلف المذياع.. فلا تصح الصلاة، وعليها إعادة الأوقات التى صلتها خلف المذياع فإن كانت كثيرة لا تعلم عددها بالتحديد فلتصلّ حتى يغلب على ظنها أنها قد وفّت ما عليها..

والله ولى التوفيق...

***

◆◆ ١٩ ـ إمامةُ الشابِّ غيرِ المتزوجِ

س : هل تجوز شرعاً خطبة الجمعة وإمامة الصلاة من الشاب غير المتزوج؟

***

ج : هناك حديث شريف يبين فيه الرسول ﷺ الأحق بالإمامة فيقول : «يؤمُّ القومَ أقرؤُهُم لكتابِ اللهِ، فإن كانُوا فى القراءةِ سواءً فأعلمُهم بالسُّنَّةِ، فإن كانوا فى السنةِ سواءً فأقدمُهُم هِجرةً، فإن كانوا فى الهجرةِ سواءً، فأقدمُهُم سِلْماً، وفى رواية فأقدمُهُم سِنًّا».

من هنا يتبين أن المدار على قراءة القرآن وفقه أحكام الشريعة فمن حازهما فهو المقدم ولو صغيراً.. وقد جاء فى حديث عمرو بن سلمة : «أنه كانَ يؤمُّ قومَهُ وهو صَبِيٌّ».

ويضاف إلى حسن القراءة وفقه الأحكام عدالة الإمام بمعنى ألا يقترف كبيرة ولا يُصر على صغيرة، فمتى ثبتت العدالة لشخص سواء كان شاباً أو كهلاً، وسواء كان متزوجاً أو غير متزوج فهو أهل للإمامة، فالزواج في حد ذاته ليس من مرجحات الإمامة اللهم إلا عند التساوى فى كل شيء فيقدم المتزوج على غير المتزوج.

ولا ننسى أن الشاب الذى اعتاد الخطابة ويؤم الناس فى المساجد ـ هو شاب نشأ فى عبادة ربه وهو من السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم القيامة.

والله ولى التوفيق

***

◆◆ ٢٠ ـ تحيَّةُ المسجدِ

س: الصلاة بين العصر والمغرب إذا كانت تحية للمسجد، هل هى مكروهة أم محرمة؟ وما حكم الدين فيمن يصليها؟

***

ج : الصلاة المفروضة لها ميقات معين، يجب على المسلم أن يلتزم به امتثالاً لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[1].

وهناك سنن تابعة للفرائض تؤدى قبلها أو بعدها، ومتى التزمنا بالميقات الشرعى صحت منا الصلاة فريضة ونافلة، ولا خلاف فى ذلك.

وهناك أوقات ورد نهى عن الصلاة فيها، فقد أخرج مسلم أن عقبة بن عامر الجهنى قال: «ثلاثُ ساعات كان رسولُ الله ﷺ ينهانا أن نُصلِّى فيها وأن نَقْبُرَ فيها موتانا، حين تطلعُ الشمسُ بازغةً حتى ترتفِعَ، وحين تقومُ قائمةُ الظهيرةِ حتى تميلَ، وحين تَضَيَّفُ الشمسُ للغروبِ حتى تغرُبَ».

(١) سورة النساء : الآية (١٠٣).

وأخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال: «إن رسولَ اللهِ ﷺ نهَىَ عن الصلاةِ بعدَ العصرِ حتَّى تغرُبَ الشمسُ، وعن الصلاةِ بعد الصبحِ حتى تطلُعَ الشمسُ».

واختلف العلماء فى الصلاة المنهى عنها فى هذه الأوقات، فذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أنها لا تجوز فى هذه الأوقات صلاة بإطلاق لا فريضة مقضية ولا نافلة إلا عصر يومه..

وذهب الشافعى إلى أن الصلاة المنهى عنها هى صلاة النوافل التى لا سبب لها وهى النفل المطلق فتكره فى هذه الأوقات، أما الفرائض أداء وقضاء والنوافل المرتبطة بسبب فإنها تؤدى فى جميع الأوقات بلا حرج، فتحية المسجد و سنة الوضوء وصلاة الجنازة كلها صلاة لها سبب متقدم أو مقارن فتجوز فى كل وقت..

والله أعلم

◆◆ ٢١ ـ النافلةُ قبلَ المغربِ

س : ما حكم صلاة ركعتين قبل فريضة المغرب؟

***

ج : من العلماء من يرى عدم أداء ركعتين قبل صلاة المغرب لأن وقت المغرب قصير وأداؤهما يؤدى إلى تأخير صلاة المغرب عن أول الوقت..

لكن المختار هو استحباب أدائهما فى زمن يسير لا تتأخر به الصلاة لثبوت ذلك فى الأحاديث الصحيحة وفعل كبار الصحابة لهما، ففى الصحيح عن أنس بن مالك قال : «كُنَّا بالمدينةِ فإذا أذَّنَ المؤذنُ لصلاةِ المغربِ ابتدرُوا السوارِيَ فيركعون ركعتين ركعتين حتَّى إنَّ الرجُلَ الغريبَ يدخُلُ المسجدَ فيحسبُ أن الصلاةَ قد صُلِّيت من كثرةِ مَن يصلِّيها».

وفى حديث آخر عن عبدالله المزنى قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : «بينَ كُلِّ أذانَين صلاةٌ، قالها ثلاثاً، وقالَ فى الثالثةِ: لِمَن شاءَ».

والمراد بالأذانين الأذان والإقامة.

◆◆ ٢٢ ـ الصلاة من أجل الموتى

س : أصلى ركعتين عقب كل فريضة و أهبُ ثوابهما لوالدىَّ اللذين تُوفيا، فهل هذا العمل مقبول شرعاً؟

***

ج : العبادات أمور توقيفية، بمعنى أنها تتوقف على ما ثبت عن صاحب الشريعة، وقد جاءت النصوص بجواز الحج عن الميت والصيام عنه.

ففى صحيح الحديث عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : «أن امرأةً أتت رسولَ الله ﷺ فقالت إنَّ أُمِّى ماتت وعليها صومُ شهرٍ فقالَ: أرأيت لو كان عليها دينٌ أكنت تقضينه؟ قالت : نعم، قال : فدَينُ اللهِ أحقُّ بالقَضَاءِ».

وفى حجة الوداع جاءت امرأة تستَفْتِى رسولَ الله ﷺ فقالَت : «إن فريضةَ الله على عباده فى الحج أدرَكَت أبى شيخاً كبيراً لا يستطيعُ أن يثبُتَ على الراحلةِ أفأحجُّ عنه؟ قال : نَعم».

ولم يرد نص صحيح فى جواز الصلاة عن الميت لا فرضاً ولا نفلاً، لكن الدعاء للميت و الصدقة عنه يغنيان عن ذلك..

وفى صحيح الحديث : «أن رجُلاً قالَ: يا رسولَ الله إن أُمِّىَ افتُلِتَت نَفْسُها ـ أى ماتت فجأة ـ ولم تُوصِ وأظُنُّها لو تكلمت تصدَّقت أفلها أجرٌ إن تصدقْتُ عليهَا؟ قال: نَعَم».

وعلى العموم فإن البر والمعروف بالوالدين ليس وقفاً على حياتهما فحسب بل يمتد أثره إلى ما بعد رحيلهما عن هذه الدنيا، وفى حديث رواه أحمد وأبو داود: «أن رجُلاً من الأنصارِ قالَ: يا رسولَ الله هَلْ بَقِىَ علىَّ من برِّ أبوَىَّ شىءٌ بعدَ موتِهِمَا أبرُّهُمَا بِهِ؟ قال: نعم، خِصالٌ أربَعٌ : الصلاةُ عليهما والاستغفارُ لهما ـ ومعنى الصلاة هنا الدعاء ـ وإنفاذُ عهدهما وإكرامُ صديقِهِمَا وصِلةُ الرَّحِمِ التى لا رَحِمَ لَكَ إلا مِن قِبَلِهِمَا فهو الذى بَقِىَ عليكَ من برِّهِمَا بعد مَوتِهِمَا».

فعلى الأخ السائل أن يترك صلاة الركعتين ويكتفى بما أشار إليه رسول الله ﷺ من الدعاء والاستغفار لهما والصدقة عليهما والحج أو العمرة عنهما إن استطاع وصلة ذوى رحماه.

◆◆ ٢٣ - إسقاط الصلاة عن الموتى

س : أوصتنى أختى قبل وفاتها بعمل إسقاط للصلاة التى فاتتها فى حياتها، وأنا الآن حائر.. كيف أسقط عنها الصلاة؟

***

ج : اتفقت كلمة العلماء على أمور تتعلق بالميت منها :

١ - ديون الميت التى عليه تخرج من تركته قبل توزيعها قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾(١)، ويلحق بذلك من مات وعليه زكاة وجب إخراجها من التركة قبل التوزيع فإن الالتزامات المالية لمن مات لا تسقط عنه وقد ثبت أن النبى ﷺ قال : «رُوحُ المؤمن مرهونةٌ بدَيْنِهِ حتى يُقْضَى عنه»..

٢ - من مات وعليه صيام أو حج جاز الصيام عنه والحج، وقد وردت الأحاديث الصحيحة فى ذلك فقد قدمت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: «إنى تصدَّقتُ على أمى بجاريةٍ - أى أهديتُها لها - وإنها ماتت ، فقال عليه الصلاة والسلام: «وجَبَ أجرُك وردُّها عليك الميراثُ» قالت : يا رسولَ الله إنه كانَ عليها صومُ شهرٍ أفأصومُ عنها؟ قال: صُومى عنها، قالت : إنها لم تحُجَّ قَطُّ أفأحُجُّ عنها؟ قال : حِجِّى عنها»، وفي رواية : «أن رَجُلاً سألَ مِثلَ ذلك فقالَ له عليه الصلاةُ والسلامُ: لو كانَ على أُمِّكَ دَينٌ أكنتَ قَاضِيه عنها؟ قال : نعم، قال : فَدَينُ اللهِ أحقُّ أن يُقضَى».

٣ - المدار فى العبادات على التوقيف والثبوت عن صاحب الشريعة ولم يرد نص صريح فى جواز الصلاة عمن مات، فمن مات وعليه صلاة فأمره مفوض إلى الله، وليس هناك شيء خاص يسقط عنه الصلاة، وكل ما هنالك هو الأمر بالدعاء للميت والاستغفار له والتصدق عليه.

وفى صحيح الحديث : «أن رجلاً قال : يارسولَ الله إن أُمِّيَ افتُلِتَت نفسُهَا - أى ماتَت فجأةً - ولم تُوص، وأظنُّها لو تكلمت تصدَّقَت أفلها أجرٌ إن تصدَّقْتُ عليها؟ قالَ: نعم».

(١) سورة النساء : الآية (١١).

وعلى هذا فإن السائل الكريم يعد وصيتها له بإسقاط الصلاة وصية بالتصدق عليها، فليتصدق عليها وليستغفر لها عسى الله أن يرحمها..

***

◆◆ ٢٤ـ صلاةُ المرأةِ فى المسجدِ

س : ما حكم ذهاب النساء إلى المساجد للصلاة وسماع دروس العلم؟

***

ج : المسجد فى حياة المسلمين هو جامعتهم الأولى التى يرتبطون بها من الصغر إلى اللحد، وتظل قلوبهم تهفوا إليه، ففى صحيح الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «سبعةٌ يُظِلُّهم الله فى ظِلّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظلُّه.. وعَدَّ منها.. رجلٌ قلبُهُ مُعلقٌ بالمَسَاجِدِ»، وكان مسجد رسول ﷺ ملتقى المسلمين جميعاً، وقد علمنا الرسول الكريم أدب اللقاء فى المساجد فجعل الصفوف الأولى للرجال ويليها صفوف الصبية ويليها صفوف النساء، وتروى أم سلمة إحدى أمهات المؤمنين «أن النِّسَاءَ فى عَهد رسَولِ اللهِ ﷺ كُنَّ ينصَرِفنَ من الصلاةِ المكتوبةِ فورَ تسليمِ الرسولِ من الصلاةِ ثم يمكثُ المصطفى مع أصحابِهِ يَسِيراً قبلَ أن يقومَ لكى ينصرفَ النساءُ قبل أن يُدرِكَهن الرِّجَالُ».
وقد خصهن الرسول ﷺ بمزيد التوجيه والعناية، ففى صحيح البخارى : «أن النبىَّ ﷺ لما فَرغَ من خُطبةِ العيدِ نزَل فأتَى النساءَ فوعظهنَّ وذكَّرَهن وأمرهن بالصَّدَقة»، قال راوى الحديث قلت لعطاء : «أترى حَقاً على الإمام الآن أن يأتىَ النساء فيذكرهن حين يفرغ قال : إن ذلك لحقٌّ عليهم وما لهم لا يفعلونه».
وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نخرج العواتق وذوات الخدور وهن الآنسات والسيدات إلى مصلى العيد ليشهدن الخير ودعوة المؤمنين..
كما أوصانا الرسول ﷺ بالسماح للزوجات لأداء الصلاة فى المساجد فقال: «لا تمنَعُوا إماءَ اللهِ مساجدَ الله»، وقال: «إذا استأذَنَكم نساؤكم بالليلِ إلى المسجدِ فَأْذَنوا لَهُنّ».

ويهذا يتبين أننا فى حاجة ماسة إلى أن نعيد المرأة المسلمة إلى المسجد بعد أن تفرقت بها السبل وتلقفتها أيدٍ آثمة من كل جانب.. وكل ما يطلب منها هو الالتزام بالزى الإسلامى الكريم والبعد عن المثيرات من تطيب أو تزين أو تفاخر بالثياب ومن غير اختلاط بالرجال أو إحداث جلبة وارتفاع أصوات فى المساجد.. فذلك أهدى سبيلاً..

***

٢٥ ـ الصلاة فى المنزل

س : ما رأى الدين فى مسلم لا يصلى الجمعة ولكنه يصلى الظهر بدلاً منها، ولا يذهب إلى المسجد ويؤدى جميع صلواته فى المنزل؟

***

ج : يوم الجمعة يوم مشهود فى الأرض وفى السماء، وقد جاء ـ فى صحيح مسلم ـ قول النبى ﷺ : «إذا كانَ يومُ الجمعةِ كانَ على كُلِّ بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبُونَ الأوَّلَ فالأول، فإذا جلسَ الإمامُ طَوَوا الصُّحُفَ وجاءُوا يستمِعُون الذكرَ».

وصلاة الجمعة واجبة عيناً على كل مسلم ذكر عاقل مقيم غير مريض، وجاء الأمر بها صريحاً فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وهناك وعيد شديد لمن ترك الجمعة بغير عذر شرعى، فقال عليه الصلاة والسلام: «لينتهيَنَّ أقوامٌ عن وَدْعِهِم الجُمُعاتِ أو ليَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم».

وبالتالى فإن المسلم الذى لا يؤدى صلاة الجمعة من غير عذر قد ارتكب كبيرة من كبائر الإثم، ولنعلم أن قضاء الجمعة يكون ظهراً، فمن فاتته صلاة الجمعة قضاها ظهراً أربع ركعات..

ومسألة أداء الصلوات فى المنزل دون ذهاب إلى المساجد، ومن غير مشاركة للمسلمين فى جماعات الخير، تجعل صاحبها مفرطاً فى جنب الله، وتفوت

(١) سورة الجمعة : الآية (٩).

عليه ثواباً عظيماً، والمداومة على ترك الجماعات وهجر المساجد تنبئ عن أن صاحبها على شعبة من النفاق..

وجاء فى صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «مَن سَرَّهُ أن يَلقَى الله غداً مُسلماً فليحافِظْ على هؤلاءِ الصلواتِ حيثُ يُنادِى بهنَّ، فإن اللهَ شَرَع لِنَبِيكمُ ﷺ سُنَنَ الهُدَى، وإنَّهُن من سُنَنِ الهُدَى، ولو أنكم صَلَّيتُمْ فى بُيُوتِكُمْ كما يُصَلِّى هذا المتخلِّفُ فى بيتِهِ لتركتُمْ سُنَّةَ نبيكم ﷺ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رَجلٍ يتطهرُ فيحسِنُ الطهورَ ثم يعمدُ إلى مسجدٍ من هذه المساجدِ إلا كَتَبَ اللهُ له بكل خطوةٍ يخطُوها حسنةً، ويرفعُه بها درجَةً ويحطُّ عنه بها سَيئةً، ولقد رأيتنا وما يتخلَّفُ عنها إلا منافقٌ معلومُ النفاق، ولقد كان الرجلُ يُؤتَى به يُهادَى بين الرجُلين حتى يُقامَ فى الصَّفِّ»..

***

◆◆ ٢٦ ـ قراءةُ القرآن فى السجودِ

س : هل يجوز قراءة آيات القرآن فى السجود؟

***

ج : نحن نلتزم فى كيفيات الصلاة وهيئاتها الوارد عن رسول الله ﷺ لقوله كما فى صحيح البخارى: «صلُّوا كمَا رأيتمُونِى أصَلِّى» وهكذا الشأن فى العبادات كلها فهى توقيفية تحتاج إلى صحة النقل عن صاحب الشريعة..

ففى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : «كشفَ رسولُ الله ﷺ الستارةَ والناس صفوفٌ خلفَ أبى بكرٍ فقال : أيها الناسُ إنه لم يبقَ من مُبشّراتِ النبوةِ إلا الرؤيا الصالحةُ يَرَاهَا المسلمُ أو تُرَى لَهُ، ألا وإنى نُهِيتُ أن أقرأَ القرآنَ راكِعاً أو ساجِداً فأما الركوعُ فعظِّمُوا فيه الربَّ عز وجلَّ وأما السجودُ فاجتهِدُوا فى الدعاءِ فَقَمِنٌ أن يُستجَابَ لَكُمْ».

ففى هذا الحديث النهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود وإنما الركوع خاص بالتسبيح، والسجود خاص بالتسبيح والدعاء، وقد اختلف العلماء فيمن قرأ شيئاً من القرآن فى ركوعه أو سجوده ما بين قائل بالكراهة وقائل بالتحريم وبطلان الصلاة..

وقد أخبرتنا السيدة عائشة - رضى الله عنها - فى عدة روايات صحيحة «أن الرسولَ ﷺ كان يكثرُ فى ركوعِهِ وسجودِهِ من قول: سُبحانَ الله وبحمدِهِ، أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه، وكانَ يقولُ: سُبُّوحٌ قدوسٌ ربُّ الملائكةِ والروحِ، وكان يقولُ فى سجودِهِ: اللهُمَّ أعوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ وبمعافاتِكَ من عقوبَتك وأعوذُ بِكَ مِنكَ لا أُحصِى ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ».

هذا وأما قراءة آيات الدعاء فى القرآن أثناء السجود مثل قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1]، ومثل : ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[2]، فيجوز ذلك بنيّة الدعاء والذكر لا بنيّة قراءة القرآن..

***

◆◆ ٢٧ـ دُعاءُ السجودِ

س : هَل للدُّعاءِ سجودٌ خاص ؟

***

ج : لعل السائل الكريم يقصد قول رسول الله ﷺ ـ كما جاء فى الصحيح ـ «أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربّهِ وهو ساجدٌ فأكثِرُوا الدعاء»..

فهذا الحديث الشريف ليس معناه أن يسجد الإنسان عند الدعاء بل معناه أن الإنسان إذا كان يؤدى الصلاة فرضاً أو نفلاً فليغتنم موقع السجود ليكثر من الدعاء فإن الدعاء فى السجود أقرب من رحمة الله وفضله لأنه موقف لا ينبغى لأحد إلا لله رب العالمين..

وقد كان هذا المعنى من آخر وصايا الرسول ﷺ ففى صحيح مسلم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «كشف رسولُ الله ﷺ الستارةَ والناسُ صفوفٌ خلفَ أبى بكر - أى وهو فى مرضه الأخير حين لم يخرج لإمامةِ الصلاةِ وأمر أبابكرٍ أن يُصلِّىَ بالناسِ - فقال: أيها الناس إنه لم يبقَ من مُبَشِّرَاتِ النبوةِ إلا الرؤيا الصالحةُ يَراها المسلم أو تُرى له، ألا وإنى نُهيتُ أن أقرأ القرآنْ راكعاً أو ساجداً فأما الركوعُ فعظِّمُوا فيه الربَّ عزوجل وأما السجودُ فاجتهِدُوا فى الدعاءِ فَقَمِنٌ أن يُستجَابَ لكمُ».

(١) سورة البقرة : الآية (٢٠١). (٢) سورة الكهف : الآية (١٠).

هذا وقد ورد فى مجموعة أحاديث صحيحة ما كان يقول الرسول ﷺ فى سجوده.. فعن أبى هريرة : «كان يقولُ فى سجودِهِ: اللهمَّ اغفِرْ لِى ذنبى كُلَّه دِقَّهُ وجلَّه وأوَّله وآخِره وعلانيَتَه وسِرَّه».

وعن عائشة : كان يقول : «اللهمَّ أعوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ وبمعَافَاتِكَ من عقوبَتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أحْصِى ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنَيتَ على نفسِكَ».

ومن كل ما تقدم نعلم أنه ليس للدعاء سجود منفصل عن الصلاة، وإنما الدعاء فى الصلاة أثناء السجود من المواقف التى هى أرجى للقبول، والدعاء جائز شرعاً فى الصلاة وفى غير الصلاة..

***

◆◆ ٢٨ ـ حكم البسملة

س : كنت أصلى إماماً فقرأت عقب الفاتحة آية الكرسى من غير بَسْمَلَة وبعد الفراغ من الصلاة قيل لى إن الصلاة باطلة لأنك قرأت آية واحدة والمطلوب ثلاث آيات وتركت البسملة، فما رأى الدين؟

***

ج : الفرض فى الصلاة الذى هو أحد أركانها بالنسبة للقراءة هو سورة الفاتحة فى كل ركعة من ركعات الصلاة لخبر الشيخين أن الرسول ﷺ قال: «لا صلاةَ لِمَن لَمْ يَقْرَأْ بفاتِحَةِ الكِتَابِ»... هذا هو القدر الذى لا تصح الصلاة بدونه، أما ما وراء ذلك من قراءة للسورة عقب الفاتحة فليس من الفرائض والأركان، وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه كما فى صحيح البخارى : «وَإن لَمْ تَزِدْ على أمِّ القرآنِ أجزأتَ وإن زِدتَ فهو خَيرٌ»..

ومن هذا المنطلق نقول : إن القراءة بعد الفاتحة من هيئات الصلاة وسننها وتتحقق السنة بقراءة سورة ولو قصيرة أو ثلاث آيات أو آية فى مقدار ثلاث آيات قصيرات.. وهى تُسنّ فى الركعتين الأُوْلَيَيْنِ من الصلاة من الإمام والمنفرد جهرية كانت الصلاة أو سرية أما المأموم فلا يقرأها إن سمع قراءة إمامة.

أما البسملة فالذى نختاره أنها آية من الفاتحة وآية أو بعض آية فى أول كل سورة من سور القرآن إلا براءة، وعلى القارئ أن يأتى بها حين البدء بأول السورة ويدعها فى غير ذلك..

وعلى هذا فصلاة السائل الكريم صحيحة وقد استوفت أركانها وسننها، وننبهه إلى أن الأولى فى القراءة عقب الفاتحة فى صبح هى طوال المفصل وفى ظهر قريب منها وفى عصر وعشاء أوساطه وفى مغرب قصاره وفى صبح الجمعة ﴿أَلَمٓ(١) تَنزِيلُ﴾ السجدة فى الأولى و«هل أتى» فى الثانية.. والمفصل هو السور الأخيرة من القرآن الكريم مبتدأة بسورة الحجرات على الأصح وسميت بذلك لكثرة الفصل فيها بين السور...

***

◆◆ ٢٩ ـ الصلاة على المنتحر

س : هل تجوز صلاة الجنازة على المنتحر؟

***

ج : إن الحياة هبة الله للإنسان بدءاً ونهاية فلا يجوز الاعتداء عليها لا من النفس ولا من الغير قال الله تعالى : ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(١).

وقد حذرنا الرسول ﷺ من الانتحار ونهانا أشد النهى، فقال كما فى صحيح البخارى : «مَن تردَّى من جبلٍ فقتلَ نفسَهُ فهو فى نارِ جهنمَ يتردَّى فيها خالداً مُخلداً فيها أبداً ومن تحسَّى سُمًّا فقتلَ نفسَهُ فسمُّهُ فى يدِهِ يتحسَّاه فى نارِ جهنمَ خالداً مُخلداً فيها أبداً ومن قتلَ نفسَهُ بحديدَةٍ فحديدتُهُ فى يدِهِ يَجَأُ بها فى بطنِهِ فى نارِ جهنمَ خالداً مُخلداً فيها أبداً».

وشأن المسلم العاقل أن يرضى بما قسم الله ويوطن نفسه على الرضا بمواقع القضاء فإن الإنسان لا يدرى أين تكمن مصلحته، قال جل شأنه : ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

(١) سورة البقرة : الآية (١٩٥).
(٢) سورة البقرة : الآية (٢١٦).

هذا وجمهور العلماء على أن مرتكب الكبيرة غير المستحل لها أمره مفوض إلى الله وأن الخلود فى الحديث السابق مراد به المكث الطويل وعلى ذلك فالمنتحر نصلى عليه صلاةالجنازة وكذلك كل مسلم لا يعلم عنه ارتداد عن الإسلام..

وأما ما ورد فى صحيح الحديث عن «**أن النبىَّ ﷺ أُتِى برجُلٍ قتَلَ نفسَهُ فلم يُصَلِّ عليهِ**» فمعناه أن النبى ﷺ لم يصل عليه بنفسه زجراً للناس عن مثل فعله وقد صلى عليه الصحابة ولم ينههم الرسول ﷺ..

وقد قال بعض العلماء إن الإمام يجتنب الصلاة على مقتول فى حد وإن أهل الفضل لا يصلون على الفساق زجراً لهم عن المعاصى.

هـذا واللـه أعلـى وأعلـم..

***

◆◆ ٣٠ـ تشييعُ الجنازةِ

س : إذا شيَّع مسلمٌ جنازة وكان جُنُباً هل تُكتب له حسنة؟

***

ج : من حق المسلم على المسلم أن يصلى على جنازته وأن يتبعها، لما روى فى الصحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «**من صلَّى على جنازةٍ ولم يتبعها فله قيراطٌ فإن تبعَهَا فله قيراطان**»، وكان ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يصلى على الجنازة ثم ينصرف فلما بلغه حديث أبى هريرة قال : **لقد ضيعنا قراريط كثيرة..**

فالشخص الذى يسير جُنُباً فى الجنازة سيحرم نفسه من ثواب الصلاة عليها قطعاً.. والمسلم أحوج ما يكون إلى حسنة توضع فى ميزانه يوم القيامة، ومما ينبغى العلم به أن الجنابة لا يتعلق بها نجاسة الأعضاء والمسلم لا ينجس حياً ولا ميتاً.. وفى صحيح الحديث أن : «**أبا هُريرةَ لقَى النبىَّ ﷺ فى طريقٍ من طرق المدينةِ وهو جُنُب فانسلَّ فذهب فاغتسَلَ، فتفقَّده النبى ﷺ فلما جاءَهُ قالَ: أين كنتَ يا أبا هريرة؟ قال: يا رسولَ الله لقيتنى وأنا جُنبٌ فكرهتُ أن أجالِسَك حتى أغتسِلَ، فقال عليه الصلاة والسلام : «سُبحانَ الله إن المؤمِنَ لا ينجسُ**».

ومذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً أن الآدمى طاهر البنية التى خلقها الله مسلماً كان أو غير مسلم، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[1]، فالمراد نجاسة الاعتقاد..

كذلك ينبغى العلم بأن الاغتسال الواجب إنما هو لأجل الصلاة والعبادات المتوقفة على الغسل فهو وجوب على التراخى وليس على الفور.

وكان ﷺ يذكر الله على كل أحواله وكان يدركه الفجر فى رمضان وهو جنب.. وسئلت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : «**كيف كانَ يصنعُ رسولُ اللهِ فى الجنابةِ أكانَ يغتسلُ قبلَ أن ينامَ أم ينامُ قبلَ أن يغتسِلَ؟ قالت: كُلُّ ذلكَ قد كان يفعلُ، رُبَّما اغتسلَ فنامَ وربما توضأ فنامَ**»..

قال السائل : «فالحمدُ لله الذى جعلَ فى الأمرِ سعةً»..

هـــذا وبـاللـــه التوفيـــق..

***

◆◆ ٣١ـ الصــــلاةُ بالحِــذاء

س : هل يجوز للإنسان أن يصلى صلاة الجنازة وهو لابس حذاء؟

***

ج : المدار فى الصلاة عموماً هو طهارة البدن والثوب والمكان فمتى تحققت الطهارة صحت الصلاة، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا تُقبلُ صلاةٌ بغيرِ طهورٍ**»، والطهور هو التطهر وهو شامل للوضوء والغسل والتيمم وإزالة النجاسات..

وقضية الصلاة بالأحذية ترتبط بهذا الحكم العام فحيث لا يكون فيها نجاسة جازت الصلاة، وقد جاء فى الصحيحين أن النبى ﷺ كان يصلى فى نعليه، فالصلاة فى النعل رخصة مباحة فعلها رسول الله ﷺ وأصحابه وذلك ما لم تعلم نجاسة النعل..

وقد يكون ذلك من باب التيسير لدى بعض الناس الذين تقتضيهم ظروفهم دوام ارتداء الأحذية أو يتعذر عليهم خلعها..

(١) سورة التوبة : الآية (٢٨).

وتدخل صلاة الجنازة فى هذا الحكم العام لأنها صلاة يشترط فيها ما يشترط لسائر الصلوات إلا أن لها وضعاً خاصاً يمكن معه أداؤها بالأحذية والنعال ولو تعلقت بها نجاسة، لأن صلاة الجنازة من قيام وليس فيها حركة وبالتالى فباطن النعل والحذاء سيكون طاهراً، والمصلى سيكون واقفاً على طاهر أما النجاسة فهى فى أسفل النعل ولا يضر ذلك..

وهناك نوع آخر من التيسير الشرعى بالنسبة للنجاسة فيرى بعض الفقهاء أن جفاف الحذاء ودلكه فى الأرض يكفى للتطهر..

وعلى كل فهذه رخص مَنّ الله بها على عباده نأخذ بها عند الاحتياج ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(1).

أما عند التيسر والسعة فالاحتياط أولى مراعاة لموقف المناجاة مع قيوم السموات والأرض.. وقد قال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾(2).

ثم إن مساجد اليوم تختلف عن مساجد الأمس، فالمساجد فى الماضى كانت حصباء وغير مفروشة، أما مساجد اليوم فمفروشة بالسجاد وقد يكون فاخراً فلا يليق بمسلم أن يدخلها بالحذاء حتى لا يؤذى المصلين.

***

◆◆ ٣٢ ـ الصلاة على الطفل

س : تُوفّى طفل بعد أسبوع من ولادته فدفن دون صلاة الجنازة عليه، واختلف الناس فى جواز ذلك فما رأى الدين؟

***

ج : صلاة الجنازة فرض كفاية يؤديها المسلمون على موتاهم سواء كانوا أطفالاً أم بالغين فكل مسلم حى إذا مات صلى عليه، فالشرط تحقق الحياة حتى قال الإمام أبو حنيفة «يُصلى على الجنين إذا نزلَ من بطنِ أُمّهِ بعدَ نفخِ الروحِ فيه أى بعدَ أربعةِ أشهرٍ فأكثر».. وقال مالك والشافعى : «لا يصلى على

(1) سورة الحج : الآية (٧٨).

(2) سورة طه : الآية (١٢).

السقط إلا إذا استهلَّ صَارِخاً ثم ماتَ».. وروى الترمذى عن جابر بن عبدالله عن النبى ﷺ أنه قال: «الطفلُ لا يُصلَّى عليهِ ولا يَرِثُ ولا يُورثُ حتى يستهلَّ صارِخاً»..

وعلى هذا فالطفل الذى عاش أسبوعاً ثم مات يجب شرعاً الصلاة عليه بعد غسله وتكفينه، فإذا دفن من غير صلاة كان إثما يتحمله أولياؤه الذين أقدموا على دفنه دون صلاة..

ويمكن تدارك ذلك بأن يصلى على القبر الذى دفن فيه الطفل، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على صحة الصلاة على الميت بعد دفنه مطلقاً سواء صلى عليه قبل الدفن أم لا..

من ذلك ما أخرجه الشيخان: «أن امرأةً كانت تَقُمُّ المسجدَ أى تُخرجُ القمامةَ منه فسألَ عنها النبىُّ ﷺ فقالوا: ماتَت، فقالَ: أفلا كنتم آذنتمُونى؟! فكأنهم صَغَّرُوا أمرها، فقالَ: دلُّونى على قبرِها فدلُّوه فصلَّى عليها».

ويدل له أيضاً صلاته ﷺ على البراء بن معرور فإنه مات والنبى ﷺ بمكة فلما قدم صلى على قبره، وكان ذلك بعد شهر من وفاته، ويدل له كذلك صلاته ﷺ على الغلام الأنصارى الذى دفن ليلاً ولم يشعر ﷺ بموته، أخرجه البخارى..

***

◆◆ ٣٣ ـ السُّورةُ بعدَ الفاتحةِ

س : ما حكم قراءة السورة بعد الفاتحة فى الصلاة؟

***

ج : شأن المسلم أن يتفقه فى الدين ويكون بصيراً بأمر عبادته، بل يجب على كل مكلف رجلاً كان أو امرأة أن يتعلم ما تصح به العبادة بحيث يفرق بين الفرض والسنة، قال عليه الصلاة والسلام: «مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيراً يُفقِّههُ فى الدِّين»..

وبالنسبة للقراءة فى الصلاة ذهب جمهور العلماء إلى وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة من ركعات الصلاة فرضاً كانت الصلاة أو نفلاً، إماماً كان المصلى أو مأموماً، ودليلهم على ذلك ما جاء فى الصحيح عن أبى هريرة

قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن صَلَّى صلاةً لم يَقرأ فيها بفاتِحَةِ الكتابِ فهى خِداجٌ يقولها ثلاثاً» ومعنى الخداج النقصان يقال خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوانه، فقيل لأبى هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال : اقرأ بها فى نفسك فإنى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : قسمت الصلاةَ بينى وبين عبدِى نصفين ولعبدِى ما سألَ فإذا قال العبدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حَمدنى عبدى، وإذا قال : ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى : أثنى علىَّ عبدى، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال : مجدنى عبدى وقال مرة : فوض إلىّ عبدى، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ...... إلى آخر السورة﴾ قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل»..

أما بالنسبة لقراءة السورة بعد الفاتحة فهى سنة لا يتعلق بها بطلان الصلاة ولا يرتبط بها سجود السهو وهى مستحبة فى الركعتين الأوليين من كل صلاة ماعدا الجنازة لأنها مبنية على التخفيف، ويرى فريق من العلماء مشروعيتها فى كل ركعات الصلاة الرباعية أو الثلاثية..

هذا وقراءة سورة قصيرة أفضل من قراءة آيات بقدرها من سورة طويلة، ويقرأ المصلى على ترتيب سور المصحف ويكره عكسه ولا تبطل به الصلاة. ودليل استحباب القراءة ما ورد فى صحيح الحديث : «من قرَأ بأُمِّ الكتابِ فقد أجْزأت عنه ومَن زادَ فهو أفضَلُ»..

والله أعلى وأعلم..

***

٣٤ - زيادةُ عددِ الركعاتِ فى الصلاةِ

س : لماذا لا نزيد فى عدد ركعات الصلاة المفروضة طالما كان القصد منها التقرب إلى الله تعالى؟

***

ج : التقرب إلى الله تعالى يكون بما شرع، والعبادات توقيفية بمعنى أننا نتلقاها

عن المعصوم ﷺ بلا زيادة أو نقص.. قال الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

وفى الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : «**من أحدَثَ فى أمرِنَا هذا ما ليسَ مِنهُ فهو ردٌّ**».

وفى رواية لمسلم : «**من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**».

وكان عليه الصلاة والسلام يقول فى خطبته: «**إنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهَدْى هَدْىُ محمدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ محدثاتُهَا**».

ومن لم يسعه شرع الله فلن يسعه شىء، والإنسان مهما عبد فلن يقدر الله حق قدره، فالإنسان ضعيف عاجز، ونعم الله لا تعد ولا تُحصى، و لهذا كان رسول الله ﷺ رفيقاً بأمته رحيماً بهم، فهو القائل : «**لن يُنجى أحداً منكم عملُهُ، قالوا: ولا أنت يا رسولَ اللهِ، قال ولا أنا إلا أن يتغمَّدنى الله برحمته، سدِّدُوا وقاربُوا واغدُوا وروِّحُوا وشىء من الدُّلْجة والقصدَ القصدَ تبلُغوا**»..

فالإنسان يلتزم بما شرع، ويتقرب بما بلغه رسول الله ﷺ فى اعتدال وقصد وبلا إفراط أو تفريط..

ومهما اخترع الإنسان من ألوان القرب فهو عاجز عن إدراك جلال الله وكماله، ولا يعرف الله إلا الله..

وإذا اقترح فرد عدداً من ركعات الصلاة فلن يكون هو الاقتراح الأوحد، وفتح هذا الباب لن يزيد الأمر إلا تعقيداً، وما من اقتراح إلا ويقابله اقتراح آخر فلابد من الوقوف عند المشروع فى دين الله عزوجل..

ومن أراد زيادة ركعات الصلاة تقرباً إلى الله تعالى فليؤد النوافل التابعة للفرائض، وليؤد النوافل المستقلة، وأمامه من قيام الليل ما شاء..

ولنتدبر قول رسول الله ﷺ فى الحديث القدسى: «**وما تقرَّبَ إلىَّ عبدى بشىءٍ أحب إلىَّ ممَّا افترَضتُه عليه ولا يزالُ عبدِى يتقرَّبُ إلىّ بالنوافلِ حتى أُحِبَّهُ**»..

***

(١) سورة الحشر : الآية (٧).

◆◆ ٣٥ ـ العهدُ الإبراهيمىُّ

س : أخذت عهداً يسمى الإبراهيمى بأن أقرأ ورداً عقب كل صلاة يستغرق حوالى نصف ساعة وأنا الآن فى حيرة فإن هذا الورد يعطلنى عن عملى ويعرضنى للعقوبات من قبل رؤسائى. فهل أترك الصلاة أم أترك الورد؟

***

ج : عهد الله وميثاقه سابق على كل إنسان بأن يعبد الله حق عبادته، والعبادة فرض ونفل، فالفرض أساس القرب من الله والنفل أساس المحبة، قال عليه الصلاة والسلام كما فى صحيح البخارى : «وما تقرَّبَ إلىَّ عبدِى بشىءٍ أحب إلىَّ مما افترضتُهُ عليه و لا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَه الذى يسمعُ به، وبصرَهُ الذى يُبصرُ به، ويدَهُ التى يبطِشُ بها ورِجلَهُ التى يَمْشِى بها ولئن سَألَنِى لأعطِيَنَّه ولئن استعاذَنَى لأُعِيذَنَّه».. وشرع الله يسر: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[1]، وقد قال عليه الصلاة والسلام فى الحديث المتفق عليه: «ما نهيتُكمْ فاجتنِبُوه وما أمرتُكم بهِ فأتُوا منه ما استطَعْتم»..

والفرق بين الفرض والسنة أن الفرض يُؤَدَّى فى كل الأحوال التى شرع فيها ولا يُترك بغير عذر حدده الشرع أما السنة فتُؤَدَّى فى بعض الأحوال وقد تُترك فى أحوال أخرى بغير عذر، بل قال بعض العلماء : من السنة ترك السنة، بمعنى أن ندع السنة فى بعض الأحوال حتى تتمايز عن الفرض..

وحيرة السائل إنما أتت من التزامه بالورد التزام الفرض وهذا خطأ فإنى لا أعلم ورداً عن رسول الله ﷺ يستغرق نصف ساعة عقب الصلاة وقد ورد التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثاً وثلاثين عقب الفريضة وهذا لا يستغرق وقتاً بل قد يؤديه الإنسان أثناء ممارسته لعمله الموكل به ولا يعطله عن شىء..

وذكر الله الوارد فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[2]، ليس فيه إلزام بهيئة خاصة أو كيفية معينة بل معناه أن يكون الإنسان فى

(١) سورة البقرة : الآية (٢٨٦).
(٢) سورة الأحزاب : الآية (٤١).

كافة شئون حياته على خشية من الله ومراقبة لحدوده واستحضار لعظمته سبحانه..

وعلى السائل أن يلتزم بما كلفه الله به من الفرائض وأداء الصلاة فى مواقيتها أما ما وراء ذلك من ذكر أو ورد أو ما شاكل ذلك فمتروك لفراغه ونشاطه وماائتلف عليه قلبه..

والله ولى التوفيق..

***

٣٦ ـ باسم اللهِ القُدُّوس

س : لماذا نقول : «بسم الله الرحمن الرحيم» ولا نقول باسم الله القدوس أو المتكبر وغير ذلك من أسمائه الحسنى؟

***

ج : التسمية فى أول كل عمل أو قول مطلب شرعى،وفى ذلك أحاديث كثيرة فقد روى أبو داود و حسنه ابن الصلاح أن النبى ﷺ قال : «كُلُّ أمرٍ ذِى بَالٍ لا يُبدَأُ فيه بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ فهو أجذَمُ» أى ناقص البركة، وقد ثبت فى صحيح الحديث أن الرسول ﷺ قال لغُلامٍ كان يأكلُ معه : «سمِّ اللهَ وكُلْ بيَمِينِكَ وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ».

وفى الصحيحين عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال : «لو أنَّ أحدَكُمْ إذا أرادَ أن يأتِيَ أهلَهُ قال: باسمِ اللهِ اللهمَّ جَنِّبْنَا الشيطانَ وجنِّب الشيطانَ ما رزقْتَنا، فإنَّهُ إن يُقدَّر بينهما وَلَدٌ لم يَضُرَّهُ الشيطانُ أبَداً».

واتفقت كلمة المسلمين على أن «بسم الله الرحمن الرحيم» بعض آية من سورة النمل و هو قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[1].

وذهب جمهور العلماء إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة فى القرآن غير براءة.

ومن كل ذلك فنحن نتبع الوارد ونقول «بسم الله الرحمن الرحيم».

(١) سورة النمل : الآية (٣٠).

ومن جهة أخرى فإن اختيار هذين الوصفين: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من بين سائر الأوصاف اللائقة بجلال الله وكماله يشير إشارة واضحة تامة إلى غلبة جانب الرحمة لطفاً بالعباد، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

وفى صحيح الحديث أن النبى ﷺ قال: «لمَّا خلقَ اللهُ الخلْقَ كَتَبَ فى كِتَابِهِ فهو عِندَهُ فوقَ العرشِ إنَّ رحمَتِى سبقَتْ غَضَبِى».

وذات يوم رأى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ امرأة تحتضن طفلها وترضعه بحب ولهفة فقال عليه الصلاة والسلام : «أترَونَ هذه المرأةَ طارحةً ولَدَهَا فى النارِ، قالُوا : لا واللهِ وهِيَ تقدرُ على ألاَّ تَطْرَحه، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: للهُ أرحمُ بعبادِهِ من هذهِ بوَلَدِهَا».

وهكذا فإن اختيار لفظ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فى البسملة تذكير بهذا المعنى الجليل وتلك النعمة الإلهية التى تستوجب الشكر والاستقامة على دين الله عز وجل..

***

◆◆ ٣٧ ـ الجهرُ والإسرَارُ فى الصَّلاةِ

س : لماذا تكون قراءة الإمام جهرية فى صلاة المغرب والعشاء والصبح، وتكون سرية فى الظهر والعصر؟

***

ج : من السنة أن يجهر الإمام والمنفرد فى صلاة الصبح والركعتين الأوليين من المغرب والعشاء، وفى صلاة الجمعة والعيدين و خسوف القمر والاستسقاء، وصلاة التراويح، وصلاة النافلة ليلاً..

ومن السنة الإسرار فى غير ما ذكر، ومسألة الجهر أو الإسرار بالقراءة ليست فرضاً ولا سنة تجبر بسجود السهو عند المخالفة بل هى هيئة من هيئات الصلاة يثاب فاعلها ولا شيء على تاركها..

وقد ورد فى صحيح مسلم عن أبى قتادة رضي الله عنه قال : «كان رسولُ الله ﷺ يُصلِّى بنا فيقرأ فى الظهرِ والعصرِ فى الركعتين الأُولَيَيْنِ بفاتحةِ الكتابِ

(١) سورة الأعراف : الآية (١٥٦).

وسورتين ويسمِعُنا الآيةَ أحياناً، وكان يطول الركعةَ الأُولى من الظهرِ ويُقصرُ الثانيةَ وكذلك فى الصُبح».

فقوله : «كان يُسمِعُنا الآيةَ أحْيَاناً» فيه بيان جواز الجهر فى القراءة السرية، وأن الإسرار ليس بشرط لصحة الصلاة..

هذا وقد ورد أن سبب نزول قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾[1] أن هذه الآية نزلت والرسول متوار بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون ذلك سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ﴾، أى بقراءتك حتى لا يسمع المشركون ﴿وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ أى عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾.

وجاء فى بعض الروايات : «فلمَّا هاجرَ إلى المدينةِ سقطَ ذلكَ، يفعلُ أيَّ ذلك شاءَ»..

وبهذا يتبين أن الجهر فى المغرب والعشاء والصبح وأن الإسرار فى الظهر والعصر استصحاب لوقت المشروعية الأول حين كان المسلمون لا يجهرون بالقرآن نهاراً خشية عنت المشركين..

وأما الجهر فى الجمعة والعيدين وصلاة الاستسقاء وغيرها فلأنها شرعت فى المدينة بعد الهجرة وقت أن كان للمسلمين السلطة والدولة..

وعلى المسلم حين يجهر أو يسر أن يستحضر هذه المعانى النبيلة ليعرف قدر السابقين فى الإسلام وجهادهم الكبير فى سبيل الله..

***

◆◆ ٣٨ ـ الجلوسُ فى المسجدِ حتى طلوعِ الشمسِ

س : نجتمع عقب صلاة الفجر فى المسجد نتلو القرآن حتى تطلع الشمس ثم نقوم لصلاة الضحى جماعة فنهانا بعض الإخوة وقالوا : إن هذا العمل بدعة.. فما رأى الدين فى ذلك؟

(١) سورة الإسراء : الآية (١١٠).

ج : الاجتماع عقب صلاة الفجر، وتلاوة القرآن حتى تطلع الشمس ثم صلاة ركعتى الضحى من الأعمال الصالحة التى يعظم أجرها ويتضاعف ثوابها..

وفى حديث رواه الترمذى وحكم عليه بالحسن، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صَلّى الفجرَ فى جماعةٍ ثم قَعَد يذكرُ اللهَ حتَّى تطلعَ الشمسُ ثم صَلَّى ركْعَتين كانت له كأجرِ حجةٍ وعُمرةٍ تامّة.. تامّة.. تامّة»..

وأخرج أحمد وأبو داود أن النبى ﷺ قال: «من قعدَ فى مصلاهُ حينَ ينصرفُ من صلاةِ الصبحِ حتى يسبحَ ركعتى الضُّحَى لا يقولُ إلا خيراً غُفِرَ له خطاياهُ ولو كانت أكثرَ من زَبَدِ البَحرِ»..

والأصل فى صلاة النافلة أن تُؤدَّى على انفراد ولا تشرع فيها الجماعة إلا ما استثنى كصلاة التراويح وصلاة العيدين وغيرها، والعبادات تقوم على الاتباع وليس الابتداع، ولعل الحكمة فى عدم مشروعية الجماعة فى صلاة النافلة هى التخفى بها والبعد عن الرياء كما أن معظم النوافل إنما تؤدى فى البيوت، وقد قال رسول الله ﷺ - كما رواه النسائى وابن خزيمة : «صلُّوا أيها الناسُ فى بُيُوتِكمُ فإن أفضلَ صلاةِ المرءِ فى بيتِهِ إلا الصلاة المكتوبة»..

وننصح السائل الكريم بأن يحافظ على ما اعتاده من صلاة الفجر فى المسجد وتلاوة القرآن حتى مطلع الشمس وبعد ذلك يصلى كل واحد على انفراد صلاة الضحى ولا تؤدى هذه الصلاة فى جماعة..

وصلاة الضحى أقلها ركعتان وقد تصلى أربعاً أو ستاً وقد تصل إلى اثنتى عشرة ركعة، وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال: «أوصانِى خليلِى بثلاثٍ لا أدعهُنَّ حتى أموت - صيام ثلاثةِ أيامٍ من كل شهرٍ، وصلاة الضحى، ونوم على وترٍ»..

***

◆◆ ٣٩ - كلمة آمين

س : هل لفظ «آمين» من تمام سورة الفاتحة؟ وما معناه؟

***

ج : سورة الفاتحة تنتهى عقب قوله تعالى ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ وليست كلمة «آمين» من الفاتحة اتفاقاً، وكلمة «آمين» اسم صوت، سمى به الفعل الذى هو استجب، وفى نطقها لغات، فقد تنطق بالمد «آمين»، وبالقصر «أمين»، وبالتشديد «آمّين»، فهى كلمة عربية، وعندما تقال عقب الفاتحة أو عقب الدعاء فمعناها: اللهم استجب..

ومن السنة أن ننطق بهذه الكلمة فى جميع أحوال الدعاء، سواء كنا فى الصلاة أو خارجها، وسواء كنا فرادى أو فى جماعة، وينطقها الإمام والمأموم لما جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أَمَّن الإمامُ فأمِّنوا، فإنَّهُ من وافقَ تأمينُه تأمينَ الملائكةِ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنبِهِ**»..

وفى صحيح مسلم: «إذا قال القارئ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ **فقال من خلفه: آمين، فوافق قوله قول أهل السماء غفر له ما تقدم من ذنبه**».

ومعنى موافقة أهل السماء فى التأمين أى فى زمانه، وقيل فى صفة خشوعه وإخلاصه..

ومن أمن على دعاء فكأنما قاله، وهو مشارك فى ثوابه وفضله، وقد استدل العلماء على ذلك بقوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(1).

فذكر الله تعالى الدعاء من موسى عليه السلام وحده، وفى سياق الكلام ما يدل على أن هارون أمن، فنزل منزلة من دعا، لقوله تعالى : ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾، فالمؤمن على الدعاء داع ومشارك فى الثواب..

***

٤٠ ـ صلاةُ الجمعةِ فى الزاويةِ

س : ما حكم صلاة الجمعة فى زاوية صغيرة تقع بجوار مسجد كبير تقام فيه الجمعة والمسافة بينهما أقل من مائة متر؟

(١) سورة يونس : الآيات (٨٨ ، ٨٩) .

ج : صلاة الجمعة لها أهميتها الكبرى فى الإسلام وقد أمرنا الله تعالى بأدائها فى وقت محدد، وحرم كافة الأعمال التى تشغل عنها وتعوق المحافظة عليها، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

ولفضل هذه الصلاة كان يؤدى خطبة الجمعة الرسول الكريم ﷺ والخلفاء الراشدون والحكام العادلون على مدى تاريخ الإسلام المجيد..

ولا يجوز تعدد صلاة الجمعة فى البلدة الواحدة إلا بقدر الحاجة لأنها صلاة جامعة تحدد فكر المسلمين وتبنى عقيدتهم وترشدهم إلى الخير والبر والمعروف، فلابد من وحدة التوجيه وسلامة الدعوة..

ومن هنا فنحن ننادى بالعودة إلى نظام المسجد الجامع أو مسجد الجمعة بحيث يقتصر أداء صلاة الجمعة فى مسجد أو مساجد بقدر الضرورة فى كل منطقة وتغلق باقى المساجد عند صلاة الجمعة وتظل مفتوحة لباقى الصلوات.. وبهذا نضمن حصر خطبة الجمعة على الخطباء الأكفاء الممتازين، فهم بطبيعة الحال قلة، وننزه ساحة الجمعة عن الدخلاء والجهلاء وخطباء الفتنة..

***

◆◆ ٤١ ـ إطالة خطبة الجُمعة

س : بعض الأئمة يُطيلون الصلاة وخطبة الجمعة ويحدث عقب الصلاة جدل ورفع للصوت وتقع أمور لا تليق بحرمة المسجد.. فهل من نصيحة توجهونها؟

***

ج : كل من تولى أمراً من أمور المسلمين فيسر عليهم وأحسن إليهم وترفق بهم كان ذلك فى ميزان حسناته يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام ـ كما فى صحيح مسلم : «اللهمَّ مَن وَلِيَ من أمر أُمَّتى شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه، ومن وَلِي مِن أمرِ أمَّتِى شيئاً فرَفَقَ بهم فارفُقْ بهِ»..

(١) سورة الجمعة : الآيات (٩ ، ١٠) .

والإمامة فى الصلاة لون من ألوان الولاية تحتاج إلى الرفق بالمصلين ومراعاة أحوالهم من الصحة والمرض، والكبر والصغر، والفراغ والشغل..

وكان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبى مع أمه وهو فى الصلاة فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة، وهو القائل : «إنى لأدخلُ الصلاةَ أُريدُ إطالتَهَا فأسمعُ بكاءَ الصبىّ فأخففُ من شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ»..

ويصف لنا جابر بن سمرة صلاة رسول الله ﷺ فيقول : «كانت صلاتُهُ قَصْداً وخطبتُهُ قَصْداً»، والقصد هو الاعتدال بين التطويل والتقصير..

ويقول أنس بن مالك : «ما صلَّيتُ وراءَ إمامٍ قَطُّ أخفَّ صَلاَةً و لا أتم صلاة من رسولِ اللهِ»..

فصلاة الجماعة يراعى فيها الاعتدال والتخفيف بحيث لا يخل بسننها ومقاصدها، وهى صلاة بعيدة عن التطويل الممل والتقصير المخل..

ومراعاة مقتضى الحال من البلاغة، وخير الكلام ما قل ودل، والناس أعذار، منهم المريض والشيخ الكبير ومن يدافع الحدث، ومن يكون مشغولاً بأمور لا تحتمل التأجيل..

وقد اشتكى الناس على عهد رسول الله من بعض الأئمة الذين يطيلون الصلاة فقال أحدهم : يا رسول الله إنا أصحابُ نواضح [أى إبل نستقى عليها] نعملُ بالنهارِ [أى نتعب فلا نستطيع تطويل الصلاة] وإن مُعاذاً يصلى العشاءَ فيفتتحُ بسورةِ البقرةِ، فأقبلَ رسولُ اللهِ على مُعاذٍ فقالَ: يا معاذُ أفتانٌ أنتَ [أى أتريد أن تفتن الناس فى دينهم] اقرأْ بِكَذَا واقرَأْ بكذا وأشارَ إلى سُورةِ الشَّمْسِ، والضُّحى، والليلِ، والأعلى..

وفى موقف آخر جاء رجل وقال : يا رسولَ اللهِ إنى لأتأخَّرُ عن صلاةِ الصبحِ من أجلِ فلانٍ مما يُطِيلُ بِنَا، يقول الراوى: «فما رأيتُ النبىَّ ﷺ غَضِبَ فى موعظةٍ قطُّ أشدَّ مما غَضِبَ يومئذٍ فقالَ: «يا أيُّها الناسُ إن منكم مُنَفِّرِينَ، فأيُّكم أمَّ الناسَ فليُوجِزْ فإنِ مِن وَرَائِهِ الكبيرَ والضَّعِيفَ وذَا الحَاجة».

وفى رواية : «وإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ فليُصَلِّ كَيفَ شَاءَ»..

***

◆◆ ٤٢ ـ جمعُ التبرُّعاتِ

س : ما رأى الدين فى جمع التبرعات من المصلين أثناء خطبة الجمعة؟

***

ج : تحظى صلاة الجمعة بقدر كبير من الاهتمام فى الإسلام، وخاصة خطبة الجمعة إذ هى تجديد للفكر الإسلامى وتفقيه للمسلمين ليكونوا على بصيرة فى أمر دينهم.

وقد جاء فى صحيح الحديث أن رسول الله ﷺ قال : **«إذا كانَ يومُ الجمعةِ كانَ على كُلِّ بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبُونَ الأولَ فالأول فإذا جلسَ الإمامُ طوَوا الصحفَ وجاءُوا يستمِعُون الذِّكرَ»**..

فالمسلم مطالب شرعاً بحسن الإنصات للخطيب، والإقبال بالقلب والجوارح على الخطبة حتى يحظى بالغفران، وقد قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ كما فى صحيح مسلم : **«من توضأَ فأحسنَ الوضوءَ ثم أتَى الجمعةَ فاستمَعَ وأنصتَ غُفِرَ له ما بينَهُ وبينَ الجمعةِ وزيادة ثلاثةِ أيامٍ»** لأن الحسنة بعشر أمثالها..

وكل إنسان يحدث كلاماً أو تشويشاً أو يقع منه إعراض عن الخطبة كأن يعبث بحصا المسجد أو بأى شيء فى يده و لو مسبحة تلهيه عن السماع كل ذلك يحبط ثواب جمعته، بل لا يجوز شرعاً الإعراض عن الخطبة بقراءة قرآن أو ذكر أو تسبيح وفى ذلك يقول الرسول ﷺ ـ كما فى الصحيح : **«إذا قلتَ لصاحِبِكَ أنصِتْ يومَ الجمعةِ والإمامُ يخطُبُ فقد لَغَوْتَ»**..

فإذا كان الرسول قد عد الأمر بالمعروف أثناء الخطبة من الكلام الباطل المنهى عنه، فغيره أولى..

وطريقة الأمر بالمعروف هنا تكون بالإشارة إليه فقط من غير كلام..

وعلى هذا فإن جمع التبرعات أثناء الخطبة لغو باطل يجب الإقلاع عنه وأقل ما فيها أنها تقطع فكر المصلى عن متابعة الخطبة عندما يخرج النقود ويضعها فى الصندوق مثلاً، كما أن فيها تخطياً لرقاب الناس لمن يحمل الصندوق.. فإذا ضممنا لذلك ما قد يحدث من جلبةومناولة وغير ذلك كانت أشد حرمة..

وهناك متسع لجمع التبرعات قبل الخطبة وبعد الصلاة..

◆◆ ٤٣ـ عـــدد الجـمـعـة

س : متى شرعت صلاة الجماعة؟ وما العدد الذى تصح به الجمعة والجماعة؟

***

ج : صلاة الجماعة شرعت بمكة مع مشروعية الصلاة، إلا أن المسلمين كانوا يتخافتون بصلاتهم فى العهد المكى فلما هاجروا إلى المدينة أظهروا الصلاة والجماعة.

وفى مسند الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : «نَزلَت هذه الآيةُ : ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾[1]، نزلت ورسولُ الله ﷺ متوارٍ بمكة، قال : كان إذا صلَّى بأصحابِهِ رفَعَ صوتَهُ بالقرآنِ فلمَّا سمِعَ ذلك المشركون سبُّوا القرآنَ وسبُّوا مَن أنزلَهُ ومن جاءَ به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ﴾ أى بقراءتك فيسمعُ بها المشركون فيسبُّون القرآن، ﴿وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابكَ فلا تسمعهم القرآنَ حتى يأخُذُوه منك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾»..

والجماعة شرط لصحة الجمعة فلا جمعة بغير جماعة، وقد اختلف الفقهاء فى العدد الذى تصح به الجمعة فقال أبو حنيفة بثلاثة دون الإمام واشترط الشافعى وأحمد أربعين، ورأى مالك أنه يجوز بما دون الأربعين ولا يجوز بالثلاثة والأربعة..

ويرجع اختلافهم إلى ما ينطلق عليه اسم الجمع هل هو الجمع اللغوى أو الجمع العرفى؟.

أما الجماعة فى غير الجمعة من الصلوات المكتوبات وغيرها فتنعقد بشخص واحد مع الإمام وكلما زادت الجماعة كثر الثواب والأجر..

وفضل صلاة الجماعة عظيم ففى صحيح الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «صلاةُ الجماعةِ أفضلُ من صلاةِ الفَذِّ (أى المنفرد) بسبعٍ وعشرينَ درجة».

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «من سرَّهُ أن يلْقَى اللهَ غداً مُسْلِماً فليحافِظْ على هَؤلاءِ الصلواتِ حيثُ يُنَادَى بهنَّ فإنَّ الله شَرَع لنبيِّكُم ﷺ سُنَنَ الهُدَى وإنهُنَّ من سُنَنِ الهُدَى، ولو أنَّكُمْ صَلَّيتُمْ فى بُيُوتكم كما يُصَلِّى هذا المتخلِّفُ فى بيتِهِ لتركتُمْ سُنَّةَ نبيِّكُمْ، ولو تركتُمْ سُنَّة نبيِّكُمْ لضلَلْتم، وما مِن رَجُلٍ يتطهَّرُ فيُحسِنُ الوضوءَ ثم يعمِدُ إلى مَسجدٍ من هَذِه المسَاجدِ إلا كَتَبَ اللهُ

(١) سورة الإسراء : الآية (١١٠) .

لَهُ بِكُلِّ خطوةٍ يخطُوهَا حَسَنَةً ويرفَعُهُ بها درجةً ويحطُّ عنه بها سَيئَةً، ولقد رأيتُنا وما يتخلَّفُ عنها إلا مُنَافِقٌ معلُومُ النِّفَاقِ، ولقد كان الرجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»..

***

◆◆ ٤٤ ـ قضـــاءُ الجُمـعـــةِ

س : لم أتمكن من صلاة الجمعة عدة أسابيع لظروف خارجة عن إرادتى فهل يلحقنى وعيد شديد؟ وماذا أفعل لقضاء هذه الصلاة؟

***

ج : صلاة الجمعة واجبة وجوباً عينياً على كل مسلم ذكر مقيم لا يشتكى مرضاً يقعده، ولديه وعيه وعقله.. ولا يصح شرعاً مباشرة أى عمل ممن تجب عليه الجمعة وقت النداء لأنه تعطيل لتلك الشعيرة الخالدة، وقد قال رسول الله ﷺ ـ كما فى صحيح مسلم ـ : «لَيَنتَهِينَّ أقوامٌ عن وَدْعِهِم الجُمُعَاتِ أو لَيَخْتِمَنَّ اللهُ على قُلُوبِهِمْ ثم لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ»..

وقد أدبنا الله تعالى ودعانا إلى هذه الفريضة والسعى إليها بأدب وخشوع فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(1).

والظروف الخارجة عن إرادة السائل إن كانت سفراً أو مرضاً فلا إثم عليه وإن كانت كسلاً أو ما شاكله فقد عصى الله وارتكب كبيرة وعليه أن يندم على الخطأ والمعصية التى اقترفها وليستغفر الله عز وجل فإنه سبحانه غفار لمن تاب..

قال جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(2).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾(3).

وقضاء الجمعة يكون ظهراً أربع ركعات، وكذلك من لا تجب عليه الجمعة أو لم يؤدها لعذر صلى ظهر يومها..

---

(١) سورة الجمعة : الآية (٩).
(٢) سورة الأعراف : الآية (١٥٣).
(٣) سورة طه : الآية (٨٢) .

◆◆ ٤٥ ـ قضاءُ الصلاةِ جماعة

س : هل يجوز شرعاً أن نؤدي الصلاة جماعة إذا خرج و قتها وكانت قضاء؟

***

ج : المسلم حريص على أداء الصلاة في مواقيتها المحددة شرعاً امتثالاً لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[1].

ولا يخرج الصلاة عن مواقيتها إلا لعذر شرعي أو قهري كسفر أو مرض أو نوم أو غير ذلك..

وأيا ما كان فإن أداء الصلاة جماعة يجوز في وقتها وبعد خروج الوقت، ولا تقتصر الجماعة على الصلاة الحاضرة، فيمكن للفائتة أن تؤدى جماعة..

ففي صحيح البخاري : «أن عُمرَ بنَ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاءَ يومَ الخندق بعدَ ما غَربت الشمسُ، فجعلَ يسبُ كُفَّارَ قُرَيش، قال : يا رسولَ الله ما كِدتُ أُصلّي العصرَ حتى كادت الشمسُ تغربُ، قال النبي ﷺ : واللهِ ما صلّيتُها، فقُمْنا إلى بُطحانَ[2] فتوضأَ للصلاةِ وتوضأنا لها فصلّى العصرَ بعد ما غَرَبَت الشمسُ ثم صلّى بعدها المغربَ».

وقد جعل الإمام البخاري في صحيحه عنواناً لهذا الحديث فقال : «بابُ من صلى بالناس جماعة بعد ذهابِ الوقتِ»..

وملخص الحديث أن المسلمين في غزوة الخندق زلزلوا زلزالاً شديداً وبلغت القلوب الحناجر حتى شغلوا عن صلاة العصر فلم يتنبه الرسول ﷺ والمسلمون لها إلا بعد غروب الشمس فقاموا وصلى بهم الرسول ﷺ العصر جماعة ثم صلى بعدها المغرب..

وعلى هذا فقضاء الفوائت في جماعة جائز شرعاً بل قال أكثر أهل العلم باستحباب ذلك..

والله أعلم..

***

(١) سورة النساء : الآية (١٠٣).   (٢) بطحان - وادٍ بالمدينة.

◆◆ ٤٦ ـ الصلاة خارج المسجد

س : ما حكم الدين فى صلاة الجمعة خارج المسجد بسبب ازدحام المصلين، وقد يتسبب هذا فى مرور النساء والأطفال أمام المصلين، كما يصعب سماع صوت الإمام إذا انقطع التيار الكهربائى؟

***

ج : صلاة الجمعة لابد فيها من الجماعة، فلا تُؤدى على انفراد، ومتى انعقدت الجماعة وانتظمت الصفوف فهى صلاة واحدة مهما امتدت الصفوف خارج المسجد..

وإذا كان النساء والصبية يمرون أمام المصلين خارج المسجد فإن الضرورات لها أحكام ويمكن للمصلين خارج المسجد أن يدعوا فرجة خاصة لمرور المشاة حتى لا يقطعوا الطريق ولا يشغلوا أنفسهم أثناء الصلاة..

وسماع صوت الإمام لمن بعد ليس شرطاً لصحة الصلاة، طالما أن الصفوف متقاربة، ويسمع الإمام من يليه، ويمكن متابعة الإمام فى الصلاة من خلال الصف المقدم، فكل صف يتبع الصف الذى أمامه..

وكان مشهوراً قبل اختراع الميكروفون ما يسمى بالمبلغ، ومازال هذا المبلغ موجوداً فى المساجد يرفع الصوت خلف الإمام رغم وجود مكبر الصوت..

ونحن ننصح أن تؤدى الجمعة فى المساجد الجامعة الكبرى التى تستوعب المصلين ويؤمها الإمام الكفء، وندع الزوايا والمساجد الصغيرة للصلوات الخمس فقط ونغلقها يوم الجمعة فهذا أفضل عند الله وأكثر ثواباً.. فصلاة المسجد خير من صلاة الشارع، والجماعة الكبيرة خير من الجماعة الصغيرة، والإمام الكفء خير من خطيب لا يحسن الفقه فى الدين، وإظهار مشاعر الوحدة خير من التفرق..

ولنتذكر حديث رسول الله ﷺ : «إذا كان يومُ الجمعةِ كانَ على كُلِّ بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبُون الأولَ فالأول، فإذا جلسَ الإمامُ طَوَوا الصُحُفَ وجاءُوا يستَمِعُون الذكرَ، ومثل المهجّر كمثلِ الذى يهدى بَدَنَة ثم كالذى يهدى بقرةً ثم كالذى يهدى الكبشَ ثم كالذى يهدى الدجاجةَ ثم كالذى يهدى البيضةَ»..

وتأمل معى قوله : «عَلَى كُلِّ بابٍ من أبوابِ المسجدِ» أى أننا مطالبون بأن ندخل المسجد لا أن نصلى فى الطرقات..

والله أعلم..

***

◆◆ ٤٧ ـ صلاة التسابيح

س : ما صلاة التسابيح؟ وكيف يتم أداؤها؟

***

ج : أحب أن أنبه إلى قضية قد يغفل عنها البعض وهى أن أفضل شىء يتقرب به إلى الله تعالى هو الفريضة وحسن أدائها، فالصلاة لميقاتها أفضل عمل يتقرب به إلى الله تعالى وقد قال عليه الصلاة والسلام فى الحديث القدسى ـ كما رواه البخارى : «وما تقرَّبَ إلىّ عبدى بشىء أحبَّ إلىَّ مما افترضتُهُ عليهِ ولا يزالُ عبدى يتقرَّبُ إلىَّ بالنوافِلِ حَتَّى أُحِبَّه»..

إذن فالنوافل فى المرتبة الثانية بل لا تقبل نافلة حتى تؤدى فريضة..

وصلاة التسابيح نافلة أوردوا لها صيغاً متعددة، وقالوا إنها أربع ركعات بتسليمة واحدة إن صلاها نهاراً وبتسليمتين إن صلاها ليلاً، يقول فى أول الصلاة : «سبحانك اللهمَّ وبحمدِك، وتبارك اسمُك، وتعالى جَدُّكَ، وتقدست أسماؤكَ، ولا إله غيرك» ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة قائلاً : «سبحان الله والحمدُ للهِ ولا إله إلا اللهُ والله أكبر ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلىِّ العظيم» ثم يقرأ الفاتحة وسورة ثم يسبِّحُ عَشْراً ثم يركعُ فيسبح عشراً ثم يرفع من الركوع فيسبح عشراً ثم يسجد فيسبح عشراً ثم يجلس بين السجدتين فيسبح عشراً ثم يسجد فيسبح عشراً، فهذه خمس وسبعون تسبيحة فى كل ركعة..

وهناك صورة أخرى تجعل التسبيح خمس عشرة مرة بعد القراءة وليس قبلها ثم يستمر عشراً عشراً كما مر ويزاد التسبيح عقب السجدة الثانية وقبل الوقوف للركعة التالية.. فيكون مجموع التسبيحات ثلاثمائة تسبيحة فى الركعات الأربع..

هذه الصور كلها لم ترد فى حديث صحيح ولم يصح أى حديث عن صلاة التسابيح.. ويبدو أن الناس مغرمون بكل ما هو غريب وغير مألوف، ونحن لا نمنع التسبيح المطلق ولا نمنع الصلاة المطلقة ولكن العبادات توقيفية تتلقى من النبى ﷺ ولا يعبد اللهُ إلا بما شرع، لأن الله تعالى نعى على أقوام فقال : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[1].

***

◆◆ ٤٨ ـ صلاة الحاجة

س : هل هنا صلاة تسمى صلاة الحاجة؟ وكيف تُؤدى؟ وماذا يقال فيها؟

***

ج : الإنسان دائماً وأبداً فى حاجة إلى معونة الله عزوجل، وإلى الاستعانة به وحده، ولذا كانت الآية الفاصلة فى سورة الفاتحة التى نقرأها فى كل صلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2].

وقد علمنا الرسول الكريم أن نلجأ إلى الله ونسأله وحده فقال : «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»..

هذا هو ما يجب أن نعيه تماماً..

والاستعانة بالله تعالى وطلب الحوائج منه سبحانه لا تقتصر على وقت، ولا تتوقف على هيئة، كل ما فى الأمر أن نعبد الله مخلصين له الدين حنفاء، وأن تكون مواقف حياتنا كلها موضع الرضا من الله جل شأنه، هنا يصدق فينا قول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه : «**ولئن سألنى لأُعطِيَنَّه، ولئن استعاذنِى لأُعِيذَنَّه**»..

ومن المعلوم فى فقه الشريعة أن الصلاة راحة المؤمن، وكان ﷺ إذا حزبه أمر ـ أى أهمه ـ فزع إلى الصلاة، فيمكن للمسلم إذا ضاق عليه أمر أو مسته حاجة أن يصلى ركعتين أو ما شاء الله له فى جوف الليل ويدعو بما شاء، والله سبحانه مجيب الدعاء..

(١) سورة الشورى : الآية (٢١).
(٢) سورة الفاتحة : الآية (٥).

أما ما يقال أو يقرأ فى بعض الكتب من صلاة اثنتى عشرة ركعة، يقرأ فى كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسى وقل هو الله أحد فإذا فرغ خرّ ساجداً ثم قال: «سُبحانَ الذى لبس العزَّ وقالَ بهِ، سُبحانَ الذى تعطَّفَ بالمجدِ وتكرَّمَ بهِ، سُبحانَ الذى أحصَى كُلَّ شىءٍ بعلمِهِ، سُبحانَ الذى لا ينبَغِى التسبيحُ إلا له، سُبحانَ ذى المَنِّ والفضلِ، سُبحانَ ذِى العزِّ والكرم، سُبحانَ ذِى الطَّولِ، أسألُكَ بمعاقِدِ العزِّ من عَرْشِكَ، ومُنتَهَى الرحمةِ من كتابِكَ، وباسمِكَ الأعظمِ وَجَدِّكَ الأعلَى وكلماتِكَ التامَّاتِ العامَّاتِ التى لا يُجَاوِزهُنَّ برٌّ ولا فَاجِرٌ أن تصلِّى على محمدٍ وآلِ محمدٍ.. ثم يسألُ اللهَ حاجَتَهُ التى لا مَعصِيةَ فِيهَا»..

هذه الصورة لم ترد عن رسول الله ﷺ، فليس فيها حديث صحيح، وكل رواياتها ضعيفة، ولا نتعبد الله إلا بما شرع، ولا نعرف صلاة بغير ركوع يكتفى فيها بالسجود فقط، ونحن لا نمنع الدعاء بأية صيغة لكنها لا تحسب على رسول الله ﷺ ولا تنسب إليه..

***

◆◆ ٤٩ ـ آدابُ سماعِ الخطبةِ

س : هناك أمور تحدث أحياناً فى المسجد وقت خطبة الجمعة نحب أن نعرف ما حكم الشرع فيها، وهى :

- الكلام أو النوم أثناء الخطبة.
- الحضور متأخراً أو تخطى الصفوف.
- الصلاة والإمام يخطب؟!

***

ج : يوم الجمعة خير يوم طلعت فيه الشمس، وفيه ساعةإجابة للدعاء يتجلى الله فيها على عباده.. فمن الخير التبكير فى الذهاب إلى المسجد.

وقد جاء فى صحيح مسلم قول رسول الله ﷺ : «إذا كان يومُ الجمعةِ كانَ على كل بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبون الأولَ فالأول فإذا جلسَ الإمامُ طوَوا الصحفَ وجاءُوا يستمِعُونَ الذكرَ»..

والحضور متأخراً وتخطى رقاب المصلين معصية فيها إيذاء للناس، كذلك فإن الكلام أوالنوم أثناء خطبة الجمعة يتنافى مع حكمة مشروعية الخطبة التى تذكر الناس بما ينفعهم..

وفى الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعاً : «**إذا قلت لصاحِبِكَ أنصِتْ يومَ الجمعةِ والإمام يخطبُ فقد لَغَوتَ**»..

وفى حديث ابن عمر الذى أخرجه أبو داود وابن خزيمة بلفظ : «**من لغا وتخطَّى رقابَ الناسِ كانت له ظُهراً**»..

أى أنه يُحرم ثواب الجمعة وفضيلة أجرها..

ومن دخل المسجد والإمام يخطب صلى ركعتين خفيفتين ثم يجلس لثبوت ذلك فى صحيح الحديث، حتى إن الإمام البخارى جعل عنوان أحد أبوابه فى الصحيح «**باب من جاء والإمام يخطب يصلى ركعتين خفيفتين**».

فعلى المسلم أن يحرص على الحضور مبكراً لصلاة الجمعة ويستعد لها بالغسل والطيب وحسن الثياب ثم يستمع إلى الخطبة ليتفقه فى الدين ويعرف حكم الله وحكمة تشريعاته حتى يكون على بصيرة وعلم بأمور دينه..

قال رسول الله ﷺ ـ كما فى صحيح مسلم ـ : «**من توضأ فأحسنَ الوضوءَ ثم أتى الجمعةَ فاستَمَعَ وأنصَت غُفِرَ له ما بينه وبينَ الجمعةِ وزيادة ثلاثة أيامٍ، ومن مسَّ الحَصَا فقد لَغا**»..

***

◆◆ ٥٠ ـ صلاةُ الجمعة من غير سماع الخطبة

س : أتيت المسجد لصلاة الجمعة وقد أقيمت الصلاة فصليت الجمعة ولم أسمع الخطبة فهل الصلاة صحيحة؟

***

ج : يوم الجمعة يوم مشهود فى الأرض وفى السماء وقد جاء فى صحيح مسلم قول رسول الله ﷺ : «**إذا كان يومُ الجمعةِ كانَ على كلِّ بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبُون الأولَ فالأول فإذا جلسَ الإمامُ طوَوا الصحفَ وجاءُوا يستمِعُون الذكرَ**»..

من هنا فشأن المسلم أن يبادر بالذهاب مبكراً لصلاة الجمعة حتى يحظى بهذا الفضل وحتى يتفقه فى الدين بسماع الخطبة التى توضح معالم الإسلام وحقائق الإيمان، وحتى يشعر بالألفة مع المسلمين..

هذا هو الأصل لكن إذا حالت ظروف طارئة عن التبكير لصلاة الجمعة فإذا أدرك الصلاة مع الإمام صحت الجمعة وأجزأت بل لو أدرك ركعة واحدة مع الإمام أجزأه ذلك وأتى بركعة أخرى عقب انتهاء الإمام ولا تصح الجمعة بإدراك أقل من ركعة مع الإمام فمن أتى إلى صلاة الجمعة وهم فى السجود أو التشهد نوى الجمعة ثم أكمل ظهراً أربع ركعات..

فسماع الخطبة ليس شرطاً لصحة الصلاة من كل مسلم بل يكفى أن يسمع الخطبة العددُ الذى تصح به الجمعة وهم أربعون رجلاً - على مذهب الإمام الشافعى - من أول الخطبة إلى انقضاء الصلاة، وما زاد على ذلك ليس شرطاً..

لكن قضية الجواز شىء وقضية الفضل والأدب والتعليم والإرشاد شىء آخر..

فأحرى بكل مسلم أن يسعى مبكراً إلى الصلاة ويتهيأ لهذا الاجتماع المشهود بأفضل زينة وأحسن هيئة ويذهب وعليه الوقار والسكينة حتى يغفر له، قال عليه الصلاة والسلام : «من توضأ فأحسنَ الوُضوءَ ثم أتَى الجمعةَ فاستمَعَ وأنصتَ غُفِرَ له ما بينَهُ وبينَ الجمُعةِ وزيادة ثلاثة أيام»..

***

◆◆ ٥١ - ساعة النحس

س : هل صحيح أن هناك ساعة نحس فى يوم الجمعة؟

***

ج : يوم الجمعة هو خير يوم طلعت فيه الشمس، والناس لنا فيه تبع، فاليهود يعظمون يوم السبت والنصارى يعظمون يوم الأحد..

وهذا اليوم يعتبر عيداً أسبوعياً للمسلمين يلتقون فيه على محبة وطهر يتفقهون فى دين الله..

ومن مظاهر حرص الإسلام على هذا اليوم قوله عليه الصلاة والسلام كما

فى صحيح مسلم : «غسلُ يومِ الجمعةِ واجبٌ على كُلِّ محتلِمٍ - أى بالغ - وسواك ويمسُ من الطيب ما قدرَ عَلَيهِ»..

وشدد فى الإنصات لسماع الخطبة، فقال المصطفى الكريم : «إذا قُلْت لصاحِبِكَ أنصِتْ يومَ الجمعةِ والإمام يخطبُ فقد لغَوْتَ».

بل إن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أخبرنا أن الملائكة تشارك المسلمين فرحتهم يوم الجمعة فقال كما فى مسلم : «إذا كانَ يومُ الجمعةِ كان على كل بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبونَ الأوّلَ فالأول فإذا جلسَ الإمامُ طَوَوا الصحفَ وجاءُوا يستمِعُونَ الذِّكر»..

ومن أجل ذلك أكرم الله أمة محمد ﷺ بأن جعل فى يوم الجمعة ساعة إجابة وخير، قال عنها أبو القاسم كما فى صحيح مسلم : «إنَّ فى الجمعةِ لساعةً لا يوافِقُهَا مُسلِمٌ قائِمٌ يُصَلِّى يسألُ الله خيراً إلا أعطاه إيَّاه»..

وهذه الساعة حددت فى بعض الأحاديث : «ما بينَ أن يجلِسَ الإمامُ إلىَ أن تُقْضَى الصلاة»..

ومن هنا نبين أن خير يوم الجمعة عميم وأن فيه ساعة إجابة للدعاء، ولكن بماذا نسمى هذه الساعة لمن حرم خيرها ولم يؤد فريضة يومها؟! إنها بلاشك ساعة نحس عليه، تماماً كما أن الناس أمام القرآن فريقان، قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[1]..

والله أعلى وأعلم..

***

◆◆ ٥٢ - التذكرُ بعدَ التسليمِ

س : صلى بنا الإمام صلاة الجمعة، وعقب رفعه من ركوع الركعة الأولى قرأ الفاتحة وسورة أخرى ثم سلم بعد انتهاء الركعة الأولى، فلما نبهناه إلى أنه لم يصل إلا ركعة واحدة سجد للسهو وسجدنا معه، فهل صلاتنا صحيحة؟

(١) سورة فصلت : الآية (٤٤).

ج : صلاة الجمعة فريضة مستقلة، وهى ركعتان، تقع فى و قت الظهر، قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ـ كما رواه أحمد ـ : «الجُمعةُ ركعتانِ، تمامٌ من غير قَصرٍ على لِسَانِ نبيِّكُم ﷺ، وقد خَابَ من افترى».

والمسألة التى معنا أن الإمام نسى وقرأ الفاتحة بعد رفعه من ركوع الركعة الأولى، وظن أنها الركعة الثانية فسلم بعد السجود، فيكون بهذا قد ترك ركعة كاملة من ركعتى صلاة الجمعة وزاد قراءة فى غير موضعها..

فكان عليه بعد التنبيه أن يقوم ويؤدى ركعة أخرى مع المصلين حالاً وفور تيقنه بنسيانه طالما أن الزمن قريب بين تسليمه من الصلاة وبين التنبيه، ولا يضر كلام قليل واستدبار للقبلة، كما فى صحيح الحديث عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : «صلَّى بنَا رسولُ الله صلاةَ العصرِ فسلَّمَ من ركَعتينِ فقامَ ذُو اليَدينِ (أحد الصحابة) فقال : أقصرت الصلاةُ يا رسولَ اللَّهِ أم نسيتَ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: كلُّ ذلـكَ لَمْ يكُنْ، فقَالَ ذو اليدين : قد كانَ بعضُ ذلك يا رسولَ الله، فأقبلَ رسولُ الله ﷺ: على النـاسِ فقالَ: أصدَقَ ذُو اليدين؟ فقالوا: نَعَمْ يا رسولَ اللهِ، فأتمَّ رسولُ الله ما بَقِيَ من الصلاةِ ثم سَجَدَ سجدتَينِ وهُوَ جالِسٌ»..

وإذا طال الفصل عرفاً بين الانتهاء من الصلاة والتذكر فيستأنف الإمام والمصلون صلاة الجمعة من جديد ويؤدونها كاملة غير منقوصة حيث كان الوقت متسعاً ولم يخرج وقت الظهر..

أما الآن وقد انتهت صلاة الجمعة على ما ذكر السائل بسجود سجدتين للسهو فقط ولم يكملوا الصلاة فتصبح صلاة الجمعة باطلة، وعلى كل من حضر هذه الصلاة أن يقضيها ظهراً أربع ركعات، لأن قضاء الجمعة يكون ظهراً لا جمعة..

والله أعلم..

***

◆◆ ٥٣ ـ أذانُ الجمعـةِ

س : نرى بعض المساجد تؤذن لصلاة الجمعة أذانين، وبعضها يؤذن أذاناً واحداً والخطيب على المنبر، فما هو المشروع من ذلك؟

ج : الأذان سُنَّة مؤكدة أو واجب على الكفاية للإعلام بدخول وقت الصلاة، وهو يتضمن عقائد الدين ويعلن على الناس شهادة التوحيد لله عزوجل والرسالة لمحمد ﷺ.

وفى صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - أنه قال: «**كانَ المسلمونَ حين قدمُوا المدينةَ يجتمعونَ فيتحيَّنُونَ الصلواتِ وليسَ يُنادِى بِهَا أحَدٌ فتكلَّمُوا يومًا فى ذلك، فقال بعضُهم اتخذوا ناقُوساً مثلَ ناقوسِ النصارى، وقال بعضُهُمْ قَرْناً مثل قَرنِ اليهود فقال عُمَرُ : أولاً تبعثُونَ رَجُلاً ينادِى بالصلاةِ، قال رسولُ الله ﷺ : يا بلالُ قُمْ فنادِ بالصلاةِ**».

ومن المشروع أن هناك أذانين لصلاة الفجر أحدهما قبل الميقات يقصد به التنبيه والآخر فى أول الوقت للإعلام بدخول وقت الصلاة..

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «**إن بلالاً يُؤذِّنُ بِلَيلٍ فكلُوا و اشربُوا حتى تسمَعُوا تأذِينَ ابنِ أُمِّ مكتومٍ**»..

وبالنسبة للجمعة كان يُؤذن بين يدى رسول الله ﷺ إذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد، وظل الأمر كذلك فى عهد أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما -، فلما كانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وكثر الناس أمَرَ عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث (أى الأذان الأول كما نسميه اليوم) فأذن به على الزوراء فثبت الأمر على ذلك..

أى أن عثمان رضي الله عنه لما رأى كثرة المسلمين وتواجدهم فى أماكن بعيدة عن المسجد النبوى أمر بالأذان الأول قبل دخول وقت الصلاة تشبيهاً بأذان الفجر الأول حتى يستعد الناس لأداء الجمعة والحضور إلى المسجد..

ولم يعترض عليه أحد من الصحابة، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

«**عليكُمْ بسُنَّتى وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الراشِدِينَ المهدِيِّينَ مِن بَعدِى**»..

الأمر هنا هَيِّنٌ وليس يعد خلافاً فهو مرتبط بمصلحة المسلمين، كل ما هنالك أن المساجد التى تؤذن أذانين قبل الخطبة تجعل الأذان الأول عند دخول وقت الصلاة، وليس هذا يفى بالمقصود ولا يوافق ما فعله عثمان، فالأولى أن نقتصر على أذان واحد بين يدى الخطيب أو نؤذن أذاناً قبل دخول وقت الجمعة بنصف ساعة ليتحقق معنى الاستعداد لحضور الصلاة..

والله ولى التوفيق..

◆◆ ٥٤ ـ الأذان فى المنزل

س: عندما أصلى فى البيت هل يجب علىّ أن أردد كلمات الأذان والإقامة قبل بدء الصلاة والشروع فيها ؟

* * *

ج : شرع الله تعالى الأذان للإعلام بدخول وقت الفريضة وشرع الإقامة من أجل الدخول فى الصلاة..

فإذا كان الإنسان فى أول الوقت وأراد أن يشعر من حوله بدخول الوقت فمن السنة الأذان فى مكان يقصد للصلاة كالمساجد والأماكن المعدة للصلاة فى الشركات والمصانع وأماكن العمل..

وعندما يريد المسلم بدء الصلاة والشروع فيها جماعة أو على انفراد فمن السنة الإقامة سواء كان ذلك أول الوقت أو آخره..

ولا يشرع الأذان فى النوافل مطلقا كصلاة الليل والعيدين والكسوفين، ولا فى فرض الكفاية كصلاة الجنازة، وإنما ينادى لها: الصلاة جامعة.

ومن هنا يتبين أن الصلاة فى البيوت تحتاج إلى الإقامة فقط على سبيل السنة ولا تحتاج إلى الأذان.

فالأذان واحد للإعلام بدخول الوقت ولا يتعدد فى المكان الواحد، أما الإقامة فتتعدد كلما تعددت الصلاة لمنفرد أو لجماعة فى نفس المكان. ومن السنة أن يؤدى الأذان بصوت ندى مرتفع وتؤدى الإقامة بصوت أخفض لأن الأذان تجميع لغائبين والإقامة تجميع لحاضرين. وفى صحيح مسلم قال عليه الصلاة والسلام: **«إذا سمعتم المؤذنَ فقولوا مثلَ ما يقولُ ثُمَّ صلُّوا علىّ فإنه من صلّى علىّ صلاة صلى الله عليه عشراً ثم سلُوا اللهَ لِى الوسيلةَ»** وفى حديث آخر تفسير للوسيلة **«فإنها منزلةٌ فى الجنةِ لا تنبغِى إلا لعبدٍ من عبادِ اللهِ وأرجو أنَ أكون أنا هو»**.

◆◆ ٥٥ ـ رفع اليدين فى الدعاء

س: سمعت مَنْ ينهى عن رفع اليدين فى الدعاء وعن مسح الوجه بهما عقب ذلك، وأحدث هذا الموضوع خلافا بين المصلين، فما الصواب؟ وماذا نفعل ؟

ج : للدعاء آداب كثيرة أهمها طيب المطعم وحل المال، وقد ذكر رسول الله ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وقد غذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك.

وهذا الحديث رواه مسلم وفيه رفع اليدين.. وثبت فى صحيح البخارى باب بعنوان «رفع اليدين فى الدعاء» وساق فيه مجموعة أحاديث منها: قال أبو موسى الأشعرى: دعا النبى ﷺ ورأيت بياض إبطيه، وقال ابن عمر: رفع النبى ﷺ يديه وقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد..

ورفع اليدين يكون إلى حذو المنكبين، وقيل إلى حذو الوجه، وقيل إلى حذو الصدر، وعند الإلحاح والابتهال والضراعة يجاوز بهما رأسه، وقد ثبت أن النبى ﷺ رفع يديه يوم بدر يستنصر الله على المشركين حتى سقط رداؤه عن منكبيه..

فهذه كلها صور واردة ولا بأس بها، وأما مسح الوجه فمشروع تبركا بما قد يحل فيهما من رحمة الله تعالى، وفى حديث رواه أبو داود والترمذى عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ «إن ربّكم حيىٌّ كريمٌ يستحيى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا» وفى رواية عن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه فى الدعاءِ لم يردَهُما حتى يمسحَ بهما وجهَهُ» هذا هو ما نفتى به من خلال آراء كثيرة للعلماء فى هذه المسألة، وقد ذكر الطبرى كما نقل ابن حجر – أن ابن عمر وجبير بن مطعم كرها رفع اليدين فى الدعاء، ونقل عن الإمام مالك أن رفع اليدين فى الدعاء ليس من أمر الفقهاء وجعل الرفع مختصا بالاستسقاء..

وهناك خلاف آخر وهو: هل يكون ظهر الكفين إلى السماء وبطنهما إلى الأرض أو العكس، أو عند حصول مطلوب يكون بطن الكفين إلى السماء، وعند طلب رفع بلاء يكون بطن الكفين إلى الأرض؟! هذه كلها أمور لا ينبغى الخلاف حولها ولندع كل إنسان وما اختار لنفسه والمدار على الإخلاص والضراعة وحسن الولاء لله ورسوله.

٥٦ ـ الدعـــاء على الأعـــداء

س: يقوم بعض أئمة المساجد بالدعاء على أعداء المسلمين قائلين: اللهم يتّم أطفالهم ورمّل نساءهم.

فهل هذا الدعاء جائز شرعا؟

ج : الدعاء شكل من أشكال العبادة، وهو إظهار لموقف الخضوع أمام الله عزّ وجلّ، وهو استعانة لمن بيده ملكوت كل شيء طلبا لعطاء أو دفعا لبلاء.. والمسلم حين يدعو يمارس الأسباب ويستخدم الوسائل المشروعة ولا يتكاسل أو يتباطأ..

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1].

والدعاء على الأعداء الكافرين هو سلاح يستخدمه المسلم لتأييد جهاده وتأمين مسيرة فدائه، واستلهام الرشد فى إدارة المعارك الحربية..

وهو من أفضل أنواع الذكر المأمور به فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

والدعاء على الأعداء الكافرين يستخدم فى حالين: فى حال الجهاد وفى حال العجز عنه..

وقد ثبت فى صحيح البخارى أن النبى ﷺ دعا على المشركين ودعا لهم، ومن أحاديث الدعاء عليهم ما رواه على بن أبى طالب قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا، شغلونا عن صلاة الوسطى حين غابت الشمس»، وما رواه أبو هريرة قال: كان النبى ﷺ يدعو فى القنوت: «اللهم أنج سلمةَ بن هشام، اللهم أنج الوليدَ بنَ الوليد، اللهم أنج عباسَ بنَ أبى ربيعة، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضَر، اللهم سنين كسنى يُوسُف».

ومن أحاديث الدعاء للمشركين ما أخرجه البخارى عن أبى هريرة قال: «قدم طفيلُ بن عمرو الدوسى وأصحابُه على النبى ﷺ فقالوا: يارسولَ الله إن دَوسًا عصت وأَبَت فادع اللهَ عليها، فقيل هلكت دوس، قال عليه الصلاة والسلام: اللهم اهْدِ دوساً وائتِ بهم».

(١) سورة غافر: الآية (٦٠). (٢) سورة الأنفال: الآية (٤٥).

وللتوفيق بين الموقفين نقول: إن لكل مقام مقالاً فحيث تكون الأمور هادئة فالدعاء بالهداية أولى، أما فى وقت المعركة وأثناء الهجوم أو الدفاع فالدعاء عليهم هو مقتضى الحال..

والدعاء بيتم الأطفال وترمل النساء هو دعاء بالهزيمة على الأعداء حتى يستأصل الله شأفة الطغاة المستكبرين..

◆◆ ٥٧ـ تناول الطعام فى المسجد

س: نجتمع فى المسجد ونختم المصحف الشريف وندعو الله تعالى عقب الانتهاء من القراءة ثم نتناول الطعام والشاى، فهل هذا جائز شرعا ؟

ج : مدارسة القرآن الكريم والاجتماع حول تلاوته هدى نبوى كريم، وحياة المسلم مرتبطة فى كل وقت بالقرآن حفظاً وتحفيظاً، فَهْما ومُدارسة، حكما وتطبيقا..

وفى الحديث المشهور الصحيح أن النبى ﷺ قال: «ما اجتمعَ قومٌ فى بيت مِن بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينةُ وغشيتهمُ الرحمةُ وحفَّتهم الملائكةُ وذَكَرَهم اللهُ فيمن عنده».

والدعاء عقب قراءة القرآن أرجى للقبول، من حيث خشوع القلب وحضور الملائكة وحرمة المسجد.. فاجتماع الناس فى المساجد حول قراءة القرآن عمل محمود شرعا يضاعف الله تعالى له الثواب..

أما تناول الطعام وشرب الشاى فى المسجد عقب الانتهاء من جلسة القراءة فشىء جائز لا حرمة فيه، وهو من المباح فى الأصل، وكان أهل الصفة ينامون ويأكلون فى مسجد رسول الله ﷺ إلا أنه إذا قصد تكريم القراء، أو تقديم صدقة لمن يستحقها، فينقلب إلى طاعة يرجى ثوابها من الله عز وجل..

وقد اعتاد الناس فى كثير من المساجد، وبخاصة فى الحرمين الشريفين – تقديم الطعام للصائمين والعاكفين والركع السجود، ولنحرص على نظافة المسجد ونخرج القمامة منه ولا نترك بقايا الطعام فيه، وقد أمر رسول الله ﷺ أن تنظف المساجد وتطيب.

◆◆ ٥٨ ـ زى المرأة أثناء القراءة

س: هل يجب استقبال القبلة أثناء قراءة القرآن؟ وهل يجوز للمرأة أن تقرأ القرآن ورأسها مكشوفة أو وهى فى ملابسها المنزلية؟

* * *

ج : إذا كنا نقرأ القرآن العظيم للعبادة والثواب فمن الخير أن نستقبل القبلة وأن نكون على طهارة كاملة وفى خشوع وضراعة.

وليس ذلك واجبا حتما وإنما هو من الآداب والسنة التى تزيد فى ثواب القراءة..

وباب الجواز أوسع من ذلك فتجوز قراءة القرآن ونحن نستقبل القبلة أو نستدبرها، ويجوز للمرأة أن تقرأ القرآن فى منزلها وحيث لايراها أجنبى وهى مكشوفة الرأس أو فى ثياب المنزل ولاحرمة فى ذلك، لكن الثواب يتفاوت بتفاوت الأحوال..

ولنعلم أن المقصود من تلاوة القرآن حفظه والعمل بأحكامه والتأمل فى أسراره، ومن هنا كانت وصايا الرسول ﷺ فى هذا المجال بمعاهدة القرآن أى دوام القراءة والارتباط بالمصحف ارتباطا كثيرا، والتمهل فى القراءة وحسن الصوت حتى يحس المسلم ببرد الآيات فى صدره، وفى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: إنما صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت..

◆◆ ٥٩ ـ الزوج التارك للصلاة

س: زوجى رجل فاضل وكريم ولكنه لايصلى وقد مللت من دعوته إلى الصلاة.. فماذا أفعل؟

* * *

ج: هناك خطأ ارتكبته هذه السيدة عندما اقترنت بشخص لايصلى، فالشأن فى الإنسان المسلم أن يختار زوجه على دين وخلق..

أما وقد تم الموضوع وتكونت الأسرة فلا تملك هذه السيدة إلا أن تواصل دعوتها لزوجها بالاستقامة على أداء الصلاة والحفاظ على معالم الدين فى الأسرة حتى لايكون سببا فى انحراف أبنائه وفشلهم فى هذه الحياة..

وعلى هذه السيدة أن تتلطف فى نصيحة زوجها ولا تتعالى عليه أو تتباهى بعبادتها حتى لاينفر منها ويزداد عنادا، ولتتذكر قول الله تعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾(١)

ونذكّر بأنه لافضل ولاكرم ولاخلق فى غيبة الدين وترك الصلاة، فمن ضيع الصلاة ضيع سائر الحقوق ولايؤتمن على شيء، فحق الله أولى بالوفاء..

فالصلاة مفتاح كل خير، وفى صحيح البخارى قال عليه الصلاة والسلام «أرأيتم لو أن نَهرا بِبَابِ أحدِكُم يَغتَسِلُ منه كُلَّ يومٍ خَمسا، ماتقولُ ذلك يُبقِى من دَرَنِهِ؟ قالوا: لايُبقِى من دَرَنِهِ شيئاً قال: فذلِكَ مثل الصلواتِ الخمس يمحُو اللهُ به الخَطَايَا»

◆◆ ٦٠ ـ حكم الشهيد

س: لماذا سُمِّى الذى يُقتَلُ فى سبيل الله شهيدا؟ وهل يُغَسَّل الشهيد ويُصلَّى عليه؟

ج : الشهيد هو من قُتِل فى سبيل الله، ويقال استُشْهِدَ فلان بالبناء للمجهول، وسمى بذلك لأنه حى، فإن أرواح الشهداء شهدت وحضرت الجنة. وأرواح غيرهم إنما تشهدها يوم القيامة.

وقيل لأن الله تعالى وملائكته يشهدون له بالجنة..

وقيل لأنه شُهِدَ له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله. وقيل لأنه شهد عند خروج روحه ما أعده الله تعالى له من الثواب والكرامة..

وقيل لأن عليه شاهدا بكونه شهيدا وهو الدم.

ورجح الفخر الرازى أن الشهيد فعيل بمعنى الفاعل وهو الذى يشهد بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان وتارة بالسيف والسنان، فالشهداء هم القائمون بالقسط وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله:

(١) سورة طه : الآية (١٣٢).

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (١).

ويقال للمقتول فى سبيل الله شهيد لأنه يبذل نفسه فى نصرة دين الله..

وشهيد المعركة هو أسمى مراتب الشهادة، ويسمى شهيد الدنيا والآخرة، ويدفن بدمه ولا يغسل ولا يصلى عليه وما ورد أن النبى ﷺ صلى على شهداء أُحُد محمول على أنه دعا لهم.

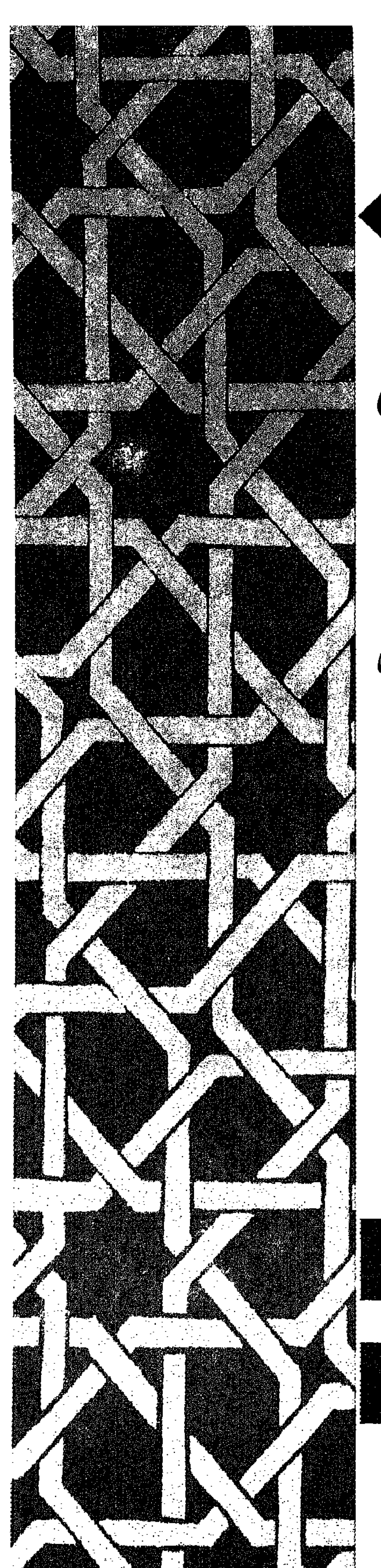
ويلحق بشهيد المعركة الغريق والحريق والغريب وكل صاحب ميتة فيها شدة، فقد تفضل الله تعالى على أمة محمد ﷺ بأن جعل هذه الحالات تمحيصا للذنوب وزيادة فى الأجر، ويسمى هؤلاء شهداء الآخرة فقط وتجرى عليهم فى الدنيا الأحكام العامة من غسل وصلاة.

وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «الشهداءُ خمسةٌ: المطعونُ والمبطونُ والغريقُ وصاحبُ الهدمِ والشهيدُ فى سبيل الله عز وجل».

* * *

(١) سورة آل عمران : الآية (١٨).







الباب الثانى

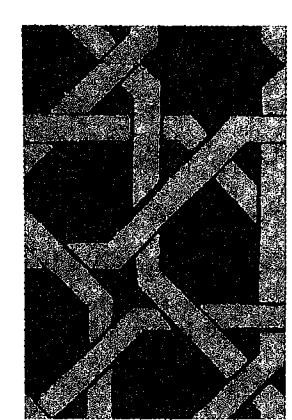
الزكاة والأموال

بحوث وفتاوى

١ بحوث فى الزكاة والأموال

٢ فتاوى فى الزكاة والأموال





١ بحـــوث فـــى الزكـــاة والأمـــوال

دور الزكـــاة فـــى الاقتصـــاد الإســـلامـــى

الزكاة فريضة إسلامية وركن من أركان الدين، قال تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١].

والأمـــوال تشـــمـــل :

١ ـ الأنعام وهى الإبل والبقر والغنم.

٢ ـ الذهب والفضة.

٣ ـ الزروع والثمار.

٤ ـ عروض التجارة.

ولكل منها شروط وجوب تعمها هى :

- الإسلام والحرية والنصاب..
- وأول نصاب الإبل خمس وفيه شاة.
- وأول نصاب البقر ثلاثون ويجب فيه تبيع وهو ابن سنة سمى بذلك لأنه يتبع أمه فى الرعى.
- وأول نصاب الغنم أربعون وفيه شاة : جذعة من الضأن لها سنة أو ثنية من المعز لها سنتان.
- ونصاب الذهب عشرون مثقالا[٢] وفيها ربع العشر.
- ونصاب الفضة مائتا درهم[٣] وفيها ربع العشر.
- ونصاب الزروع والثمار خمسة أوسق[٤] وفيها العشر إن سقيت بلا تكلفة أو نصف العشر إن سقيت بتكلفة ومئونة..

(١) سورة التوبة : الآيات (١٠٣ ، ١٠٤).

(٢) المثقال يساوى الآن $4\frac{2}{7}$ ٤ جرام.

(٣) الدرهم يساوى الآن ٣ جرامات.

(٤) الوَسْق ـ بفتح الواو وسكون السين ـ ستون صاعاً، والصاع قدحان بالكيل المصرى عند الشافعية والكيلة ثمانية أقداح، والأردب اثنتا عشرة كيلة فيكون نصاب الزروع ستة أرادب وربعاً.

وتقوّم عروض التجارة بالذهب والفضة وتأخذ حكمهما فى النصاب ومقدار الزكاة.. وتختص الأنعام بشرط آخر وهو السوم بأن تكون سائمة لا يتكلف صاحبها مؤنة رعيها بل ترعى فى حشائش الأرض والكلأ المباح.. ويشترط الحول فى هذه الأموال جميعاً ماعدا الزروع والثمار فزكاتها يوم حصادها.. وعلى تفصيل فى الذهب والفضة..

وللفقهاء رأيان فى مفهوم الزروع والثمار:

١ ـ ما يقتات ويدخر وثمرات النخيل والأعناب.

٢ ـ كل ما أنبتت الأرض..

ويشمل الذهب والفضة ما كان مضروباً وغير مضروب، وما كان معدناً مستخرجاً وما كان ركازاً..

فالذهب والفضة المضروبان وهما الدنانير والدراهم وغير المضروبين ـ فيهما ربع العشر متى بلغا نصابا وحال عليهما الحول.

والمعدن منهما المستخرج من أرض مباحة أو مملوكة له فيه ربع العشر فى الحال متى بلغ نصاباً ولا يشترط مضى الحول، وهو يشبه الزروع والثمار فى ذلك لأن الحول إنما يعتبر لأجل تكامل النماء، والمستخرج من المعدن أو النبات نماء فى نفسه..

والركاز من الذهب والفضة هو دفين الجاهلية وفيه الخمس متى بلغ نصابا.. والدولة الإسلامية مكلفة بجمع الزكاة، وقد تكفل بذلك رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده، وقاتل عليها الصديق أبو بكر رضي الله عنه ..

وتلتزم الدولة بوضع أموال الزكاة فى مصارفها الشرعية التى حددتها الآية الكريمة : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١].

ولا يجوز شرعاً ضم أموال الزكاة للميزانية العامة للدولة دون مراعاة لتلك المصارف الشرعية بل لابد أن تخصص مورداً ومصرفاً..

وأموال الزكاة فى حقيقتها تستوعب مرافق عدة فى جوانب الدولة وتشمل

(١) سورة التوبة : الآية (٦٠).

أبواباً عديدة فى ميزانية الحكومة تغطى ما نسميه الآن الشئون الاجتماعية والتعليم والصحة والدفاع والأمن..

والأصناف الثمانية هم :

الفقــراء :

وهم الذين لا مال لهم ولا كسب يليق بهم وهم أحوج من غيرهم على المشهور عند أهل العلم، ولذا ذكرتهم الآية أولاً..

ويرى أبو حنيفة أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير..

المسـاكـين :

وهم الذين يملكون أموالاً غير كافية لحوائجهم، ونقل ابن كثير فى تفسيره أن عكرمة قال : «**لا تقُولوا لفقراءِ المسلمين مساكين إنما المساكِينُ أهلُ الكتابِ**»[1].

وجمهور العلماء على أن الزكاة تؤخذ من أغنياء المسلمين وترد على فقرائهم ولا تعطى لكافر إلا بوصف آخر كالمؤلفة قلوبهم، ويمكن إعطاؤه من الصدقات الأخرى..

العاملـون عليـهـا :

وهم الذين يجمعون الزكاة من أصحابها ويوزعونها على مستحقيها بأمر الإمام فيعطون ولو كانوا أغنياء..

المؤلفــة قلوبهــم :

وهم الذين تتألفهم الدولة وتستميلهم ترغيباً فى الإسلام أو معونة للمسلمين..

وهم على قسمين : مسلم وكافر..

فالمسلم المؤلف هو من أسلم و نيته ضعيفة فيعطى ليقوى إيمانه أو من أسلم ونيته قوية فى الإسلام ولكن له شرف فى قومه يتوقع بعطائه إسلام غيره..

والكافر المؤلف هو من يتعاون مع المسلمين ويكف عنهم شر قومه الكافرين، ويكون إعطاؤه أهون علينا من جيش نبعثه إليهم..

وجاءت مواقف النبى ﷺ قدوة لنا فى ذلك، قال صفوان بن أمية : «**أعطانى**

(١) تفسير القرآن العظيم، جـ٢ ، ص ٣٦٤.

رسولُ الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغضُ الناسِ إليّ فمازالَ يُعطينى حتى إنّه لأحبُّ الناسِ إليّ».

وأعطى رسول الله ﷺ جماعــة من صناديـد قريش الطلقاء يوم حنين مائة من الإبل، مما جعل الأنصار يتهامسون، فقال عليه الصلاة والسلام: «إنى لأُعطِى الرجلَ وغيره أحبُ إليّ منه خشية أن يَكُبَّه اللهُ على وجهِهِ فى نارِ جهنَّمَ».

وهل تعطى المؤلفة قلوبهم بعد النبى ﷺ ؟

قال ابن كثير:

فيه خلاف فروى عن عمر وعامر والشعبى وجماعة أنهم لا يعطون بعده لأن الله أعز الإسلام وأهله ومكن لهم فى البلاد وأذل لهم رقاب العباد..

وقال آخرون بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن، وهذا أمر قد يحتاج إليه فيصرف إليهم[1].

فـــى الرقـــاب :

وهم العبيد والرقيق يسعى الإسلام لتحريرهم، وذلك على صورتين :

١ ـ المكاتبة وهى أن يتفق العبد مع سيده على تقديم مبلغ من المال إليه نظير عتقه فيعطى العبد من الزكاة لسداد قيمة هذه المكاتبة.

٢ ـ رصد سهم من الزكاة لشراء العبيد وإعتاقهم تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[2].

الغـــارمـــون :

المدينــون وهــم قسـمـان :

قسم استدان فى مصالح نفسه وأعسر فيأخذ من الزكاة ما يفى بديونه..

وقسم استدان فى مصالح المسلمين فيعطى من الزكاة قدر دينه ولو كان غنياً ترغيباً فى مكارم الأخلاق..

وجاء فى بعض كتب الفقه ما يلى :

الغارم ثلاثة :

١ ـ من تداين لنفسه فى مباح، طاعة كان أو لا، وإن صرفه فى معصية..

(١) تفسير القرآن العظيم، جـ١ ، ص ٣٦٥ .

(٢) سورة البلد : الآية (١٣).

أو فى غير مباح كخمر، وتاب وظن صدقه، أو صرفه فى مباح فيعطى مع الحاجة بأن يحل الدين ولا يقدر على و فائه، بخلاف ما لو تداين لمعصية وصرفه فيها ولم يتب فلا يعطى..

٢ ـ أو تداين لإصلاح ذات البين أى الحال بين القوم كأن خاف فتنة بين قبيلتين تنازعتا فى قتيل لم يظهر قاتله فتحمل الدية تسكيناً للفتنة فيعطى ولو غنياً ترغيباً فى هذه المكرمة.

٣ ـ أو تداين لضمان فيعطى إن أعسر مع الأصيل، أو أعسر وحده وكان متبرعاً بالضمان، بخلاف ما إذا ضمن بالإذن(١).

هذا وقد قال قبيصة بن مخارق الهلالى: **تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها، ثم قال : يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة :**

- **رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك.**
- **ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش ـ أو قال سداداً من عيش.**
- **ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قرابة قومه فيقولون لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش ـ أو قال سداداً من عيش.**

فما سواهن من المسألة سُحتٌ يأكُلُها صاحبُها سُحتاً»..

فى سبيل اللّه :

وهم المجاهدون الذين يدافعون عن الحمى والحرمات، وقد توسع بعض الفقهاء فى هذا السهم فجعله يشمل المصالح العامة للدولة كبناء المدارس والمستشفيات والمساجد.. وساق ابن كثير أن الإمام أحمد والحسن وإسحق يرون الحج من سبيل الله(٢).

ابن السبيل :

هم المسافرون لا يجدون نفقة سفرهم، وفى مذهب الشافعى أن منشئ السفر من بلد الزكاة والمجتاز به فى سفره يعطى إن احتاج ولا معصية فى سفره.

(١) الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع للشربينى الخطيب. (٢) تفسير القرآن العظيم، جـ٢، ص ٣٦٦.

وفى مذهب الحنابلة أن الزكاة تدفع إلى المجتاز دون المنشئ المبتدئ بالسفر..

***

والقدر المعطى فى الزكاة يكون بحيث يقضى على الفاقة والحاجة وبحيث يخرج كل عام من أصناف المحتاجين أفراداً يستعفون عن الصدقات..

فليست الزكاة نوعاً استهلاكياً لوقت معين أو أيام مخصوصة وإلا فسيتضاعف أعداد المحتاجين العاطلين عاماً بعد عام. وهذا ما يرفضه الإسلام الذى يقرر أن اليد العليا خير من اليد السفلى.

وقد قرأت فى بعض كتب الفقه هذه العبارة التى توزن بماء الذهب :

ويعطى فقير ومسكين كفاية عمر غالب، فيشتريان بما يعطيانه عقاراً يستغلانه. وللإمام أن يشترى له ذلك.

هذا فيمن لا يحسن الكسب بحرفة ولا تجارة، أما فيمن يحسن الكسب بحرفة فيعطى ما يشترى به آلاتها، أو بتجارة فيعطى ما يشترى به ما يحسن التجارة فيه ـ ما يفى ربحه بكفايته غالباً.

ويعطى مكاتب وغارم لغير إصلاح ذات البين ما عجزا عنه من وفاء دينهما..

ويعطى ابن السبيل ما يوصله مقصده أو ماله إن كان له مال فى طريقه..

ويعطى غاز حاجته فى غزوه ذهاباً وإياباً وإقامة له ولعياله، ويملكه فلا يسترد منه، ويهيأ له مركوب إن لم يطق المشى أو طال سفره، وما يحمل زاده ومتاعه إن لم يعتد مثله حملهما كابن السبيل..

والمؤلفة يعطيها الإمام أو المالك ما يراه..

والعامل يعطى أجرة مثله.

ومن فيه صفتا استحقاق كفقير وغارم يأخذ بإحداهما»[1].

إن الزكاة عصب الحياة الاقتصادية الإسلامية ويجب أن تقوم بها الدولة، ولو تركت للأفراد ضاعت أهدافها وفقدت أهميتها وتلاشت حكمة مشروعيتها، فعطاء الأفراد قليل مهما كانت أموالهم وقد جبلت النفوس على الشح.

(١) الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع للشربينى الخطيب.

فلسفة الميراث فى الإسلام

الميراث فى الجاهلية :

جاء فى أسباب النزول أن أوس بن ثابت الأنصارى توفى وترك امرأة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته شيئاً ولا بناته..

وكانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكراً، وإنما يورثون الرجال الكبار، وكانوا يقولون : لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة.

فجاءت هذه المرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك علىّ بنات، وأنا امرأة، وليس عندى ما أنفق عليهن، وقد ترك أبوهما مالاً حسناً، وهو عند سويد وعرفجة، لم يعطيانى لأبنائه من المال شيئاً، وهن فى حجرى ولا يطعمانى ولا يسقيانى ولا يرفعان لهن رأساً..

فدعاهما رسول الله ﷺ فقالا : يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلا ولا يَنْكى[1] عدواً..

فقال رسول الله : انصرفوا حتى أنظر ما يحدث الله لى فيهن، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[2].

وفى واقعة أخرى رواها جابر بن عبدالله قال : جاءت امرأة بابنتين لها فقالت: يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس أو قالت سعد بن الربيع قتل معك يوم أحد، وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فلم يدع لهما مالاً إلا أخذه، فما ترى يا رسول الله؟ فو الله ماينكحان أبداً إلا ولهما مال.

فقال عليه الصلاة والسلام: «يقضى الله فى ذلك»، فنزلت سورة النساء وفيها: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾[3].

(١) بمعنى يقاتل. (٢) سورة النساء : الآية (٧). (٣) سورة النساء : الآية (١١).

فقال رسول الله ﷺ: «ادع لى المرأة وصاحبها، فقال لعمهما أعطِهمَا الثُلُثين وأعطِ أمَّهما الثُمن وما بَقِيَ فلكَ».

وهكذا كان هذا موقفاً من الموافقات للوحى، بدأت به المرأة المسلمة فى محاولة لكسر أغلال الجاهلية وآثارها الفاسدة..

تعليق على هذه الوقائع الجاهلية :

لقد كان الناس فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبية بحجة أن الوارث لا يكون إلا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة ونسى هؤلاء أن الرجل إنما يجمع ثروته لنفسه وولده، وأن كدح المرء إنما هو لأجل أبنائه، ولا يسعد الإنسان العاقل إلا أن يكف أبناءه عن المسألةويكفيهم مؤنة الحياة ومشاقها بقدر الإمكان وفى حدود المتاح وفى إطار القيم الشريفة..

نظرة على موقف العالم قديماً وحديثاً من الميراث :

لم يكن الناس فى الجاهلية يعرفون نظاماً عادلاً للميراث بل لا يكاد العالم قديماً ولا حديثاً يعرف نظاماً لتوزيع التركة يقوم على العدل المطلق..

إن توزيع التركة اليوم موكول لأهواء البشر، فقد يوصي الشخص بماله كله لعشيقته ويترك زوجه وأولاده، أو قد يوصى لأحد أبنائه ويدع الباقين للحسرة والحقد والضغينة، أو قد يجعله وقفاً على حيوان أليف و يترك ذوى قرباه يقاسون آلام الحياة..

وقامت نظم ترفض أن يكون الميراث من أسباب الملكية..

ويتلفت الناس يمنة ويسرة، وتبحث العقائد والنظم شرقاً وغرباً ولا يوجد غير الإسلام يقدم نظاماً للميراث يقوم على العدل المطلق ويتضمن الحقوق ويصون الحرمات، ويتلاءم مع طبائع النفوس السوية..

الميراث فى القرآن :

وقد جمع القرآن المجيد نظام الميراث الإسلامى فى ثلاث آيات محكمات، آيتان منها متواليتان فى سورة النساء هما قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ

لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾(١) إلى قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾(٢)، والآية الثالثة في آخر سورة النساء وهي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٣).

فقد فصل القرآن المجيد نظام الميراث تفصيلاً دقيقاً، جمع فيه كل أطرافه، ويكاد يكون هذا التفصيل وقفاً على الميراث، فلا نجد عبادة من العبادات، ولا لوناً من المعاملات حظى بهذه المكانة، فلم ينص القرآن على عدد ركعات الصلاة ولا مقادير الزكاة ولا كيفية الطواف والسعي، وأحيل كثير منها إلى البيان النبوي، فقال النبي ﷺ: «صلُّوا كما رأيتمونى أصلّى»، وقال: «خُذوا عنّى مناسِكَكُم»، وهكذا..

والإرث المجمع عليه نوعان :

١ ـ إرث بالفرض، والفروض المقدرة في كتاب الله ستة هي النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس، وصاحب الفرض لا يسقط أبداً.

٢ ـ إرث بالتعصيب وهو مؤخر عن أصحاب الفروض، وهو يأخذ ما بقى بعد الفروض أو يحوز المال كله إذا انفرد، وقد يسقط عند استغراق التركة..

وقد اجتهد العلماء في تفصيلات لهذه الجوانب أخذاً من وقائع الحياة و أحكام العهد النبوي، فتكلموا عن ميراث الحمل والمطلقة والخنثى المشكل والغرقى ومن فى حكمهم و المفقودين.. إلخ..

بل هناك موقف قد لا يخطر على البال كثيراً وهو أن يتعجل وارث موت مورثه فيقتله.. فقد أجمع العلماء على أن القاتل عمداً ظلماً لا يرث من مقتوله معاملة بنقيض قصده..

وإذا مات إنسان لا وارث له من ذى فرض ولا تعصيب ولا رحم فإن تركته لبيت مال المسلمين..

ولكل هذه الجوانب وغيرها تفصيلات دقيقة يمكن مراجعتها فى كتب الفقه الإسلامي.

(١) سورة النساء : الآية (١١).	(٢) سورة النساء : الآية (١٢).	(٣) سورة النساء : الآية (١٧٦).

حكمة اهتمام القرآن بالميراث :

الميراث فى الإسلام مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة المسلم الدينية والدنيوية فالاعتداء على الأموال من أكبر جرائم الإثم، والمال الحرام لا يقبل معه عمل، ولا يرفع معه دعاء، ولا تنفع منه صدقة.

قال ﷺ : «إن الله تعالى طَيِّبٌ لا يقبلُ إلا طَيِّباً».

وذكر رسول الله ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يارب، يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وقد غذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك».

وكانت وصية رسول الله ﷺ لأمته فى حجة الوداع : «إن دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحرمَةِ يومِكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدِكم هذا..».

ومن هنا كان الوعيد شديداً فى مخالفة نظام الميراث الإسلامى بقدر ما كان الفوز عظيماً فى تطبيقه والالتزام به، فقال جل شأنه عقب آيتى الميراث : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(١).

وإذا كان الميراث نظاماً مالياً فإن الجانب الأخلاقى والاجتماعى فيه جد خطير فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالرحم والنسب مما يؤكد حرص الإسلام الكبير على وشائج القربى وشرف العرض وسلامة الأسرة..

فمن أسباب الميراث المجمع عليها فى الإسلام النكاح وهو عقد الزوجية الصحيح ويرث به الزوجان، وكذلك النسب وهو القرابة والرحم ويرث به الأبوان ومن أدلى بهما، والأولاد ومن أدلى بهم..

إن نظام الميراث فى الإسلام دقيق وحكيم وله مزايا اجتماعية وأخلاقية..

الوارثون والوارثات :

الوارثون من الرجال عشرة هم : الابن وابن الابن وإن نزل، والأب والجد أبوالأب وإن علا، والأخ سواء كان شقيقاً أو لأب أو لأم، وابن الأخ الشقيق أو ابن الأخ لأب، والعم الشقيق أو لأب، وابن العم، والزوج والمعتق.

(١) سورة النساء : الآيات (١٣ ، ١٤).

والوارثات من النساء سبع هن : البنت وبنت الابن، والأم والجدة والأخت سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم، والزوجة والمعتقة..

فهؤلاء يرثون فى حال ويحجبون فى حال أخرى حجب نقصان أو حجب إسقاط..

ومتى اجتمع الرجال كلهم لم يرث منهم إلا ثلاثة وهم :

الابن والأب والزوج ..

فللزوج الربع وللأب السدس والباقى للابن.

ومتى اجتمع النساء كلهن لم يرث منهن إلا خمس وهن :

البنت وبنت الابن والأم والزوجة، والأخت الشقيقة..

للبنت النصف، ولبنت الابن السدس، وللأم السدس وللزوجة الثمن وللأخت الشقيقة الباقى..

ولو اجتمع كل الذكور والنساء ومات أحد الزوجين ورث خمسة وهم :

الأب والأم والزوج أو الزوجة والابن والبنت..

فللأب السدس وللأم السدس، وللزوج الربع وإن كانت الزوجة هى الموجودة فلها الثمن، وللابن والبنت باقى التركة للذكر مثل حظ الأنثيين..

حكمة قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾[1] :

إن هذه المسألة لها فى منهج الإسلام فلسفة وحكمة، ذلك أن الرجل وحده هو المسئول عن نفقات الأسرة، ولا تكلف المرأة شيئاً من تلك النفقات إلا أن تطوع. قال الله تعالى : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦) لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[2]..

كذلك فإن الرجل فى الإسلام مطالب بتقديم صداق للمرأة يعبر عن حبه لها ورغبته فى الزواج منها ولا تقدم المرأة شيئاً.. قال الله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[3].

(١) سورة النساء : الآية (١١). (٢) سورة الطلاق : الآيات : (٦ ، ٧). (٣) سورة النساء : الآية (٤).

لهذا كان من الإنصاف والعدل أن يكون للرجل فى الميراث ضعف ما للمرأة، وإلا فسيصبح مظلوماً، وما نقص من ميراث المرأة يرد إليها فى المهر والنفقة.

ثم إنه ليس كل امرأة ترث نصف ما يرثه الرجل، بل هناك صور من الميراث يتساوى فيها الرجل والمرأة مثل الأب والأم إذا كان للميت ولد، قال الله تعالى : ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾(1)..

وأحياناً تأخذ المرأة أكثر مما يأخذ الرجل، فالبنت تأخذ نصف التركة و حدها و البنتان تأخذان الثلثين إذا لم يكن للميت ولد ذكر وفى هذه الصورة يأخذ الرجل وهو أبو الميت السدس فقط، قال الله تعالى : ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾(2)..

فالميراث فى الإسلام مبنى على الحكمة والعدل المطلق..

ميراث المطلقة :

المطلقة طلاقاً رجعياً ومات زوجها وهى مازالت فى العدة تلحق بالزوجة التى فى العصمة فترث زوجها المتوفى ولها الثمن إن كان له و لد أو الربع إن لم يكن له ولد، وهو يرثها أيضاً فى هذه الحال لو ماتت أثناء العدة..

أما المطلقة التى انتهت عدتها وطلقها زوجها فى حال صحته ثم مات فلا توارث بينهما بإجماع علماء الشريعة فإن عقد الزوجية قد انتهى ولا علاقة تربط بينهما..

فإن كانت هذه المرأة قد طلقت فى مرض الموت فإن الرجل لا يرثها لو ماتت قبله، أما لو مات هو قبلها فقد اختلف العلماء فى هذه الصورة فذهب الشافعى إلى أن المطلقة طلاقاً بائناً لا ترث من مطلقها سواء طلقها فى صحته أو فى مرضه، وقال الأحناف إنها ترثه ما لم تنقض عدتها، وقال الحنابلة إنها ترثه ولو انقضت عدتها ما لم تتزوج غيره، ومذهب المالكية أنها ترثه ولو انقضت عدتها وتزوجت غيره معاملة له بنقيض قصده لاحتمال أنه طلقها فى مرض موته حتى لا ترثه..

***

(1)، (2) سورة النساء: الآية (11).

◆◆ الوصيـــة فـى الإســلام

الوصية تبرع بحق مضاف إلى ما بعد الموت، فالمسلم يقتطع جزءاً من ماله لينفق بعد موته فى وجوه الخير المشروعة.. وقد قال ﷺ: «ماحقُّ امرئ مسلمٍ له شيءٌ يُوصى فيه يبيت ثلاثَ ليالٍ إلا ووصيَّته عندَهُ مكتوبةٌ»..

وقد جعل الله تعالى الوصية مقدمة على توزيع التركة قال الله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾(١)، فالدين حق العبد والوصية حق الله وكلاهما مقدم على توزيع التركة..

والوصية لها ضوابط شرعية، فهى فى حدود الثلث حتى لا يحصل ظلم للورثة، والوصية تكون لغير وارث حتى يعم الانتفاع، فإن فقدت الوصية أحد هذين الشرطين أو كليهما توقفت على إجازة الورثة، فمن أوصى بما زاد على الثلث لا ينفذ منها إلا الثلث ويستأذن الورثة فى الباقى فإن أجازوه فيها ونعمت وإلا فلا.. ومن أوصى بأى شيء ولو قل لوارث توقف التنفيذ على رأيهم.

فالإسلام جعل للمسلم ثلث ماله يتصرف فيه عند الموت بما يحقق النفع العام والخاص ويصلح شأن المسلمين كافة أو ذوى قرباه غير الوارثين.

وفى صحيح مسلم بسنده عن عامر بن سعد عن أبيه قال: «عادنى رسولُ الله ﷺ فى حجةِ الوداعِ من وَجعٍ أشفيت منه على الموتِ، فقلتُ: يا رسولَ الله بلغنى ما ترى من الوجع وأنا ذو مالٍ ولا يرثنى إلا ابنةٌ لى واحدةٌ أفأتصدَّقُ بثُلُثَى مالى؟ قال: لا ، قلت : أفأتصدَّقُ بشطره؟ قال : لا، قلت : أفأتصدَّقُ بثلثه؟ قال: الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثَتَك أغنياءَ خيرٌ من أن تذرهُم عالةً يتكفَّفون الناسَ، ولست تنفقُ نفقةً تبتغِى بها وجْهَ الله إلا أُجرْت علِيها حتَّى اللقمة تضعُها فِى فى امرأتِكَ»..

الفرق بين الوصية والتبرع :

الوصية غير التبرع فى حال الحياة والصحة، فهذا جانب وذاك جانب آخر، فالمقصود من الوصية هو نقل الملكية بعد موت صاحبها لمن يحدده، أما أن يجود الإنسان فى صحته وحياته ولو بماله كله فذلك اتجاه آخر قد يحمد منه ما يحمد وقد يذم منه ما يذم تبعاً للنية والهدف وظروف المتبرع وملابسات الموقف ومقتضى الحال.

(١) سورة النساء: الآية (١٢).

وفى الصحيح عن أنس قال: كان أبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكثرَ الأنصارِ بالمدينةِ مالاً من نخلٍ وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلةَ المسجدِ، وكان رسولُ الله ﷺ يدخلُها ويشربُ من ماءٍ فيها طيبٍ، فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(١) قام أبو طلحة إلى رسولِ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله إن الله تباركَ وتعالى يقولُ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحبَّ أموالى إلىَّ بَيْرَحَاء وإنها صدقةٌ لله أرجو بِرَّها وذُخرَهَا عند الله فضعْها يا رسولَ الله حيثُ أراكَ الله، فقال ﷺ : بخ، ذلك مالٌ رابح، ذلك مالٌ رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين، فقسمها أبو طلحة فى أقاربِهِ وبنى عَمِّه»..

تفضيل بعض الأبناء فى العطايا والهدايا :

الأولاد فى كفالة آبائهم أمانة، يجب تنشئتهم على منهج التربية الإسلامية حتى يجمع الأسرة كلها شعور المحبة والصفاء، وعلى الآباء والأمهات أن يغرسوا فى بنيهم كل ما يؤدى إلى الألفة والتعاون..

وإذا كان للرجل أبناء من زوجة أخرى فيجب أن يوزع حبه على أولاده جميعاً وأن يسوى بينهم فى العطاء حتى لا يدع مجالاً للحقد والشحناء، وإذا كان بعض الأبناء عاقاً فليس هذا بمسوغ للحرمان من التركة والميراث، فإن الميراث ليس فى مقابل البر للآباء، ولا شك أن العقوق كبيرة من كبائر الإثم والفجور لكن الحرمان من الميراث ليس علاجاً فالأولى الدعاء للابن العاق بالهداية، والعمل على إزالة أسباب العقوق، ورحم الله والداً أعان ولده على بره..

وفى صحيح الحديث عن النعمان بن بشير قال : تصدق علىَّ أبى ببعضِ مالهِ، فقالت أمى عمرةُ بنتُ رواحة : لا أرضى حتى تُشهد رسولَ الله ﷺ، فانطلقَ أبى إلى النبى ﷺ ليشهده على صدقتى فقال له الرسول ﷺ: فعلت هذا بولدِك كلِّهم؟ قال: لا، قال: «اتقوا الله واعدِلوا فى أولادِكم».. فرجعَ أبى فردَّ تلك الصدقة..

وقد استثنى العلماء من هذا الحكم ما إذا كان لبعض الأولاد وضع خاص كمرض مقعد أو صغر فلا بأس بتفضيل صاحب العذر..

(١) سورة آل عمران : الآية (٩٢).

◆◆ دور العقيدة والأخلاق في محاربة الفساد الاقتصادي

تمهيد :

(أ) بناء الإنسان :

بناء الإنسان فى الإسلام له مجموعة أركان هى :

١ ـ جانب تربوى قائم على الترغيب والترهيب، وتأصيل حب الخير فى النفس، ومراقبة الله عزوجل مراقبة تنبع من داخل النفس الإنسانية حتى يتحقق معنى قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾(١)..

٢ ـ دعوة المرء إلى التوبة و الاستغفار، بالندم على ما فرط منه فى جنب الله تعالى، والإقلاع عن المعصية فلا يقيم عليها، والعزم على عدم العود إلى ما يغضب الله سبحانه، ورد الحقوق لأصحابها إن كانت المعصية متعلقة بحقوق العباد، والإكثار من العمل الصالح وطيبات السلوك.. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢)..

٣ ـ مطاردة شواذ المجتمع عن طريق الحدود والتعزيرات، فمن سرق قطعت يده، ومن زنا جُلد مائة جلدة إن كان غير محصن، أو رجم إن كان محصناً، ومن قتل بغير حق اقتص منه، ومن قطع الطريق وروع الآمنين قتل أو صلب أو قطعت يده ورجله من خلاف أو نفى من الأرض.. وهكذا..

والحدود زواجر تمنع انتشار الجريمة وتستأصل بذورها الفاسدة ثم هى كفارات تجبر الذنب و تصلح حال النفس، والله تعالى أكرم من أن يضاعف العقوبة على عبده فى الآخرة..

(ب) عقيدة البعث والجزاء :

الإنسان فى غيبة الإيمان بالوحى يعيش فى هموم المادة وشطحات الخيال، وتحاصره فتنة الغرائز والشهوات، وينتابه القلق من كل جانب ويصبح قانون الغاب هو الحكم لحياة البشر..

(١) سورة العلق : الآية (١٤).

(٢) سورة النور : الآية (٣١).

لكن الوحى الإلهى يقدم حلاً منصفاً وإصلاحاً جذرياً لما آلت إليه أحوال البشر فى ظل عقيدة البعث والجزاء..

وكان التنبيه على هذا الأصل العقدى مبكراً فى العهد البشرى وفى أول بيان للوحى الإلهى من أجل بناء الحياة على هذه الأرض.. قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[1].

فالكفر بالمنهج الإلهى والتكذيب بلقاء الله هو الشقاء للفرد والمجتمع، وهو الإفساد فى الأرض والحياة، وهو الاستبداد السياسى والانحراف الخلقى..

وإن إنساناً يعيش بلا عقيدة اليوم الآخر هو إنسان استجمع أسباب الانحراف بأجمعه، وهذا ما أعلنه موسى عليه السلام أمام فرعون وقومه فى قوله : ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[2]، فإذا أغفل الإنسان حقيقة الإيمان باليوم الآخر واستشعر بسطة جسم و قوة فقد استكمل أسباب الظلم والجبروت..

ومهما شرع الناس لأنفسهم من قوانين بعيداً عن الوحى الإلهى فلن يحققوا الأمن ولن يصلوا إلى السعادة، ومهما حاولوا محاربة الفساد والإفساد فى الأرض بعيداً عن عقيدة البعث والجزاء الأخروى فلن يجدى ذلك فتيلاً..

قال تعالى لسيدنا موسى عليه السلام : ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾[3].

***

(١) سورة طه: الآيات (من ١٢٣ إلى ١٢٦).
(٢) سورة غافر: الآية (٢٧).
(٣) سورة طه: الآيات (من ١٣ إلى ١٦).

◆◆ اهتمام الإسلام بالجانب الاقتصادى

يهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالجانب الاقتصادى، وللزراعة والصناعة والتجارة أهمية فى نصوص القرآن المجيد والسنة المطهرة، بما يتناسب مع أثرها فى الحياة الإنسانية..

لقد أمرنا الله تعالى بالتأمل الواعى فى الطعام الذى نتناوله لندرك سر إنباته وتيسيره للانتفاع به، فقال جل شأنه: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾(١).

وفى أهمية الزراعة ومنافعها يقول الرسول ﷺ: «**ما من مسلمٍ يغرسُ غرساً أو يزرعُ زرعاً فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ إلا كان له به صدقة**» متفق عليه..

وجعل الرسول ﷺ شق الأنهار والمصارف من الصدقات الجارية التى ينتفع بها المسلم فى حياته وبعد مماته، ثواباً مضاعفاً من الله عزوجل، وفى حديث رواه أبو داود وابن حبان والحاكم أن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: **قلت: يا رسول الله إن أمّى ماتت فأى الصدقة أفضل؟ قال الماء، فحفر بئراً وقال: هذه لأم سعد**..

ولقد جاء ذكر الصناعة فى القرآن المجيد مرتبطة بأنبياء عظام، فإبراهيم الخليل عمل فى بناء الكعبة مع ولده إسماعيل عليهما السلام، وعلم الله تعالى داود عليه السلام صناعة الدروع، وأشار القرآن إلى صناعة الجلود وهندسة المبانى والنسيج فقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾(٢).

وأشار القرآن إلى صناعة الحديد والصلب فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٣)..

(١) سورة عبس: الآيات (من ٢٤ إلى ٣٢).
(٢) سورة النحل: الآيات (٨٠ ، ٨١).
(٣) سورة الحديد: الآية (٢٥).

وجعل الرسول ﷺ تعليم الصنعة لمن لا يحسنها حتى يتقنها باباً من أبواب الخير، وعملاً صالحاً من أفضل الأعمال، ففى صحيح البخارى أن أبا ذر رضي الله عنه : «سأل رسول الله ﷺ فقال : أىُّ العملِ أفضلُ؟ قال : إيمانٌ بالله وجهادٌ فى سبيلِهِ، قال : فأىُّ الرقابِ أفضلُ؟ قال : أغلاها ثمنا وأنفسُها عند أهلها، قالَ: فإن لم أفعل؟ قال : تُعِينُ صانِعاً أو تصنعُ لأخرقَ، قال : فإن لم أفعل؟ قال : تدعُ الناسَ من الشرِّ فإنها صدقةٌ تصدق بها على نفسِكَ»..

ومعنى إعانة الصانع أن تمنحه أو تقرضه مبلغاً من المال ليقيم به صناعته، ومعنى الصناعة لأخرق أن تعلم صنعتك لمن ليس فى يده صنعة.

ومن خلال الزراعة والصناعة ووفرة الإنتاج تتحقق التجارة وتتقدم لتفى بحاجات الناس ومطالبهم، وقد تحدث القرآن عن رحلات التجارة وتأمين طرقها، وجعل ذلك من نعم الله على الناس فقال : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾(١).

وامتدح الرسول ﷺ التاجر الأمين وبشره بمقام صدق فى الفردوس فقال ـ كما رواه الترمذى ـ : «التاجرُ الصدوقُ الأمينُ مع النبيينَ والصديقينَ والشهداءِ»..

ودعا الرسول الكريم ﷺ إلى السماحة فى البيع والشراء فقال ـ كما رواه البخارى ـ : «رَحِمَ اللهُ رجلاً سمحاً إذا باعَ وإذا اشترَى وإذا اقتضَى»..

وهذا الاهتمام بالجانب الاقتصادى له دخل كبير فى محاربة الفساد الاقتصادى على أساس إدراك المرء لهذه الحقائق :

١ ـ الجانب الاقتصادى فى الزراعة والصناعة والتجارة يمثل آية من آيات الله فى الإبداع الكونى، فإذا نظر المسلم بهذا المعيار فإنه ينأى بنفسه عن الإفساد فى الكون..

٢ ـ ربط الجانب الاقتصادى بالأنبياء عليهم السلام يجعل المسلم يحرص على هذا الشرف فلا يدنسه بالإفساد فى الأرض و أكل أموال الناس بالباطل..

(١) سورة قريش : الآيات (من ١ إلى ٤).

٣ ـ استشعار النفحة الإلهية فى الجانب الاقتصادى يدفع المسلم إلى حسن الانتفاع بمجالات الاقتصاد المتعددة لنفسه ولغيره، فإن نعم الله لا تستخدم فى معصية الله عند العقلاء..

٤ ـ اعتبار الجانب الاقتصادى مجالاً رحباً للثواب والصدقة الجارية واكتساب الحسنة يجعل المسلم أقرب إلى الخشية من الله تعالى فلا يضيع ثواب الله فى سبيل مادة رخيصة أو ربح حرام أو كسب خبيث..

***

◆◆ معالم الاقتصاد الإسلامى

إذا أردنا الحد من مشكلة الفساد الاقتصادى فيجب إبراز معالم الحياة الاقتصادية فى الإسلام..

إن للمال فى الإسلام قانونين يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة والأخلاق الإسلامية، هما :

١ ـ الحلال فى المورد، فلا يجمع المال إلا من طرق مشروعة أقرها الدين..

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1]..

وقال جل شأنه:﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[2]..

٢ ـ البر فى المصرف بحيث يوضع المال فى خدمة الفرد والمجتمع حتى تتحقق العدالة الاجتماعية ونحافظ على الكرامة الإنسانية..

قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3]..

(١) سورة البقرة : الآية (١٧٢). (٢) سورة المائدة : الآية (٨٨). (٣) سورة البقرة : الآية (١٧٧).

ويترتب على هذين القانونين قواعد أساسية فى مسيرة الحياة الاقتصادية أهمها:

١ ـ لا كسب من حرام، وكل جسم نبت من حرام فالنار أولى به، فلا تثبت الملكية بالربا والسرقة والرشوة والاختلاس والغصب والسلب وأكل أموال الناس بالباطل..

قال الله تعالى فى شأن الربا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾[1]..

ونلاحظ أن الآية الكريمة بدأت بخطاب المؤمنين، وعلقت الاستجابة على الإيمان وهددت بعقاب الله عند التمرد على الحكم الشرعى..

٢ ـ العمل فريضة إسلامية لكسب الرزق، وبذل العرق وتوفير الإنتاج من أعظم القربات إلى الله تعالى.. قال جل شأنه : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[2]..

وقال رسول الله ﷺ ـ فى صحيح الحديث ـ : «ما أكلَ أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكُلَ من عَمَلِ يدِهِ، وإن نبيَّ اللهِ داود عليه السلامُ كان يأكلُ من عمل يدِهِ»..

٣ ـ الرضا والاطمئنان النفسى، والسعى بغير هلع ولا أرق ولا قلق ـ أهم ما يميز السلوك الإسلامى فى الحياة.. قال تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3]..

وقال رسول الله ﷺ ـ فى صحيح الحديث ـ : «ليس الغِنَى عن كثرةِ العرض وإنما الغِنَى غِنَى النفس»..

٤ ـ السعى للرزق الحلال يتوسط العبادات ويتكامل معها ولا ينفصل عنها، فالفرائض لا تتعارض.. قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]..

٥ ـ التسول جريمة يجب مطاردتها، لأن فقراء المسلمين متعففون لا يسألون الناس إلحافاً، وأغنياء المسلمين كرماء يشعرون بحاجتهم إلى ثواب الله أكثر

(١) سورة البقرة : الآيات (٢٧٨ ، ٢٧٩).
(٢) سورة الملك : الآية (١٥).
(٣) سورة هود : الآية (٦).
(٤) سورة الجمعة : الآيات (٩ ، ١٠).

من حاجة الفقراء إلى أموالهم..

قال رسول الله ﷺ - فى صحيح الحديث -: «من سألَ الناسَ أموالَهم تكثُراً فإنما يسألُ جَمراً فليستقل أو ليستكثر»..

وفى تفصيل دقيق لهذه المسألة جاء هذا الموقف عن قبيصة بن مخارق الهلالى قال - كما فى الصحيح -: «تحملتُ حمالة فأتيتُ رسولَ الله ﷺ أسألُه فيها، فقال: أَقِم حتى تأتينا الصدقةُ فنأمُرَ لك بها، ثم قال: يا قبيصةُ إن المسألةَ لا تَحِلُّ إلا لأَحَدِ ثلاثةٍ: رجلٌ تحملَ حمالةً فحلَّتْ له المسألة حتى يُصيبَها ثم يُمسك، ورجلٌ أصابته جائحةٌ اجتاحَت مالَهُ فحلّت له المسألةُ حتى يُصيبَ قواماً من عيش، أو قال: سَدَاداً من عيشٍ، ورجلٌ أصابته فاقةٌ حتّى يقومَ ثلاثةٌ من ذَوِى الحِجا من قرابةِ قومهِ فيقولون لقد أصابت فلاناً فاقةٌ، فحلت له المسألةُ حتى يُصيب قواماً من عيشٍ أو قال: سداداً من عيشٍ، فما سواهن من المسألة سُحْتٌ يأكُلُها صاحبُها سُحتاً»..

٦ - الفقر قد يكون معصية يعاقب عليها المرء إذا نشأ عن إسراف أو تكاسل قال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾(١).

وقال ﷺ - فى الصحيح -: «اليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السُّفْلى»..

***

◆◆ المواجهة الأخلاقية للفساد الاقتصادى

للعقيدة والأخلاق دور مهم وأساسى فى محاربة الفساد الاقتصادى والحد من انتشاره، ومحاصرة آثاره، ويتجلى ذلك من عدة جوانب:

١ - التكافل:

إن مساعدة الآخرين والقيام بشئون ذوى الحاجات فريضة إسلامية، وحق من حقوق المسلم على المسلم، وقد قال رسول الله ﷺ - فى صحيح الحديث -: «مَن نفَّسَ عن مسلمٍ كُربةً من كُرَبِ الدنيا نفسَ الله عنه كربةً من كربِ يوم القيامة،

(١) سورة الإسراء: الآية (٢٩).

ومن يسَّر على معسرٍ يسَّرَ الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن سَتَرَ مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، واللهُ فى عونِ العبدِ ما كان العبدُ فى عونِ أخيهِ»..

وتتعدد مظاهر التكافل الإسلامى بما يشمل جوانب العجز كلها مادية كانت أومعنوية..

واستشعار هذا الحق يمنع الإنسان من الفساد الاقتصادى، ويحجزه عن ظلم الآخرين وأكل أموالهم بالباطل.. وليس هذا وحده بل إنه يدفع المسلم إلى أن يجود بما معه ويعطى مما يملك، ويؤثر على نفسه، وقد قال رسول الله ﷺ ـ فى صحيح الحديث ـ : **«مَن كان معه فضلُ ظهرٍ فليعُدْ به على من لا ظهرَ له، ومن كان له فضلٌ من زادٍ فليعُدْ به على من لا زادَ له، قال الراوى أبو سعيد الخدرى : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منا فى فضلٍ»..**

٢ـ الأمـــــانـة :

التجارة أمانة، وشعارها الصدق فى المعاملة، والتاجر الأمين له منزلة رفيعة فى الدين، وقد قال رسول الله ﷺ : **«التاجِرُ الصدوقُ الأمينُ مع النبيينَ والصديقينَ والشهداءِ»..**

وإن من علامات الساعة ضياع الأمانة، فيصبح الناس يتبايعون ـ كما قال النبى الكريم ـ **«لا يكادُ أحدٌ يؤدِّى الأمانةَ، حتى يُقال: إنَّ فى بنى فلانٍ رجلاً أميناً، حتى يقال للرجُلِ: ما أجلَدَهُ، ما أظرَفَه، ما أعقلَه وما فى قلبِهِ مثقالُ حبَّةٍ من خَرَدلٍ من إيمَانٍ»..**

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : **«وَلَقد أتى علىَّ زمانٌ وما أُبَالِى أيُكُم بايعْتُ، لئن كانَ مسلماً ليرُدَّنه علىَّ دينهُ، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه علىَّ ساعيه[1]، وأما اليوم فما كنتُ لأبايعُ منكم إلا فلاناً وفلاناً»** رواه مسلم..

٣ـ القنـــاعـة :

المسلم ليس نهماً، ويرضى بما قسم الله له، ويقنع بالربح الحلال ولو كان يسيراً، ويساعد على الرواج الاقتصادى ولا يحتكر سلعة انتظاراً لغلاء سعرها..

فالمحتكر على خلق ذميم وشح قاتل، وهو يفرح عند حزن الناس، ويحزن عند

(١) أى الحاكم والوالى.

فرحهم، وليس هذا من أخلاق المؤمنين، وقد قال رسول الله ﷺ: «مثلُ المؤمنينَ فى توادّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم مثلُ الجَسَدِ إذا اشتكَى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجَسَدِ بالسهرِ والحُمَّى»..

وقد وعد رسول الله بالرزق والبركة لكل مستورد يجلب السلع ويغمر بها السوق وييسر التعامل فيها، وأوعد المحتكرين بنقيض قصدهم وهو الإفلاس من كل جانب وفرار الناس منهم حتى لا يجدوا متنفساً لسلعهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «الجَالِبُ (المستورد) مَرزوقٌ، والمُحتكِرُ مَحرُومٌ، ومن احتكَرَ عَلَى المسلمينَ طعامَهُمْ ضَرَبَهُ الله بالجُذَامِ والإفلاسِ». رواه ابن ماجة.

٤ـ الإيــثــــار:

يسمو المسلم فى الأخلاق حتى يعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه ويصل من قطعه، ويسمو فى المعاملات الاقتصادية حتى يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة..

وهذا موقف لا يعرف على جهة العظمة والاستمرار إلا من خلال العقيدة والثقة بوعد الله والرغبة فى الفردوس الأعلى..

وعندما وصل المهاجرون إلى المدينة المنورة استقبلهم الأنصار وقاسموهم ديارهم وأموالهم عن طيب خاطر، وفيهم نزل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١)..

وأخرج أحمد بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: «بينما عائشةُ ـ رضى الله عنها ـ فى بيتِهَا إذ سمعت صوتاً فى المدينة فقالت: ما هذا؟ قالوا: عيرٌ لعبدِ الرحمن ابن عوفٍ قدمت من الشام تحملُ من كلِّ شيءٍ، قال: وكانت سبعمائة بعير، قال: فارتجَّت المدينةُ من الصوتِ، فقالت عائشةُ ـ رضى الله عنها ـ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: قد رأيتُ عبدالرحمن بن عوف يدخلُ الجنةَ حَبْوًا، فبلغَ ذلكَ عبدَالرحمنِ بن عوفٍ، فقال: لئن استطعتُ لأدخلَنَّها قائماً، فجعَلَها بأقتابِهَا وأحمَالِهَا فى سبيلِ اللهِ عز وجل»..

(١) سورة الحشر: الآية (٩).

◆◆ نبيٌ يعالجُ الفساد الاقتصادي

بعث الله تعالى الأنبياء ليقوم الناس بالقسط، وليعيش الناس عباد الله إخواناً، وقد التقت الرسالات على أصول ثابتة من التوحيد والعبادات ومكارم الأخلاق..

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(1)...

وكان لكل نبى تخصص يعالج به ما انتشر فى قومه من فساد، لأن كل نبى بعث إلى قومه خاصة، ولم يتحقق عموم الرسالة زماناً ومكاناً إلا لسيدنا محمدﷺ، فهو صاحب الرسالة العامة الخالدة..

قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾(2)..

لقد بعث الله تعالى لوطاً ليعالج الفساد الأخلاقى والاجتماعى فنهاهم عن فاحشة سادت فيهم وهى إتيان الذكران وهجر النساء..

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(3).

وبعث الله موسى ليعالج الفساد السياسى ممثلاً فى الملك الطاغية وبطانة السوء ورأس المال المستغل..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾(4)..

ومن خلال تاريخ الأنبياء عليهم السلام نجد شعيباً عليه السلام قد تخصص فى العلاج الاقتصادى..

لقد بدأ دعوته ببيان عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمن ثم حدد خطوات الإصلاح الاقتصادى فى أربعة اتجاهات هى :

١ ـ النهى عن نقص الكيل والميزان عند البيع والعطاء..

٢ ـ الأمر بالوفاء بالكيل والميزان عند البيع والشراء..

---

(١) سورة البقرة : الآية (٨٣).

(٢) سورة فاطر : الآية (٢٤).

(٣) سورة النمل : الآيات (٥٤ ، ٥٥).

(٤) سورة غافر : الآيات (٢٣ ، ٢٤).

٣ ـ النهى عن البخس فى الحقوق المالية والمعاملات الاقتصادية..
٤ ـ النهى عن الإفساد فى الأرض بأكل الأموال أو انتهاك الأعراض أو الاعتداء على الأنفس..

وربط سيدنا شعيب عليه السلام ذلك كله بعقيدة البعث والجزاء، فإن من أيقن بالحساب بعد الموت، والسؤال بين يدى الله عزوجل، والثواب والعقاب فى الآخرة ـ عمل جاهداً على حسن الاستجابة للأمر الإلهى ونأى بنفسه عن المعصية لله، وحقق الترابط الأخوى بين بنى البشر، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[١]..

ورفض أهل مدين هذا النداء الطاهر، وآثروا عبادة الأصنام، ورفضوا تحكيم شرع الله، وأصروا على الإفساد الاقتصادى، وتعالوا على نبيهم، واستهزءوا به..

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[٢]، وظل شعيب عليه السلام يجادلهم بالحسنى ويشرح لهم حقيقة موقفه الإصلاحى ويبين لهم التزامه الأمين بما يدعو إليه، وينصحهم بالتخلى عن العداوة والبغضاء لأن الموقف جد خطير، و أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، وأن عبرة التاريخ تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المتمردين على دعوة الحق الخارجين على قيم الأخلاق لابد أن يلحقهم عدل الله، ومع ذلك فإن باب التوبة مفتوح، ورحمة الله قريب من المحسنين..

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[٣]..

(١) سورة هود: الآيات من (٨٤ إلى ٨٦).
(٢) سورة هود: الآية (٨٧).
(٣) سورة هود: الآيات (من ٨٨ إلى ٩٠).

ورفض القوم النصيحة وأعلنوا المواجهة: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾(1)..

وقام خطيب الأنبياء ينذرهم الإنذار الأخير: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾(2)..

وصدق الله وعده وأنزل بأسه وجاءت لحظة العدل الإلهى فأخذتهم الصيحة وجاءتهم الرجفة، واجتاحهم عذاب يوم الظلة، وأمطرتهم السماء كسفاً فأصبحوا هالكين.. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾(3)..

وهكذا وقف نبى الله شعيب عليه السلام فى وجه الفساد الاقتصادى وتحمل عبء الدعوة إلى الإصلاح، وظل حريصاً على هداية قومه، يقلب لهم الوجوه ويوضح لهم الحقيقة، ويشرح لهم المشكلة ويقدم لهم الحل، ويناشدهم الاستجابة، حتى كانت اللحظة الحاسمة والإرادة الإلهية النافذة بنجاة شعيب ومن آمن معه، وهلاك الملأ المستكبرين الطغاة..

***

تأمين المسيرة الاقتصادية

الناس لا يصلحون إلا بشيئين اثنين لا ثالث لهما: الإيمان وسلطة الدولة..

وليس كل إنسان ينزجر لما يخشاه فى الآخرة، ومن هنا كان الإسلام حكيماً فى معالجة الفساد الاقتصادى بالترغيب والترهيب ثم بالقوة وسلطان القانون بما شرعه الله من الحدود والتعزيرات، وهناك حدان شرعيان يتعلقان بالمسيرة الاقتصادية هما:

(١) سورة هود: الآية (٩١).
(٢) سورة هود: الآيت (٩٢، ٩٣).
(٣) سورة هود: الآيات (٩٤، ٩٥).

١ ـ حد السرقة:

والسرقة هى أخذ المال من حرز مثله مما لا شبهة للسارق فيه، والحد هو قطع اليد اليمنى من مفصل الكوع، فإن سرق ثانية بعد إقامة الحد عليه قطعت رجله اليسرى من مفصل الكعب، فإن سرق ثالثة قطعت يده اليسرى، فإن سرق رابعة قطعت رجله اليمنى..

واختلف الفقهاء فى النصاب المسروق، وتعددت الآراء ما بين ربع دينار أو أربعة دنانير أو ثلاثة دراهم أو عشرة أو أربعين.. وقال أهل الظاهر لا يشترط نصاب بل يقطع فى القليل والكثير.. ولكل وجهة..

قال الله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وفى صحيح مسلم بسنده عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»..

٢ ـ حد الحرابة :

الحرابة هى تربص طائفة من أهل الشر بطرق الناس يرهبونهم ويسلبون أموالهم ويشيعون الرعب فى المجتمع بحملهم السلاح وقتلهم المارة..

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]..

وللفقهاء ثلاثة مذاهب فى فهم هذه الآية الكريمة :

(أ) قول سعيد بن المسيب ومجاهد و عطاء وإبراهيم النخعى: إن الإمام مخير بين أن يقتلهم، أو يقتلهم ويصلبهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفيهم من الأرض، يفعل من ذلك ما ينفع الناس ويردع المفسدين..

(ب) قول مالك وطائفة من فقهاء المدينة إن الأحكام مرتبة باختلاف صفاتهم، فمن كان منهم ذا رأى وتدبير قتله الإمام ولم يعف عنه ومن كان ذا بطش وقوة قطعت يده ورجله من خلاف، ومن لم يكن ذا رأى ولا بطش عزر وحبس..

(١) سورة المائدة : الآية (٣٨).
(٢) سورة المائدة: الآية (٣٣).

(جـ) قول ابن عباس والحسن وقتادة والشافعى وأحمد: إن الأحكام مرتبة باختلاف أفعالهم، فمن قتل وأخذ المال قُتل وصلب، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، ومن أظهر السلاح ولم يأخذ المال ولم يقتل عزر بنفيه من بلده إلى بلد آخر..

والحدود فى غايتها الكبرى هى تأكيد لسلطان العقيدة والأخلاق لأن المسلم إذا زلت قدمه ودفعته النفس الأمارة بالسوء إلى الانحراف فإنه يستشعر قدرة الله وجلاله وكماله فيسعى باختياره إلى المصالحة مع الله تعالى والتوبة النصوح، ويقبل إقامة الحد عليه بنفس مطمئنة موقناً أن عقاب الدنيا أهون من عقاب الآخرة، وأن متاع الدنيا قليل، وثواب الله خير..

هذا وإذا كان الإفساد الاقتصادى لا يندرج تحت حد من حدود الله تعالى فإن لولى الأمر بمشورة أهل الاجتهاد أن يضع من العقوبات ما يحقق أمن المجتمع وسلامته، وهو ما يسمى التعزير، وللفقهاء رأيان فى عقوبة التعزير :

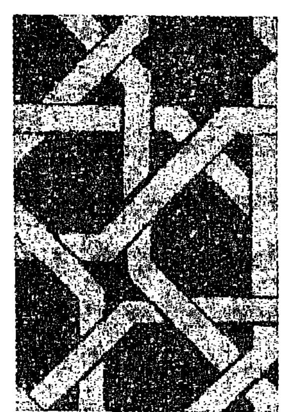
١ ـ ألاّ يصل بالعقوبة إلى أدنى الحدود وهو الجلد أربعين أو ثمانين جلدة فى حد الخمر.

٢ ـ أن يصل بالعقوبة إلى أقصى الحدود وهو القتل..

وأيا ما كان فالتدرج فى التعزير مطلوب، وهو يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأوقات، فما يصلح لزمن قد لا يستمر لآخر، وما ينزجر به شخص قد لا ينزجر به آخر..

لكن تظل العقوبة الأساسية فى التعزيرات هى الجلد لأنه إيلام شخصى ويترك أثراً مباشراً على الجانى نفسه، فهو أردع للجريمة وأنفى للمعصية.. وقد شرع الله تعالى الجلد فى حدود القذف والزنا والخمر..

***



٢ فتاوى فى الزكاة والأموال

١ - زكاة المال وزكاة الفطر

س : ما الفرق بين زكاة المال وزكاة الفطر ؟

***

ج : شأن المسلم أن يشكر نعمة الله عليه، ويعيش مع الناس يحس إحساسهم ويتجاوب مع مشاعرهم فيؤدى الزكاة ويقرض المحتاج ويتعاون فى مشروعات البر والخير، حتى لا يلحقه الوعيد الإلهى فى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1]..

وهناك فروق جوهرية بين زكاة المال وزكاة الفطر.

فزكاة المال تتعلق - كما هو ظاهر التسمية - بالأموال المدخرة أما زكاة الفطر فتتعلق بالأبدان أى الأشخاص الذين ينفق عليهم الإنسان.

وأيضاً زكاة المال لا تجب إلا عند بلوغ النصاب وهو المبلغ المحدد شرعاً بعشرين مثقالاً من الذهب أو مائتى درهم من الفضة، أما زكاة الفطر فلا يشترط فيها نصاب معين بل تجب على من يملك قوت يوم العيد وليلته له ولمن تلزمه نفقته..

كذلك فإن زكاة المال ليس لها وقت معين تخرج فيه بل هى مرتبطة بمضى

(١) سورة التوبة : الآيات (٣٤ ، ٣٥).

حول كامل على النصاب، أما زكاة الفطر فهى خاصة بمن أدرك جزءاً من رمضان وجزءاً من شوال..

ومن جهة أخرى فإن مقدار زكاة المال هو ربع العشر أى ٢,٥٪، أما زكاة الفطر فمقدارها قدحان من أرز أو قمح أو غيرهما مما يقتاته الناس، ويجوز إخراج القيمة، والأصل فى ذلك كله ما جاء فى الصحيحين عن ابن عمر - رضى الله عنهما -: «أن رسولَ الله ﷺ فرضَ زكاةَ الفطرِ من رمضان على الناسِ صاعاً من تمرٍ أو صاعاً من شعيرٍ على كل حُرٍّ أو عَبدٍ ذكرٍ أو أُنثى من المسلمين»، وفى حديث آخر صحيح «أن رسولَ الله ﷺ أمرَ بإخراجِ زكاةِ الفطرِ أن تُؤَدَّى قبل خروجِ الناسِ إلى الصلاةِ» أى صلاة العيد وذلك حتى يتحقق للمسلمين جميعاً السرور والبهجة..

***

◆◆ ٢ - إخراج الزكاة فى شهر رمضان

س : لدىّ زكاة واجبة على الأموال أحاول أن أخرجها خلال شهر رمضان.. فهل فى تأخيرها حرمة؟

***

ج : زكاة الأموال تجب بانقضاء عام هجرى كامل على بدء بلوغ النصاب المعتبر شرعاً.. وقد روى مرفوعاً من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ: «**لا زكاةَ فى مالٍ حتى يحولَ عليهِ الحولُ**»، وهذا مُجمع عليه عند الفقهاء..

وتاريخ بدء النصاب يختلف من شخص لآخر فرب إنسان يبلغ نصابه فى المحرم وآخر فى صفر، وثالث فى ربيع وهكذا، ويترتب على ذلك أن يظل توزيع الزكاة على مدار العام فينتفع الفقراء وذوو الحاجات طوال السنة وهذه حكمة إلهية سامية..

وعلى هذا فليس شهر رمضان بذاته يتحتم بدءاً للنصاب أو نهاية للزكاة بل هو بالنسبة للزكاة كسائر شهور العام الهجرى..

لكن من المعروف أن للحسنة فى شهر رمضان منزلة خاصة فقد قال عليه

الصلاة والسلام كما رواه ابن خزيمة وابن حبان : « **من تقرَّبَ فيهِ بخصلةٍ من الخيرِ كانَ كمن أدَّى فريضةً فيما سواه ومَن أدَّى فريضةً كان كَمَن أدَّى سبعينَ فريضةً فيما سِوَاهُ** »..

وعلى هذا فيمكن عند بعض الفقهاء تعجيل إخراج الزكاة قبل الحول حتى تصير فى رمضان.. فمن ينتهى حوله فى شوال أو فى ذى القعدة أو فى ذى الحجة ثم أخرج زكاته فى رمضان لعظم الثواب تقبل الله منه وأجزأه عن زكاته، أما من ينتهى حوله قبل رمضان فيحرم عليه تأخيرها لأن الأصل إبراء الذمة وأداء الحقوق لأصحابها..

***

٣ ـ زكاة الفطر

س : ما زكاة الفطر؟ وعلى من تجب؟ وما مقدارها؟

***

ج : زكاة الفطر سميت بذلك لأن وجوبها يتحقق بالفطر من آخر يوم من رمضان، وتسمى زكاة الفطرة التى هى الخلقة المرادة بقوله تعالى : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1]، والمعنى أنها وجبت على الخلقة تزكية للنفس وتطهيراً لها وتنمية لعملها..

وزكاة الفطر لشهر رمضان كسجدة السهو للصلاة، تجبر نقصان الصوم كما يجبر السجود نقصان الصلاة، وقد جاء فى الحديث المشهور أنها طهرة للصائم من اللغو والرفث وهى أيضاً طعمة للمساكين فى يوم العيد حتى يعم المسلمين جميعاً شعور الغبطة والسرور والسعادة، وعن مقدار صدقة الفطر ووقت أدائها يحدثنا ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ كما فى صحيح البخارى ـ قال: «**فرضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفِطرِ صاعاً من تمرٍ أو صَاعاً من شعيرٍ على العبدِ والحرِّ، والذكرِ والأُنثى والصغيرِ والكبيرِ من المسلمين وأمَرَ بها أن تُؤَدَّى قبل خروجِ الناسِ إلى الصلاةِ**».. فهذه الزكاة تجب بغروب الشمس من

(١) سورة الروم : الآية (٣٠).

آخر يوم من رمضان فكل من أدرك جزءاً من رمضان وجزءاً من شوال تجب عنه الزكاة فنخرجها عمن ولد قبل غروب الشمس من آخر يوم من رمضان، وكذلك نخرجها عمن مات بعد الغروب، لكن من ولد بعد الغروب فلا زكاة عنه لأنه لم يدرك جزءاً من رمضان، ويزكى الإنسان عن نفسه وعمن تلزمه نفقته من المسلمين كزوجته وأولاده الذين ينفق عليهم والخادم الذى يعمل بأجر وشرط نفقته على المستأجر.. وكذلك يزكى عن أبويه إن كانوا فى كفالته ولا مال لهم..

ولا يشترط فى هذه الزكاة نصاب معين بل تجب على من يجد زيادة عن قوته وقوت من تلزمه نفقته يوم العيد وليلته وما يليق بهم..

ومقدار هذه الفريضة ـ على ما نختاره ـ قدحان من قمح أو شعير أو أرز أو غير ذلك مما يقتات، وتجوز القيمة ويفعل المسلم من ذلك ما يتناسب مع حاجة الفقير تبعاً للزمان والمكان، وإخراجها قبل صلاة العيد[1] مندوب، وتأخيرها إلى ما بعدها خلاف الأولى فإن أخرها عن يوم العيد بلا عذر حرم ووجب قضاؤها فوراً، ويجوز إخراجها من أول رمضان..

***

٤ ـ حلى المرأة والأوانى الذهبية

س : هل فى حلى المرأة زكاة؟ وما حكم استعمال الأوانى الذهبية؟

***

ج : الرأى المختار للفتوى أنه ليس فى الحلى المباح زكاة، بمعنى أن ما تتخذه المرأة من الذهب للزينة ويكون فى حدود العرف العام لا زكاة فيه.. فإن تحول الحلى عن غرضه الأساسى وهو الزينة واصبح يقتنى للادخار كما يفعل بعض الناس من شراء الذهب كنوع من حفظ المال أصبحت الزكاة واجبة فيه، كذلك إن كانت هناك مبالغة فى الزينة بحيث تخرج عن المألوف ولا تتناسب مع الوضع المالى للأسرة وجبت فيه الزكاة أيضاً..

(١) وقت صلاة العيد من طلوع الشمس إلى زوالها عند الظهيرة ومن السنة تأخير صلاة عيد الفطر لإفساح المجال لتوزيع الصدقة قبلها وتعجيل صلاة عيد الأضحى لإفساح المجال لذبح الأضحية وتوزيعها بعد الصلاة.

والمقدار الذى تجب فيه الزكاة عشرون مثقالاً من الذهب ويقدر حالياً بحوالى خمسة و ثمانين جراماً تقريباً..

فالذين يحتفظون بالذهب كنوع من الادخار ويبلغ هذا الذهب خمسة وثمانين جراماً وجب عليهم إخراج الزكاة وقدرها ٢,٥٪ فتقوم هذه الجرامات بالسعر الحالى ثم تخرج الزكاة..

وبالنسبة لاستعمال الذهب والفضة فإنه لا يجوز للمسلم أو المسلمة سواء فى الأكل أو الشرب وسواء كان ذلك عن طريق الأوانى أو الملاعق، ففى صحيح الحديث: «من شَرِبَ فى إناءٍ من ذهبٍ أو فضةٍ فإنما يُجَرْجِرُ فى بطنِهِ ناراً من جَهنَّمَ».. وفى رواية: «فإنه من شَرِبَ فيها فى الدنيا لم يشرب فيها فى الآخرة».. وهكذا يعلمنا رسول الله ﷺ أن نكون إنسانيين نبلاء فلا يجوز أن يأكل البعض فى أوانى الذهب والفضة والمجتمع لا يخلو من المحتاجين وذوى العاهات الذين يتطلعون إلى لقمة الخبز..

ومن هنا فالذين يملكون النصاب من الذهب وهو عشرون مثقالاً أى خمسة وثمانون جراماً أو من الفضة وهو مائتان من الدراهم وجب عليهم إخراج ٢,٥٪ وتبقى الحرمة عليهم ماداموا يستعملون أوانى الذهب أو الفضة..

والله أعلى وأعلم..

***

◆◆ ٥ ـ الصدقة من مال حرام

س : أنا فى حاجة إلى قبول الصدقات، لكن بعض الناس يتصدقون علىّ وهم أصحاب أموال جمعوها من المغالاة فى الأرباح و استغلال حاجة الناس للسلع.. فهل أقبل الصدقة منهم؟!..

***

ج : هذا السؤال طريف جداً، لأنه جاء من الطرف الأضعف وهو الفقير حيث يحرص على أن يكون مال الصدقة حلالاً، وقد تعودنا أن نتلقى السؤال من أصحاب الأموال فى كيفية تصريف أموالهم..

فنشكر للسائل همته وحرصه على دينه وتعففه عن الشبهة، ونطمئنه بأنه لا

حرج عليه فى أخذ الصدقة مادام محتاجاً، وليس له أن يسأل عن مصدرها، وقضية قبول الصدقة وعدم قبولها فذلك مرجعه إلى الله عزوجل، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، بمعنى أنه جل شأنه يعطى الثواب الجزيل للمتصدق من مال حلال، ولا يمنح ثوابه للمتصدق من مال حرام..

قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1].

وقد نبه السائل إلى مسألة تهم المجتمع ككل وهى أن هناك طائفة من التجار لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة، ويستغلون حاجة الناس إلى السلعة ويغالون فى أثمانها..

وهؤلاء يجمعون حراماً، ويأكلون سحتاً، ويظلمون الناس ويبغون فى الأرض فساداً.. قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]..

وقد دعا الإسلام إلى السماحة فى البيع والشراء، واليسر فى التعامل، ففى صحيح البخارى عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمحاً إذا باعَ وإذا اشترَى وإذا اقتضَى»..

***

◆◆ ٦ ـ إعطاء الزكاة للأولاد

س : هل يجوز إعطاء الزكاة لبنت المزكى المتزوجة من رجل فقير؟!

***

ج : الزكاة أحد أركان الإسلام وهى واجبة الأداء عند الحصاد بالنسبة للزرع والثمار، وعند حلول الحول بالنسبة للأموال المدخرة وعروض التجارة، وقد شدد الإسلام فى عقوبة تارك الزكاة حتى قال تعالى : ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[3]..

(١) سورة التوبة: الآية (١٠٤). (٢) سورة المطففين: الآيات (من ١ إلى ٦). (٣) سورة التوبة: الآيات (٣٤، ٣٥).

وقد حدد الله سبحانه مصارف الزكاة فى قوله سبحانه : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]..

وإذا تحققت هذه الأوصاف الموجبة لاستحقاق الزكاة فى شخص قريب لا تجب على المزكى نفقته كان هو أولى بالزكاة من غيره وتعتبر صدقة وصلة فالأقربون أولى بالمعروف..

والبنت المتزوجة لا تجب نفقتها على أبيها لأنها فى عصمة رجل ونفقتها لازمة على زوجها.. فإذا كان الزوج فقيراً مستحقاً للزكاة كان لأبيها المزكى أن يعطيها زكاته وله ثواب الصدقة وصلة الرحم..

وحدثتنا كتب الصحاح أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2]، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ وقال: «إن أَحَبَّ أموالِى إلىَّ بَيْرحَىْ [3] أى حديقةٌ، وإنها صدقةٌ لله أرجُو بِرَّها وذُخْرَهَا عندَ اللهِ فَضَعْهَا يا رسولَ الله حيث شئتَ فقال عليه الصلاة والسلام: بخ، ذلك مالٌ رابحٌ ذلك مالٌ رابحٌ، فقد سمعتُ ما قلت فيها وإنى أرى أن تجعَلَهَا فى الأقربين، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وَبَنِى عَمِّهِ»..

وذات يوم ذكرت ميمونة بنت الحارث لرسول الله ﷺ أنها أعتقت وليدة فقال: «لو أعطَيتِها أخوالَكِ، وفى رواية أختك ـ كان أعظمَ لأجرِكَ».. رواه مالك فى الموطأ.

هـذا وبـالله التوفيـق..

***

◆◆ ٧ـ إعطـاء الزكـاة للـزوج

س : زوجى مريض واستنفد ثروته فى العلاج وأنا أملك ثروة خاصة فهل يجوز أن أعطيه زكاة مالى؟

***

(١) سورة التوبة : الآية (٦٠). (٢) سورة آل عمران : الآية (٩٢). (٣) وفى رواية «بَيْرحاء».

ج : من تجب على الإنسان نفقته لا تجوز عليه زكاته، فالإنسان ملزم شرعاً بالإنفاق على أصله كأبيه وأمه، وعلى فرعه كأبنائه وبناته وعلى زوجته.. فهؤلاء لا يجوز إخراج الزكاة لهم، والمرأة لا تكلف شرعاً بالإنفاق على زوجها فإن تطوعت فهو خير، ومن هنا فيجوز للمرأة أن تخرج زكاة أموالها إلى زوجها الفقير المحتاج متى كان ممن يستحقون الزكاة..

وهناك موقف مشابه تحكيه كتب السنة الصحيحة عن زينب الثقفية امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قالت : قال رسولُ الله ﷺ : «تصدَّقْنَ يا معشرَ النساءِ ولو من حُلِيكُنَّ، قالت : فَرَجَعتُ إلى عبدِالله بن مسعودٍ فقلت له : إنك رجلٌ ضعيف ذاتِ اليدِ (أي فقير لا تملك) وإن رسولَ الله ﷺ قد أمَرَنَا بالصدقةِ فأته فاسأله، فإن كانَ ذلك يجزئ عنّي وإلا صرفتها إلى غيركم، فقال عبدالله : بل ائتيه أنتِ، فانطلقتُ فإذا امرأةٌ من الأنصار ببابِ رسولِ الله ﷺ حاجَتِي حاجتُها، وكان رسولُ الله ﷺ قد أُلقِيت عليه المهابةُ فخرجَ علينا بلالٌ فقلنا له، ائت رسولَ اللهِ ﷺ فأخبِرْهُ أن امرأتين بالبابِ تسألانك أتُجزِئُ الصدقةُ عنهما على أزواجِهما وعلى أيتامٍ في حجورِهما؟ ولا تخبِرْهُ مَنْ نَحْنُ، فدخلَ بلالٌ على رسولِ الله ﷺ فسأله فقالَ رسولَ الله ﷺ: مَن هُمَا؟ قال: امرأةٌ من الأنصارِ وزينبُ، فقال رسولُ الله: أيُّ الزيانبِ هِيَ؟ قال: امرأةُ عبدِالله، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: لهما أجران أجرُ القرابَةِ وأجْرُ الصدقةِ»..

***

◆◆ ٨ ـ رد الدَّين من مال حرام

س : أقرضت شخصاً مبلغاً من المال ثم علمت أن كسب هذا المقترض حرام فهل يجوزُ لي أخذ هذا الدين عند رده إليَّ أو من الأفضل تركه؟

***

ج : القرض باب من أبواب الخير، جعل الله تعالى ثوابه كبيراً للمقرض فقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(١) وشأن الإنسان العاقل ألاَّ

(١) سورة الحديد : الآية (١١).

يلجأ إلى الدَّين إلا عند الضرورة، فالدَّين هَمّ بالليل ومذلة بالنهار، وإذا اضطر المرء إلى الاقتراض فعليه أن ينوى سرعة الأداء والوفاء، لقوله ﷺ فى صحيح الحديث : « مَن أخذَ أموالَ الناسِ يُرِيدُ أداءَهَا أدَّى اللهُ عنه، ومَن أخَذَها يُرِيدُ إتلافها أتلَفَهُ اللهُ ».

ويجوز الاقتراض والإقراض للمسلم وغير المسلم، ولا نظر لمال المقترض أو المقرض، فقد اقترض رسول الله ﷺ من اليهود رغم أنهم يأكلون الربا والسحت بنص قوله تعالى : ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[1].

وفى صحيح الحديث عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : اشترى رسولُ الله ﷺ من يهودِىٍّ طعاماً بنسيئةٍ، وفى رواية : إلَى أجَلٍ، ورَهَنَه درعًا لَهُ من حَدِيدٍ.

وعلى السائل الكريم أن يأخذ حقه من المقترض إذا رده إليه مادام ماله يجمع بين الحل والحرمة، وليس متمحضاً للحرمة، اللهم إلا أن يتيقن أن المال الذى رجع إليه مسروق بعينه أو مغتصب بذاته فلا يجوز أخذه لأن المال الحرام لا يتملك ولا يجوز التصرف فيه ويجب إرجاعه لصاحبه فهو أولى به..

وعندما يترك المقرض دينه فى هذه الحال الأخيرة فإن الله سيضاعف له الأجر والثواب..

***

◆◆ ٩ ـ إعطاء الزكاة للعصاة

س : هل يجوز إعطاء الصدقة لمن لا يلتزم بحدود الله؟

***

ج : فى البداية يجب أن نعلم أن المسلم لا يكفر بمعصية مادام غير مستحل لها، وما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة و إن زنى وإن سرق كما ورد ذلك فى صحيح الحديث، غاية ما فى الأمر أن ذلك متروك لمشيئة الله العليا إن شاء عذبه بقدر معصيته وإن شاء عفا عنه..

واستقراء الأحاديث الصحيحة يرشد إلى ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت

(١) سورة المائدة : الآية (٤٢).

الصدقة فى يد فاسق، وفى حديث مسلم : «قال رجلٌ لأتصدَّقن الليلةَ بصدقةٍ فخَرجَ بصدقتِهِ فوضَعَهَا فِى يدِ زانيةٍ فأصبحُوا يتحدَّثُون : تُصُدِّق الليلةَ على زانيةٍ، قال: اللهم لك الحمدُ على زانيةٍ، لأتصدَّقن بصدقةٍ فخرجَ بصدقتِهِ فوضعَهَا فى يَدِ غنىٍّ، فأصبَحُوا يتحدَّثُون : تُصُدِّقَ على غَنِىٍّ، قال : اللهمَّ لك الحمدُ على غنى، لأتصدقنَّ بصدقةٍ فخرج بصدقتِهِ فوضعها فى يَدِ سارقٍ، فأصبحُوا يتحدثُّونَ تُصُدِّقَ على سارقٍ، قال : اللهمَّ لك الحمدُ على زانيةٍ وعلى غَنِىٍّ وعلى سارقٍ، فأُتِى فقيل له : أما صدقتُكَ فقد قُبلت، أما الزانيةُ فلعلَّها تستعِفُّ بها عن زناها، ولعل الغَنِىَّ يعتبرُ فينفقُ مما أعطاهُ اللهُ ولعلَّ السارقَ يستعفُّ بها عن سرقتِهِ»..

ومما لا يغيب عن البال أن من الأصناف الذين ذكرهم القرآن لمصارف الزكاة ـ صنف المؤلفة قلوبهم وهم غير المسلمين ليسلموا وضعاف الإيمان ليقوى إيمانهم أو أهل الجهالة والقسوة مداراة لهم..

وذات يوم قسم رسول الله ﷺ قسماً فقال له عمر: يا رسولَ اللهِ لَغَيرُ هؤلاء أحقُّ به منهم، فقال ـ كما فى صحيح مسلم ـ : «إنهم خيَّرونِى أن يسألُونى بالفُحْشِ ويُبخلونِى فلستُ بباخِلٍ» أى أن هؤلاء قوم سفهاء وألحوا فى المسألة فأعطاهم مداراة لهم، ومما يؤكد هذا المعنى حديث البخارى : «إنى لأُعْطِى الرجلَ وأَدَعُ الرَّجُلَ والَّذِى أَدَعُ أَحَبُّ إلىَّ من الذى أُعْطِى»..

هــذا وبالله التوفيــق..

***

◆◆ ١٠ ـ رزق الإنســـان

س : هل الرزق فى الدنيا يساق للإنسان على قدر عمله؟

***

ج : القاعدة العامة أن رزق الله يساق للإنسان فى هذه الدنيا على ما قدره الله تعالى أزلاً وعلى مقتضى حكمته سبحانه فى نظام هذه الدنيا، قال تعالى :

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1]..

والتسخير هنا هو تبادل المنافع واحتياج كل إنسان للآخر مهما كان وضعه، وليست كثرة المال أو قلته دليلاً على محبة الله لعبده أو بغضه له فإن الدنيا ليست جزاء لمؤمن وشواهد ذلك من القرآن والسنة كثيرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]..

وجاء فى صحيح الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لا أحد أصبر على أذى يسمعه ـ من الله عزوجل، إنه يُشْرَكُ به ويُجْعَلُ لَهُ الوَلَدُ ثُمَّ هو يعافيهم ويرزُقُهُم»..

وروى الترمذى حديثاً حسناً صحيحاً أن الرسول ﷺ قال: «لَو كانت الدُّنيا تَزِنُ عندَ اللهِ جناحَ بَعُوضَةٍ ما سَقَى منها كَافِراً شربةَ مَاءٍ أبداً»..

والذى يجب أن يعلمه الناس أن كثرة المال أو قلته إنما هى امتحان من الله لعبده ليشكر أو يصبر قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ﴾[3]..

ومحبة الله لعبده إنما تكمن فى بركة الرزق المساق إليه وليس فى كثرته أو قلته ولهذا كان وعيد الله فى هذه الحياة للمعرضين عن شرعه هو ما حكاه القرآن المجيد فى قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[4]، قال العلماء: الضنك فى الدنيا هو الذى لا طمأنينة له ولا انشراح لصدره وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو فى قلق وحيرة وشك..

***

(١) سورة الزخرف: الآية (٣٢).
(٢) سورة الزخرف: الآيات: (من ٣٣ إلى ٣٥).
(٣) سورة الفجر: الآيات (من ١٥ إلى ١٧).
(٤) سورة طه: الآية (١٢٤).

◆◆ ١١ ـ معصية الفقر

س : هل يكون الفقر معصية يحاسب عليها الإنسان؟

***

ج : القرآن المجيد يأمرنا بالسعى و التماس الرزق، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(١)..

وقد علّم الرسول ﷺ أصحابه أن العمل شرف وأن أطيب الكسب عمل الرجل بيده، فقال عليه الصلاة والسلام ـ كما فى صحيح الحديث ـ : «لأن يغدُو أحدُكم فيحطب على ظهرِهِ فيتصدَّقَ بهِ ويستغنى بهِ عن الناسِ خيرٌ لهُ من أن يَسْأَلَ رَجُلاً أعطاهُ أو مَنَعَهُ فإن اليَدَ العُلْيا أفضلُ من اليدِ السُّفْلَى»..

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نقول إن الفقر الذى ينشأ عن التكاسل وترك السعى هو فقر معصية يحاسب عليه الإنسان، وإن الفقر الذى ينجم عن التبذير والإسراف هو فقر معصية يسأل عنه المرء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾(٢)..

وقد شدد الإسلام النهى عن المسألة والتسول فقال عليه الصلاة والسلام ـ كما فى صحيح مسلم ـ : «مَن سَأَلَ الناسَ أموالَهُمْ تكثراً فإنما يَسألُ جمراً فليستقِلَّ أو ليَسْتكثِر»، وفى حديث آخر صحيح : «لا تزالُ المسألَةُ بأحدِكُمْ حتَّى يَلْقَى اللَّهَ وليسَ فى وَجْهِهِ مُزعَةُ لَحْمٍ»، أى قطعة لحم والمعنى أنه يأتى يوم القيامة ذليلاً لا كرامة له..

هذا فإن بذل الإنسان جهده والتمس الرزق الحلال من طرقه المشروعة فلا عليه بعد ذلك أن كان غنياً أو فقيراً فإن لله حكمة، و نظام الكون خاضع لمشيئة الله العليا، قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾(٣)..

***

◆◆ ١٢ ـ الهدية للموظفين

س : أنا موظفة أقوم بعمل الترقيات فى الميعاد القانونى وبحسب الأقدمية وفى حدود الضوابط المحددة، وهناك موظف ممن يستحق الترقية قال لى : إنه عند صدور قرار الترقية سوف أحضر لكِ هدية، فهل قبول هذه الهدية يدخل فى باب الرشوة؟

(١) سورة الملك : الآية (١٥). (٢) سورة الإسراء: الآية (٢٩). (٣) سورة الإسراء الآية (٣٠).

ج : يتضح من خطاب الأخت السائلة أنها تؤدى عملها بإتقان وتقوم بحركة الترقيات بأمانة وتراعى الضوابط المحددة قانوناً ولا تظلم أحداً، وهذا شيء نحمده لها ونشكرها عليه، فكل إنسان فى عمله مسئول أمام الله عزوجل أحسن أم ضيع وسيلقى كل عامل جزاء عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر..

وقد قال رسول الله ﷺ فى الحديث المتفق عليه : «كُلُكُم راعٍ وكُلُكم مسئولٌ عن رَعِيَّتِه»..

وحيث إن هناك موظفاً يعدها بهدية عند صدور قرار الترقية وهى لم تقدم له شيئاً يتعارض مع القانون وإنما عملت ما يمليه عليها النظام وقامت بإعطاء كل ذى حق حقه فإن هذه الهدية لا تعد رشوة وإنما هى تعبير عن فرحة هذا الموظف بالترقية فيسعى لإكرام زملائه بسببها، والهدية تقابل بمثلها، وكان ﷺ يقبلُ الهديةَ ويكَافِئُ عليها..

والرشوة فى مفهومها الشرعى هى ما يقدم لاقتطاع حق الآخرين والاستئثار بما لا يستحقه الراشى، فهذا أكل لأموال الناس بالباطل، والمساعدة على ذلك من كبائر الإثم والفجور والمال الذى يأتى عن طريق الرشوة هو سحت وحرام.. قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(1)..

***

◆◆ ١٣ ـ سيارة العمل

س : أعمل سائقاً فى إحدى الشركات، وأثناء سيرى بالأتوبيس، أسمح بركوب الناس معى نظير مبلغ زهيد.. فما رأى الدين؟

***

ج : السائق لا يملك الأتوبيس، وهو أمين فى استعماله، فيجب أن يلتزم بما تسمح به اللوائح والقوانين فى الشركة، فالحل والحرمة مرتبطان بذلك..

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٨).

وقد جاء فى صحيح الحديث عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رَعِيَّتِه، فالأميرُ الذى على الناس راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيَّتِهِ، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتِهِ وهو مسئولٌ عنهم، والمرأة راعِيَةٌ على بيتِ بعلِها وولدِهِ وهى مسئولةٌ عنهم، والعبدُ راعٍ على مالِ سيدِهِ وهو مسئولٌ عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رَعِيَّتِهِ**»..

وما يأخذه السائق نتيجة هذا العمل المخالف للقوانين يعد سحتاً وحراماً، لا يجوز أخذه ولا الانتفاع به، ويجب إيداعه باسم الشركة التى يعمل بها وتسليمه للمسئول عنها.. حتى تبرأ الذمة..

***

◆◆ ١٤ ـ توبة السارق

س : سرق شخص مالاً من أحد أقاربه، وحتى الآن لم يعلم هذا القريب بسرقة ماله، وقد ندم السارق ندماً شديداً فماذا يفعل حتى يتوب الله عليه؟

***

ج : إننا فى حاجة ماسة إلى أن نعيش بالقيم والأخلاق، وأن نتعامل بالحسنى والأدب، وأن نصون حرمات الناس فى أموالهم وأعراضهم، وإذا كان هذا مطلوباً على المستوى العام فإنه على المستوى الخاص أكثر طلباً وأقوى تأكيداً، فلذوى القربى مكانة خاصة فهم أحق بالمعروف والبر والصلة، وقد جاء فى صحيح مسلم بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : «**قال رجلٌ يا رسولَ اللهِ من أحقُّ الناسِ بحُسْنِ الصُّحْبَة؟ قال : أُمُّكَ ثم أُمُّكَ ثم أُمُّكَ ثُمَّ أبوكَ ثم أدْنَاكَ أدْنَاكَ**»..

فإذا تحول الإنسان إلى سارق لأموال ذوى قرباه فهو إنسان خائن للأمانات كلها ومضيع للحقوق بأجمعها، ولا يوثق به مطلقاً..

والسارق والمرتشى ومن أخذ أموال الناس بغير حق لا توبة له حتى يرد الحقوق لأصحابها أو يستسمحهم فيها، وقد أخرج البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ قال : «**مَن كانت عندَهُ مظلمةٌ لأخيهِ من عرضِهِ أو من شىءٍ**

فليتحللْه منه اليومَ قبلَ ألاَّ يكونَ دينارٌ ولا درهمٌ، إن كان له عَمَلٌ صالحٌ أُخِذَ منه بِقَدرِ مظلَمَتِهِ، وإنْ لم تكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئاتِ صاحِبِهِ فحُمِلَ عَلَيهِ»..

وعلى السارق أن يبادر برد المال لصاحبه بأية صورة من الصور، فإذا كان المسروق منه لم يعلم حتى الآن بسرقة ماله ـ كما يقول السائل ـ فليضع المال من حيث أخذه دون أن يشعر به أحد، فإن لم يتيسر له ذلك فيمكن أن يقدم لصاحب المال هدية أو منحة بما يساوى المال المسروق، ويظل يقدم له المعروف والبر حتى يضمن رضاءه عنه..

فالمهم أن يرجع المال لصاحبه مهما كانت الأوضاع وبأية صورة كانت، وعلى السارق بعد ذلك أن يندم ويبكى على خطيئته ويكثر من العمل الصالح عسى الله أن يتوب عليه، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾(1)..

***

◆◆ ١٥ ـ بيع المسروقات

س : إذا ابتاع أحد أشياء مسروقة وهو يعلم بذلك فهل يجوز شرعاً له شراؤها واستخدامها؟

***

ج : شرط صحة البيع أن يكون البائع مالكاً لما يبيع، والمسروق لا يملك لأنه حق الغير، وإذا علم المشترى بسرقة الشيء المبيع بطل العقد، وبالتالى فلا يجوز شرعاً ترويج بضاعة مسروقة ولا الاتجار فيها، وهذا من أكل أموال الناس بالباطل وقد قال تعالى : ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾(2)..

وقال ﷺ : «كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ دَمُهُ و مالُهُ وعِرْضُهُ»..

ويجب أن نحاصر الجريمة ونمنع المجرم من الانتفاع بآثار جريمته، ويجب

(١) سورة طه : الآية (٨٢).

(٢) سورة البقرة : الآية (١٨٨).

رد الحقوق لأصحابها.. وكل من شارك فى ضياع حقوق المسلم سرقة أو إيواء أو اتجاراً له نصيب من غضب الله عزوجل..

وشأن مجتمع المسلمين أن يعيشوا عباد الله إخواناً، وأن يأمن الناس فيه على الحرمات، وأن تظل الأمانة بمعناها العام عنوانه الشريف وواقعه المعاش..

***

١٦ - جـزاء السـارق

س : ما جزاء من تثبت عليه تهمة السرقة فى المرة الثالثة والرابعة، وما الحد الذى يقام عليه بعد أن تقطع يداه؟

***

ج : حددت الشريعة الإسلامية ألواناً من العقوبات تطارد بها شوارد المجتمع البشرى كى يتحقق الأمن ويشعر الناس بالطمأنينة.. ولا أحد يعلم ما يصلح النفس البشرية غير خالقها : ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]..

ومن هذه الحدود حد السرقة وهو ثابت بالقرآن والسنة وإجماع العلماء، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، وعندما أهم قريشاً شأن المرأة المخزومية التى سرقت كلموا أسامة ابن زيد أن يشفع عند رسول الله ﷺ فغضب الرسول ﷺ وقام خطيباً فقال: **«أيها الناسُ إنّما أهلكَ الذين قَبلكَمُ أنهم كانُوا إذا سَرقَ فيهم الشريفُ تركُوه وإذا سَرقَ فيهم الضَّعيفُ أقامُوا عليهِ الحدَّ، وأيمُ اللهِ لو أن فاطِمَةَ بنتَ مُحمدٍ سَرقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»..**

وإذا ثبتت السرقة بضوابطها الشرعية فإن الحد أن تقطع يده اليمنى فقط ولو تعددت السرقة قبل القطع فإن ثبتت السرقة عليه مرة أخرى بعد قطع يمناه، فأكثر العلماء على قطع رجله اليسرى لئلا يفوت جنس المنفعة عليه، فتترك يده اليسرى ينتفع بها، فإن سرق الثالثة وتأصلت الجريمة فى عروقه قطعت يده اليسرى فإن سرق الرابعة قطعت رجله اليمنى..

(١) سورة الملك : الآية (١٤). (٢) سورة المائدة : الآية (٣٨).

وما نظن إنساناً بعد ذلك يمكنه أن تحدثه نفسه بالسرقة، حتى وإن حدثته فإنه لا يستطيع تنفيذها وعلى فرض وقوع السرقة بعد ذلك فليس هناك فى حقه حد يقام وإنما يعزر بما يراه الإمام فى حقه من حبسه أو ضربه أو ما شابه ذلك..

وما ورد من آثار تفيد قتل السارق فى الخامسة فليس فيها حديث صحيح وهى منكرة لا أصل لها.. وكفى بالسارق نكالاً أن تقطع يداه ورجلاه..

ومن ذلك نتبين مدى حرص الإسلام على الملكية الخاصة وقيامه على أمن المجتمع وطهارته..

والله ولى التوفيق..

***

◆◆ ١٧ ـ التســـــــول

س : نشاهد أطفالاً ونساء يحترفون التسول فى المواصلات العامة ويقومون بتوزيع مطبوعات تتضمن سوراً وآيات قرآنية، فما حكم الدين فى هذه الظاهرة؟ وهل من الأفضل أن نمتنع عن مساعدتهم؟

***

ج : التسول ظاهرة يرفضها الإسلام، والذين يمارسون هذه العادة يجمعون أموالاً من السحت الحرام، وهؤلاء يتظاهرون بالحاجة والمرض ويتفننون فى ذلك وهم أغنياء أو قادرون على العمل..

وقد قال رسول الله ﷺ ـ كما فى الصحيح ـ : «من سَألَ النّاسَ أموالَهُمْ تَكَثُّراً فإنّما يسألُ جَمراً فَلْيَسْتَقِل أو ليستكثِر»...

أى أن مال التسول شؤم على صاحبه، يتحول إلى جمر يكوى به يوم القيامة، وفى حديث آخر صحيح يقول عليه الصلاة والسلام : «لا تزالُ المسألةُ بأحدِكم حتّى يلْقَى اللهَ وليسَ فى وجهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ» أى قطعة لحم، ومعناه أنه يأتى يوم القيامة ذليلاً لا كرامة له عند الله..

فإذا أضفنا إلى ذلك ما قد يصاحب ظاهرة التسول من توزيع مطبوعات تحمل

سوراً وآيات قرآنية تعاظم الإثم وتضاعفت الجريمة فإن هذا الصنيع امتهان للمصحف الشريف واستخفاف بكلمات الله، فقد تقع هذه المطبوعات القرآنية فى يد حائض أو نفساء أو جنب أو غير مسلم بل قد يتقاذفها الناس و تسقط على الأرض..

وهذا كله ذنب كبير وإثم عظيم..

ومن الخير أن نمتنع عن مساعدة هؤلاء الذين يتسولون ويمتهنون المصحف الشريف، وعلى المسئولين أن يتعقبوا هؤلاء ويلحقوهم بأعمال شريفة تتناسب معهم يكتسبون منها الرزق الحلال..

والله أعلم..

***

◆◆ ١٨ ـ العمل الإضافى

س : هل البحث عن عمل إضافى لزيادة الدخل يدل على عدم رضا الإنسان برزق الله؟

***

ج : السعى على المعايش فريضة بعد الفريضة، والعاقل هو من يعمل ليكتسب الرزق الحلال، وقد قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[١]، وقال رسول الله ﷺ : « ما أَكَلَ أحدٌ طَعَاماً قطُّ خَيراً من أن يأكلَ من عَمَلِ يَدِهِ، وإن نَبِيَّ اللهِ داودَ عليه السلام كان يأكلُ من عَمَلِ يَدِهِ ».

فالبحث عن عمل إضافى لزيادة الدخل جائز شرعاً بل مستحب طالما كان ذلك بضوابطه الشرعية وهى :

أولاً : لا يكون على حساب عمله الأصلى، فلا يقصر فيه ولا يتوانى عن أداء الواجبات المنوطة به وإلا كان آثماً..

ثانياً : أن يكون العمل الإضافى مشروعاً فلا يعمل فى محرم ولا يشارك فى خبيث ولا يساعد على منكر..

(١) سورة الملك: الآية (١٥).

ثالثاً : أن يتوفر له بعد ذلك وقت يقضيه بين أهله وولده يرعاهم ويشرف على سلوكهم ويأنسون به، ولا قيمة للحياة المادية فى غيبة السكن الأسرى والطمأنينة الزوجية والكفالة الروحية للأولاد..

رابعاً : أن يكون لدى العامل اقتناع وقناعة، اقتناع بأن الله قسم الأرزاق ولم ينس أحداً وأن آلاء الله ونعمه على الإنسان لا تعد ولا تحصى، وقناعة نفسية بما يملك حتى لا يُصاب با لهلع والجزع وسوء التفكير وأمراض النفس..

وقد قال رسول الله ﷺ: «**ليس الغِنَى عن كَثرةِ العرَض، ولكن الغِنىَ غِنىَ النفس**»..

***

◆◆ ١٩ - بيع السَّلَم

س : رجل تعاقد مع آخر لشراء قنطار قطن على موعد معين بمبلغ مائة وخمسين جنيهاً، وعند حلول الأجل لم يكن عند البائع قطن، فقدم بدل القطن مبلغاً قدره مائة وسبعون جنيهاً على حساب السعر الجديد للقطن فهل هذا حرام؟

***

ج : هذه الصورة تسمى فى الفقه الإسلامى سلماً أو سلفاً، وهو من صور البيوع الجائزة شرعاً، طالما استوفى شروطه، وقد جاء فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «**من أسلفَ فى شيءٍ فَليسلِف فى كَيلٍ مَعلومٍ ووزنٍ معلومٍ إلى أَجَلٍ معلُومٍ**»..

والواجب على البائع أن يسلم المشترى قنطار القطن فى الموعد المحدد بالمواصفات المتفق عليها..

لكن أن يرد إليه مبلغاً أكثر مما أخذ فهذا حرام شرعاً ويدخل فى عموم القرض الذى جر نفعاً فيكون ربا..

والالتزام بالوعد من شيم المؤمنين الصادقين، وخلف الوعد من صفات المنافقين، قال عليه الصلاة والسلام : «**أربعٌ من كُنَّ فيهِ كان مُنَافقاً خَالِصاً ومن كانت فيه خَصلَةٌ مِنهُنَّ كانت فيه خَصلةٌ من النفاق حتى يَدَعَهَا: إذا ائتُمِنَ خَانَ، وإذا حَدَّثَ كذبَ وإذا عَاهَد غَدَرَ وإذا خَاصَمَ فَجَرَ**»..

◆◆ ٢٠ ـ المضاربة

س : اقترض تاجر مبلغاً من المال استعان به فى تجارته التى ربحت فهل عند سداد الدين يرد المبلغ فقط أم يرد المبلغ مع ربحه؟

***

ج : المداينة من ضرورات الحياة الاجتماعية، فأحوال الناس متباينة، وقد أوصانا الله تعالى بالتعاون فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[1]، وحثنا رسول الله ﷺ على التراحم والمودة فقال : «من نفَّسَ عن مؤمن كُربةً من كُربِ الدنيا نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً من كُرَب يوم القيامَةِ، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ اللهُ عليهِ فى الدُنيا والآخِرَةِ، ومن سَتَر مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ فى الدُنْيا والآخِرةِ، والله فى عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ فى عَونِ أَخِيهِ»..

وإذا اقترض الإنسان ـ أيا كان عمله ـ فلا يلزم شرعاً إلا برد مثل ما اقترض، وأية زيادة مشروطة تكون ربا، والربا حرام تحريماً مؤكداً، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾[2]..

لكن إذا كان هذا التاجر قد أخذ المبلغ على سبيل المضاربة بمعنى أن يتفق مع صاحب المال على الاتجار بماله وتوزيع الربح بينهما بنسبة معينة فذلك جائز شرعاً ويسمى فى الفقه الإسلامى عقد القراض أو المضاربة، وهو عقد جائز من الطرفين لأن أوله وكالة فقد وكل صاحب المال العامل فى التجارة، وبعد ظهور الربح شركة بمعنى أن الربح يقسم بينهما تبعاً للاتفاق نصفاً أو ربعاً أو ثلثاً.. إلخ..

وعلى هذا فالسؤال الوارد يرجع فيه إلى نية الطرفين إن كانت مداينة صرفة فليس إلا رد المبلغ فقط، وإن كانت مضاربة فله المبلغ مع ربحه..

***

(١) سورة المائدة : الآية (٢).

(٢) سورة البقرة : الآيات (٢٧٨ ، ٢٧٩).

◆◆ ٢١ ـ رد القـــــرض

س : اقترضت من زميل لى مبلغاً من المال أنقذنى من موقف صعب ولما يسر الله رددت إليه الدَّيْن وشكرته وقدمت إليه هدية يسيرة فرفضها بدعوى أنها من الربا فهل تقديم هذه الهدية عرفاناً بالجميل حرام؟

***

ج : فى البداية نشكر كلا من الدائن والمدين على مشاعرهما الطيبة، فالدائن قدم المعروف وأنقذ زميله من موقف صعب «ومن يسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ اللهُ عليهِ فى الدُّنيا والآخِرَةِ»، والمدين معترف بجميل صاحبه، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله.. فجزاهما الله خيراً، وما أحوجنا إلى هذه الروح فى معاملاتنا حتى نكون عباد الله إخواناً..

أما تقديم الهدية من المدين عرفاناً بالجميل ووفاء فليس من الربا المحرم فى شىء بل هى من حسن الأداء، وتحكى كتب الصحاح «أن رسولَ اللهِ ﷺ استسلَفَ من رَجُلٍ بكراً فقدمت عليه إبلٌ من إبلِ الصدقةِ فأمر أبا رافعٍ أن يَقْضِىَ الرجل بكرَه، فرجعَ إليهِ أبو رافعٍ فقالَ: لم أَجِد فيها إلا خِيَاراً رباعياً، فقالَ: أعطِهِ إياهُ فإنَّ خيارَ الناسِ أحسنُهُم قضَاءً»..

فهذا رسول الله ﷺ يستقرض دَيْناً، والدَّيْن هنا كان بكراً من الإبل صغيراً، وعندما حان موعد الرد أعطى الدائن رباعياً وهو من الإبل ما استكمل ست سنين ودخل فى السابعة أى أنه زاده أكثر من حقه وقال توجيهاً لعامة المسلمين: «إن خيارَ الناسِ أحسنُهُم قضاءً»..

قال الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث : يستحب لمن عليه دين من قرض وغيره أن يرد أجود من الذى عليه وهذا من السنة ومكارم الأخلاق وليس هو من قرض جر منفعة فإنه منهى عنه، لأن المنهى عنه ما كان مشروطاً فى عقد القرض، ومذهبنا أنه يستحب الزيادة فى الأداء عما عليه ويجوز للمقرض أخذها سواء زاد فى الصفة أو فى العدد..

وعلى هذا فالمسألة راجعة إلى النية: «إنما الأعمالُ بالنياتِ وإنما لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى»..

◆◆ ٢٢ ـ الــــــرّبــــــا

س : أشـتري لبعـض النـاس أشياء بأموالي الخاصة على أن يكون لى فائدة ٢٠٪ وأن يسدِّدَ المبلغ كاملاً بالتقسـيط على سـنة فهل هذه الصورة جائزة شرعاً؟

***

ج : هذه الصورة من صور الربا الذى حرمه الله ورسوله قال تعالى : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[1]، وقد لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء.. وقد توعد الله أكلة الربا بالمحق فى الدنيا والعذاب فى الآخرة: فقال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[2]، وقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[3]..

وشأن المسلم الصادق أن يكون متعاوناً مع الناس على البر والتقوى يقرض المحتاج وينظر المعسر ويتجاوز عن المضطر ويعرف حديث رسول الله ﷺ: «مَنْ نفَّسَ عن مؤمن كُربةً من كُربِ الدُّنيا نفَّس اللهُ عنه كُربةً من كُربِ يوم القيامةِ ومن يسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ اللهُ عليهِ فى الدُّنيا والآخرةِ.. واللهُ فى عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ فى عوْنِ أخيهِ»، وإذا كان السائل لديه فائض من المال فإن أبواب الحلال كثيرة..

وإن طرق استثمار المال على الوجه المشروع متعددة..

ويمكن له أن يشترى الأشياء لحسابه الخاص ثم يبيعها للناس بالسعر المناسب سواء كانت حالة أو مؤجلة، والحلال بَيِّن والحرام بَيِّن..

والمال الحرام لا تقبل منه صدقة ولا يرفع معه دعاء فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وقد ذكر رسول الله ﷺ «الرجل يطيلُ السفرَ أشعثَ أغبر يمدُّ يديهِ إلى السماءِ يا رَبِّ يا رَبِّ ومطعمُهُ حرامٌ ومشربُهُ حَرَامٌ وملْبَسُهُ حَرامٌ وغُذِىَ بالحرامِ فأنَّى يُستجابُ لَهُ»..

أى أن الرجل يجتهد فى العبادات ويتحمل المشاق فى أداء الطاعات ولكنه لا

(١) سورة البقرة : الآية (٢٧٥).
(٢) سورة البقرة : الآية (٢٧٦).
(٣) سورة البقرة : الآية (٢٧٩).

يتورع عن الكسب الحرام فلا تقبل له دعوة، وقد حدد الله طريق التوبة للكسب الحرام فقال: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾(١)..

فالتخلص من المال الحرام واجب أولى لمن أراد التوبة النصوح ولنتذكر قوله تعالى فى ختام آيات الربا : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾(٢)..

وقد روى أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن العظيم وعاش بعدها النبى ﷺ تسع ليال ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى..

***

◆◆ ٢٣ ـ أموال من دخل الإسلام حديثاً

س : أسلمت وعندى مال كثير جمعته من أوجه متعددة لا يرضى عنها الإسلام فما رأى الدين فى هذا المال الآن؟!..

***

ج : من الأصول المقررة شرعاً أن إسلام المرء يعتبر بداية عهد جديد وحياة شريفة مثلى وأن ما مضى من حياة المرء قبل إسلامه فى عفو الله سبحانه وتعالى لا يؤاخذ بشيء منها سواء كان متعلقاً بحقوق الله أو بحقوق العباد..

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾(٣)..

وقال ﷺ فى الصحيح : «الإسلامُ يَجُبُّ ما قَبْلَهُ»..

وقد أسلم أناس كثيرون على عهد رسول الله ﷺ وكانوا قد قتلوا رجالاً من المسلمين ومع ذلك لم يطالب أحد منهم بقصاص ولا دِيَة وكفارة ـ و على سبيل المثال فإن وحشياً قاتل سيدنا حمزة أسلم وحسن إسلامه وجاهد فى صفوف المسلمين..

ومن المعروف أن المسلمين هاجروا من مكة وتركوا ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله واستولى عليها المشركون وعندما جاء نصر الله والفتح وعاد المسلمون إلى مكة لم يرد النبى ﷺ على أحد منهم داره أو ماله

(١) سورة البقرة : الآية (٢٧٩). (٢) سورة البقرة : الآية (٢٨١).
(٣) سورة الأنفال : الآية (٣٨).

بل قيل للرسول ﷺ يوم الفتح : ألا تنزلُ فى دَارِكَ؟ فَقَالَ: وهَلْ تَرَكَ لنَا عَقيلٌ مِـن دَارٍ؟ ذلك أن عقيل بن أبى طالب بعد الهجرة استولى على دار النبى ودور إخوته المسلمين وباعها..

كذلك فى خطبة الوداع وضع النبى ﷺ كُلَّ دم أصيب فى الجاهلية وكل ربا فى الجاهلية ولم يأمر برد ما كان قبض وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(1) فأمرهم بترك ما بقى فى ذمم الناس ولم يأمرهم برد ما قبضوه..

وعلى هذا فإن الكافر إذا عقد عقداً فاسداً من ربا أو بيع خمر أو خنزير أو نحو ذلك وأسلم بعد قبض العوض لم يحرم ما بيده ولا يجب عليه رده، وعليه أن يستأنف حياة شريفة فى ظلال المنهج الإلهى الراشد..

هـذا و بالله التوفيـق..

***

◆◆ ٢٤ ـ النـــــــذور

س : ما النذر؟ وما الأحكام المتعلقة به؟ وما حكم من مات وعليه نذر؟

***

ج : النذر هو أن يلزم الإنسان نفسه بطاعة ليست واجبة عليه فى الأصل وذلك كأن ينذر صلاة أو صياماً أو صدقة أو قراءة قرآن أو عدداً معيناً من التسبيحات إلى غير ذلك.. فالشرط أن يكون من جنس طاعة مشروعة، وهو واجب الوفاء قال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾(2)، وقال ﷺ كما فى صحيح البخارى : « مَن نَذَرَ أنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، ومن نَذَرَ أن يَعصِى اللَّهَ فلا يَعْصِهِ»..

والنذر قسمان نذر معلق وهو الشائع مثل أن يقول الإنسان إن شفى الله مريضى أو نجح ولدى أو قدم غائبى فعلى أن أتصدق بعشرة جنيهات أو أصوم يومين من كل شهر مثلاً فعلى الإنسان متى تحقق المعلق عليه وشفى المريض أو نجح الولد أن يفى بما التزم به من الطاعة..

(١) سورة البقرة : الآية (٢٧٨).

(٢) سورة الحج : الآية (٢٩).

لكن هنا تنبيه وهو أن هذه الصورة وإن كانت جائزة شرعاً إلا أنه يجب أن نتسامى ونعرف جلال الله وكماله فالنذر لا يغير من قضاء الله شيئاً وإنما يستخرج به من مال البخيل كما قال عليه الصلاة والسلام، والأولى بالمسلم أن يقدم الطاعة قبل الدعاء فنتصدق وندعو الله حتى يشفى المريض، ونصلى ونقرأ القرآن وندعو الله حتى ننجح وهكذا نقدم الطاعة بين يدى الرجاء كما قال ﷺ: «داووا مرضَاكُمْ بالصَّدَقَةِ»..

ولنعلم أن آلاء الله ونعمه لا تُعد ولا تُحصى، ومظاهر الجود والكرم الإلهى تحيط بالإنسان من كل جانب فكيف نؤخر طاعة الله حتى يلبى الله رغبة الإنسان، فمن غير اللائق أن يقول الإنسان إن نجحت فى الامتحان صليت كذا أو صمت كذا بل عليه أن يبادر بالطاعات والتقرب إلى الله بشتى ألوان العبادة حتى ييسر الله له النجاح..

النوع الثانى من النذر أن يقول الإنسان ابتداء : علىّ لله أن أصوم كذا أو أصلى كذا من غير تعليق وهذا هو أسمى أنواع النذر..

أما من مات وعليه نذر، فإن السؤال نفسه ورد على لسان الصحابة إلى الرسول ﷺ فقد جاء جابر بن سعد بن عبادة رضي الله عنه يستفتى النبى ﷺ فى نذر كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه فأفتاه أن يقضيه عنها.. ويؤخذ من الحديث أن قضاء الوارث ما علي الميت مطلوب شرعاً، فالنذر المالى يجب إخراجه من التركة قبل توزيعها أما النذر غير المالى كالصيام والحج مثلاً فمن الوفاء للميت أن يقوم وليه بقضائه عنه، ففى صحيح الحديث : «أن امرأةً جاءَت إلى النبى ﷺ فقالت: إن أُمِّىَ نَذَرَت أن تَحُجَّ حتى ماتت أفأَحُجُّ عنها، قال : نعم حجِّى عنها، أرأيتِ لو كَانَ على أُمِّكِ دَيْنٌ أكنتِ قَاضِيته؟ اقضُوا الله فاللهُ أحقُّ بالوفاءِ»..

***

٢٥ ـ ظلم المستأجر

س : أزرع فى ستة أفدنة، منها أربعة عشر قيراطاً بالإيجار، وعندما أراد صاحب

الأرض المستأجرة بيعها ساومته عليها حتى اشتريتها منه بنصف الثمن المعتاد.. فما رأى الدين فى هذه المساومة؟ وما حكم هذا البيع؟

***

ج : الدين المعاملة، وحسن الخلق شيمة المؤمن، والعقود أمانة، فعقد الإجارة لون من التعامل بين الناس يحفظ لكل من المالك والمتسأجر حقه فلا يطغى أحدهما على الآخر..

والإجارة لا تعطى للمستأجر حق الملك ولا شبهته ولا تمنحه حق التسلط على المالك فى حرية التصرف فى ملكه، وبالتالى فمساومة المستأجر للمالك فى ثمن الأرض بحيث يبخسها ويستولى عليها بنصف الثمن الذى جرى به العرف - هذا لون من السحت والغصب والاحتيال وأكل أموال الناس بالباطل.. قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

وهناك أحاديث شريفة خاصة بالنهى عن الاستيلاء على أرض الغير بلا حق ففى الصحيح عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَخَذَ من الأرضِ شيئاً بغيرِ حقِّهِ خُسِفَ بِهِ يومَ القِيَامة إلى سَبعِ أَرَضِين » ..

وفى الصحيح أيضاً قال عليه الصلاة والسلام : « من اقتَطَعَ أرضاً ظَالِماً لَقِيَ الله وهُوَ عَلَيهِ غَضْبَانَ » ..

فعلى السائل - إن كان حريصاً على دينه - أن يسترضى المالك وأن يرد إليه باقى حقه ولا يبخس منه شيئاً، وليحفظ العهد، فإذا كان المالك قد أجر لك أرضه فهذا معروف أسداه إليك فقابل معروفه بمعروف وأحسن إليه كما أحسن إليك : ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾(٢)..

***

◆◆ ٢٦ - نــزع الملكيــة

س : نفاجــأ أحيانــاً بنزع ملكية أرض زراعية أو هدم عقار من أجل شق طريق أو بناء كوبرى، فهل هذا جائز شرعاً؟

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٨). (٢) سورة الرحمن : الآية (٦٠).

ج : ملكية المال الحلال مصونة، ولها حرمتها، وتقوم الدولة بحمايتها، لكن إذا تعارض حقان : حق خاص وحق عام، مثل أن تحتاج الدولة إلى شق ترعة أو امتداد طريق أو بناء جسر أو ما شاكل ذلك، فيمكن للدولة حينئذ أن تنزع ملكية هذه الأرض من أصحابها مقابل تعويض عادل، لأن من أصول الشريعة تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

وقد طبق ذلك رسول الله ﷺ في بناء المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة فقد ثبت في صحيح البخارى أن مكان المسجد كان لغلامين يتيمين فساومهما الرسول ﷺ فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى عليه الصلاة والسلام حتى ابتاعه منهما واتخذه مسجداً..

وكذلك فعل الخلفاء الراشدون في التوسعة للمسجد الحرام والمسجد النبوى فكانوا ينزعون الملكية المجاورة ويعوضون أصحابها التعويض المناسب..

وقد لا تحتاج الدولة إلى نزع ملكية أحد بل يسارع أصحاب الأموال باختيارهم الحر ويبنون المدارس والمساجد والمستشفيات ويمهدون الطرق..إلخ وهكذا تُقضى مصالح المسلمين بأعمال أهل الخير.. وقد قال رسول الله ﷺ: «مَن سَنَّ فِي الإسلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فله أجرُهَا وأجرُ مَن عَمِلَ بها من بعدِهِ من غير أن ينقصَ من أجورِهِم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلامِ سُنة سيئةً كان عليه وزرُها ووزرُ من عمل بها من غيرِ أن يَنقُصَ من أوزارِهِم شيءٌ».

***

٢٧ ـ دَيْنُ المتوفى

س : سمعتُ أن من مات وعليه دَيْنٌ لا يُصلى عليه، فهل هذا صحيح؟!..

***

ج : شأن المسلم أن يسعى إلى إبراء ذمته وأن يؤدى الحقوق إلى أهلها، وكان ﷺ كثيراً ما يستعيذُ بالله من غَلَبَةِ الدَّين لأنه هَمٌّ بالليل ومذلة بالنهار..

وفي صحيح البخارى أن الرسول ﷺ قال : «مَنْ أخَذَ أموالَ الناسِ يُرِيدُ أداءَهَا أدَّى اللهُ عنه ومن أخَذَها يريدُ إتلافَهَا أتلَفَهُ اللهُ».

وهنـــاك ما هــو أبعــد من ذلــك فقد ثبت أن النبــى ﷺ قــال : «رُوحُ المؤمنِ مَرْهُونَةٌ بِدَيْنِهِ حتى يُقْضَى عَنْهُ»، أى محبوسة عن النعيم الذى لها حتى يقضى ما على صاحبها من دين..

وفى إطار هذا الحرص على إعطاء كل ذى حق حقه كان الرسول ﷺ فى صدر الإسلام لا يصلى على من مات وعليه دَيْن زجراً للناس عن التساهل فى الاستدانة وعن إهمال وفاء الديون ولكنه أمر الصحابة بالصلاة عليه..

فلما فتح الله على نبيه البلاد وجاءت الغنائم الكثيرة صار يصلى عليهم ويقضى دين من لم يخلف وفاء، وجاء فى الصحيحين قوله عليه الصلاة والسـلام: «مَـا مِنْ مُؤمنٍ إلا وأَنَا أَوْلَى بِهِ فى الدُّنْيا والآخرةِ، اقرءوا إن شئتمْ ـ (النبىُ أَولَى بالمؤمنينَ من أنفُسِهِمْ)، فأيُّما مؤمنٌ ماتَ وتَرَك مَالاً فليرثْهُ عصبته مَن كانُوا، ومَن تَرَكَ دَيْناً أو ضَياعَاً ـ أى عيالاً مُحتاجين ـ فليأتِنِى فَأنَا مَولاهُ»..

وهذا الحديث الشريف يرشد إلى كفالة الدولة وبيت مال المسلمين للمحتاجين والعجزة ومن لا عائل له..

***

٢٨ ـ التنازل عن الميراث

س : إخوة زوجتى يقاطعونها لأنها ترفض التنازل لهم عن ميراثها، فهل تتنازل عن حقها حتى لا تقطع الرحم؟

***

ج : الميراث فى الإسلام مرتبط ارتباطا وثيقاً بحياة المسلم الدينية والدنيوية، وقد حدد الله لكل وارث نصيبه، واهتم القرآن كثيراً بهذا التفصيل حتى كان الوعيد شديداً فى مخالفة هذا النظام بقدر ما كان الفوز عظيماً فى تطبيقه والالتزام به.. قال تعالى عقب آيتى الميراث فى سورة النساء : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[١]..

(١) سورة النساء : الآيات (١٣ ، ١٤).

فالاعتداء على الأموال من أكبر جرائم الإثم، والمال الحرام لا يقبل معه عمل صالح ولا يرفع معه دعاء ولا تنفع منه صدقة..

ومن هنا فإن مقاطعة هؤلاء الإخوة لأختهم حتى تتنازل عن ميراثها هى مقاطعة آثمة وفيها فجور، وهؤلاء الإخوة لا يزالون يعيشون بعقلية جاهلية ترفض توريث البنات، وقد قال الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾(١)..

ويتحمل هؤلاء الإخوة إثم قطيعة الرحم، وليس للأخت أن تتنازل عن حقها فى الميراث كله أو بعضه إلا عن طيب خاطر ولمصلحة تراها..

وعليها من جانبها أن تصل إخوتها وإن تباعدوا حتى تحظى بثواب الله ومزيد فضله، وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قائلاً : «إنَّ لى قرابةً أصِلُهُم ويقطعُونى وأُحسِنُ إليهم و يُسيئُونَ إلىَّ، وأحلُمُ عنهُمْ ويجهَلُونَ علَىَّ، فقالَ له الرسولُ الكريمُ: إن كنتَ كما تقُول فكأنما تُسِفُّهُمُ الملَّ (أى التراب الحار) ولا يزالُ معَكَ من الله ظهيرٌ عليهِم مادمتَ على ذَلِكَ»..

***

٢٩ ـ الميراث من العمة

س : ماتت عمتى وليس لها إلا بنت واحدة فهل لى حق فى ميراثها؟

***

ج : الميراث فى الإسلام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة المسلم الدينية والدنيوية، فهو نظام مالى يتعلق بتوزيع تركة المتوفى، كذلك فهو يتصل بالجانب الأخلاقى والاجتماعى لقيامه على روابط الرحم وعلائق النسب..

والإرث المجمع عليه نوعان :

إرث بالفرض، والفروض المقدرة فى كتاب الله تعالى هى النصف والربع والثمن، والثلثان والثلث والسدس..

(١) سورة النساء : الآية (٧).

وصاحب الفرض لا يسقط أبداً..

وإرث بالتعصيب و هو مؤخر عن أصحاب الفروض، وهو يأخذ ما بقى بعد الفروض أو يحوز المال كله إذا انفرد، وقد يسقط عند استغراق التركة..

والمسألة التى أمامنا الآن قائمة على أن امرأة ماتت وتركت بنتاً وابن أخ شقيق وليس لها أقارب غيرهما..

وعلى هذا : فالبنت لها النصف فرضاً بنص قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾(١).

والباقى بعد ذلك يكون من نصيب ابن الأخ الشقيق تعصيباً حيث لا يوجد غيره، لقوله ﷺ : «ألحِقُوا الفرائِضَ بأهلِهَا فَمَا بَقِىَ لأولى رَجُلٍ ذَكَرٍ»..

ويجب أن نحرص على إعطاء كل ذى حق حقه، فالاعتداء على الأموال من أكبر جرائم الإثم، والمال الحرام منزوع البركة فلا ينفع صاحبه فى الدنيا ويقوده فى الآخرة إلى جهنم وبئس المصير..

نسأل الله العفو والعافية..

***

٣٠ـ ميراث الجد

س : مات شاب وليس له والدان أحياء ولكن له جد وجدة فهل يرثان فيه؟

***

ج : نظام الميراث فى الإسلام له أهمية قصوى، وقد اهتم به القرآن المجيد، وفصله، وقد جاء نظام الميراث فى ثلاث آيات من سورة النساء، آيتان متواليتان هما قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾(٢)، إلى قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾(٣).

والآية الثالثة هى الآية الأخيرة من سورة النساء..

(١) و (٢) سورة النساء : الآية (١١). (٣) سورة النساء : الآية (١٢).

وقد وضحت السنة النبوية كثيراً من الأحكام المتعلقة بالميراث..

والسؤال المطروح إذا كان الميت لا وارث له من الأبناء، لا من الذكور ولا من الإناث، وليس له أب ولا أم على قيد الحياة، وانحصر ورثته فى الجد والجدة، وكان الجد هو والد أبيه وكانت الجدة هى والدة أبيه، فالميراث هكذا :

للجدة السدس وللجد الباقى من التركة تعصيباً..

والدليل على ذلك ما رُوى أن الجدة جاءت إلى أبى بكر ﵁ فسألته ميراثها فقال أبو بكر: ليس لك فى كتاب الله شيء، وما علمت لك فى سنة رسول الله ﷺ شيئاً، فارجعى حتى أسأل الناس، فسأل عنها، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت الجدة إلى النبى فأعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقامَ محمد بن سلمة الأنصارى فقال: مثل ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر»..

وهذا هو رأى جمهور العلماء..

وهناك رأى ضعيف يذهب إلى أن الجدة أم أبى الميت تقوم مقام الأم فتأخذ الثلث حيث لا يكون للميت فرع وارث ولا إخوة لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾[1]..

وعلى هذا الرأى الأخير يكون للجدة الثلث وللجد الباقى تعصيباً..

والله أعلم..

***

٣١ ـ الوصية للبنات

س : لى عم له ثلاث بنات، وليس له ولد، ويمتلك قطعة أرض ومنزلاً، كتب كل ما يملك لبناته، ووضع العقود أمانة عندى لتسليمها لبناته بعد وفاته، ولكن أقاربه الذين يرثونه غضبوا وطلبوا منى تمزيق العقود وعدم تسليمها لبناته فما رأى الدين؟

***

ج : هذا السؤال له مجموعة جوانب تحتاج إلى رأى الدين :

(١) سورة النساء : الآية (١١).

فأولاً : يجب أن نعى أن كيفية توزيع الميراث حق الله عزوجل الذى حدد لنا الأنصبة وقسمها بين أصحابها، ولله الحكمة البالغة، ولا يعرف العالم قديماً أو حديثاً نظاماً لتوزيع التركة يقوم على العدل المطلق كما يوجد فى الإسلام، ولهذا نجد فى ختام آيات المواريث الثلاث فى سورة النساء هذا التذييل البديع: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]، ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[2]، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3]..

ثانياً : إن الآجال بيد الله عزوجل، ولا أحد يضمن أن يعيش إنسان بعينه بعد إنسان آخر أو أن يموت قبله، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[4]..

فتوزيع الميراث من المورث أو طلبه من الورثة قبل موت الإنسان موقف شائن ديناً، ويتنافى مع الإيمان بالله والتوكل عليه والثقة به..

ثالثاً : إن كتابة الملكية لبعض الورثة دون بعض اعتداء على حكم الله ورفض لقضائه العادل الحكيم، وقد قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[5]..

ثم إن من يحرص على توريث أولاده المال لا يملك أن يمنحهم السعادة والغنى فكم من إنسان ورث أموالاً وعاش فقيراً، وكم من إنسان لم يرث شيئاً أتته الدنيا راغمة..

فالمؤمن العاقل يأخذ بالأسباب المشروعة ويدع العواقب لله عزوجل..

رابعاً : إن السائل الذى استودعه عمه العقود لا يجوز له أن يفرط فيها أو ينكرها بل عليه الوفاء بما استحفظ عليه، وإذا كان متبرماً بما فعله عمه فكان يجب عليه أن ينصحه ابتداء ولا يقبل منه العقود، أما أن يخدعه فذلك مرفوض شرعاً، وإذا كان العم مازال حياً فيمكن للسائل أن يرد إليه ودائعه، أما إذا كان قد مات فليسلم العقود إلى بناته وهم يتحملون المسئولية مع أبيهم..

وبالله التوفيق..

---

(١) سورة النساء : الآية(١١).
(٢) سورة النساء : الآية (١٢).
(٣) سورة النساء : الآية (١٧٦).
(٤) سورة لقمان : الآية (٣٤).
(٥) سورة النساء : الآية (١٤).

◆◆ ٣٢ ـ الوصية الواجبة

س : أنجب أبى ولداً وبنتين، توفيت إحداهما قبل أبيها بمدة طويلة ولها أولاد، فهل لأولاد البنت ميراث فى جدهم هذا علماً بأنه قد وصى لهم قبل وفاته بعشرين قيراطاً؟

***

ج : جمهور العلماء على أن أبناء الأولاد لا يرثون فرضاً ولا تعصيباً مع وجود الأبناء الذكور الذين يحجبونهم لأنهم أقرب صلة بالميت..

وشرع الإسلام الوصية لغير الوارث، وكان من الإنصاف أن يوصى الأجداد والجدات لأحفادهم غير الوارثين ما يعينهم على أمر حياتهم.. ولكن بعض الناس لا يفعلون ذلك؛ فاستحدث القانون المصرى الوصية الواجبة بحيث يفرض للأحفاد فى ميراث أجدادهم وجداتهم وصية بقدر ما كان يرثه الابن أو البنت لو فرض حياً، بما لا يزيد عن ثلث التركة وبشرط ألاَّ يكون الجد أو الجدة قد أعطاهم بغير عوض من طريق تصرف آخر ما يجب لهم..

وعلى هذا فإن أولاد البنت المتوفاة لهم فى ميراث جدهم وصية واجبة بما كانت تستحقه أمهم، وهو فى هذه المسألة التى معنا «الربع» وبما أن الجد وصى لأحفاده هنا بعشرين قيراطاً فينظر إن كان هذا القدر يساوى ربع التركة فلا شىء لهم بعد ذلك لأنهم أخذوا وصيتهم الواجبة كاملة وإن كان هذا القدر أقل من الربع فيزاد عليه ما يصل به إلى الربع فقط.. ولا يستحقون شيئاً بعد الربع..

◆◆ ٣٣ ـ الوصية بالمسجد

س : أوصى أحد الأثرياء بقطعة أرض يمتلكها لبناء مسجد، وعندما توفى أخذ الورثة هذه القطعة وضموها إلى الميراث واقتسموها بينهم.. فما رأى الدين؟

***

ج : الوصية تكون فى حدود ثلث التركة حتى لا ندع الورثة يتكففون الناس، وهى لغير وارث حتى يعم الانتفاع..

فإذا فقدت الوصية أحد الشرطين أو كليهما توقفت على إجازة الورثة فمن أوصى بما زاد على الثلث لا ينفذ منها إلا الثلث، ويستأذن الورثة فى الباقى فإن أجازوه فبها ونعمت وإلا فلا..

ومن أوصى بأى شيء ولو قل لوارث توقف التنفيذ على رأى باقى الورثة..

وهذه القطعة من الأرض التى أوصى بها صاحبها لبناء مسجد إن كانت فى حدود ثلث التركة وجب تنفيذها شرعاً، ويكون الاعتداء عليها جريمة يتحمل وزرها الورثة، وإن كانت أكثر من الثلث أخذ الورثة الزيادة وتركوا الباقى لبناء المسجد..

قال الله تعالى فى شأن توزيع الميراث: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[1].

وفى صحيح مسلم عن عامر بن سعد عن أبيه قال : «عادنى رسولُ الله ﷺ فى حجةِ الوداعِ من وجعٍ أشفيتُ منه على الموتِ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ بلَغَنِى ما ترى من الوجعِ وأنا ذو مالٍ ولا يرثنى إلا ابنةٌ لى واحدةٌ أفأتصدَّقُ بثلثى مالِى؟ قال : لا، قلت : أفأتصدَّقُ بشطرِهِ؟ قال : لا، قلتُ: أفأتصدَّقُ بثُلُثِهِ؟ قال: الثُلُثُ والثُلُثُ كثير إنك إن تَذَرْ ورثَتَكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تَذَرَهُمْ عالةً يتكفَّفُونَ الناسَ، ولستَ تُنفِقُ نفقةً تبتغِى بها وَجْهَ الله إلا أُجِرْتَ عليهَا حتى اللُقْمةَ تضعُهَا فى فِى امرأَتِكَ»..

***

◆◆ ٣٤ ـ الحفاظ على البيئة

س : ماذا تعنى البيئة؟ وكيف نحافظ عليها؟

***

ج : أنعم الله على الإنسان بالأرض الطيبة الذلول التى تنبت من كل زوج بهيج فقال جل شأنه : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[2]..

(١) سورة النساء : الآية (١١).

(٢) سورة الملك: الآية (١٥).

وأنعم الله علينا بالماء العذب الفرات فقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾[1]..

وأنعم الله علينا بالهواء النقى والشمس الساطعة، وكل ما من شأنه منفعة الإنسان ومصلحة البشر فقال : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2].

فالحفاظ على هذه النعم وتلك البيئة التى نعيش فيها فريضة بعد الفريضة وأى عدوان عليها هو تدمير للطاقة البشرية وتبديد لنعم الله و انتهاك لحرمات الله.. وقد قال الله تعالى : ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[3]..

وجعل الرسول ﷺ تنظيف البيئة وإزالة العوائق من الطرق شعبة من شعب الإيمان فقال : «**الإيمانُ بضعٌ وستونَ أو بضعٌ وسبعونَ شعبةً أعلاها قولُ لا إله إلا الله وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان**».

والعناية بالبيئة وزراعة الأشجار والحفاظ على الكائنات الحية المفيدة من الصدقات الجارية التى يتواصل ثوابها، قال عليه الصلاة والسلام : «**ما مِن مسلمٍ يغرسُ غرساً أو يزرعُ زرعاً فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كانَ له به صدقةٌ**»..

وفى مقابل ذلك فإن الذى يلوث البيئة بإلقاء القاذورات أو التبول فى الماء الجارى أو فى الظل وأماكن تجمع الناس فإنه يعرض نفسه لسخط الله و غضبه وقد قال عليه الصلاة والسلام : «**اتقوا اللاعِنَين قالوا: وما اللاعنان يا رسولَ الله قال : الذى يتخلَّى فى طريقِ الناسِ أو فى ظِلِّهم**»..

***

(١) سورة الفرقان : الآيات (٤٨ ، ٤٩).
(٢) سورة إبراهيم : الآيات (من ٣٢ إلى ٣٤).
(٣) سورة الأعراف : الآية (٥٦).

٣٥ ـ الصدقة على الطفل المتوفى

س: توفى ابنى طفلا صغيرا وأريد أن أعمل له صدقة جارية وأن أقوم بأداء الحج عنه فما رأى الدين فى ذلك؟

* * *

ج: التكليف الشرعى مرتبط بالعقل والبلوغ، فلا إلزام ولا مسئولية على من فقد عقله ولا على من هو دون البلوغ، وقد جاء فى صحيح الحديث أن الرسول ﷺ قال: رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبى حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق..

لكن من الأدب الإسلامى وحسن التربية أن يشارك الأطفال فى الصلاة والصيام وسائر العبادات حتى يشبوا على تقوى من الله ورضوان. وقد ذهب العلماء المحققون إلى أن الأطفال جميعا من أهل الجنة إذا ماتوا وهو صغار سواء كانوا من آباء مسلمين أو مشركين لأن التكليف إنما يكون بعد البلوغ.

وجاءت أحاديث كثيرة بهذا المعنى رواها البخارى ومسلم، منها حديث إبراهيم عليه السلام حين رآه النبى ﷺ فى الجنة وحوله أولاد الناس، قالوا: يارسول الله وأولاد المشركين؟

قال: «وأولاد المشركين..»

وعندما نصلى صلاة الجنازة على الطفل لاندعو له بالمغفرة كما ندعو للكبار من الرجال والنساء المسلمين بل يكون الدعاء لوالديه بالأجر والمثوبة، وفى صحيح البخارى: «قال الحسن: يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب ويقول: اللهم اجعله لنا فرطاً وسلفاً وأجراً» ومعنى «فرطا» سابقا إلى الحوض وشافعًا لوالديه.

وعلى هذا فالصدقة الجارية على الأطفال أو أداء الحج عنهم بعد ما ماتوا لا أصل له شرعا، وليسوا فى حاجة إليه وليتصدق الوالد بنفسه ولنفسه وليحج أو يعتمر لنفسه مرة أو مرات عسى الله أن يتقبل منه فهو فى حاجة إلى ثواب الله تعالى ومزيد فضله أما طفله المتوفى فقد تكفل الله به وأدخله الجنة..

◆◆ ٣٦ـ الذبح عند القبر

س: نذرت إن حصلت على قبر من المحافظة أن أذبح عنده بقرة، فما حكم هذا النذر؟ وهل يجوز الذبح عند القبر؟

ج: من تكريم الله تعالى للإنسان أن جعل له قبرًا يواريه بعد الموت، قال تعالى: فى سياق نعم الله على الإنسان ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾(١)

وإن المرء ليعجب ويحار كيف ضاقت الأمور بالناس حتى أصبحوا لا يجدون قبرًا يوارى سوءاتهم، وأصبح الحصول على مكان للقبر يحتاج إلى مراجعات ومزايدات ورشاوى، فاللهم لاحول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين..

وعلى العموم فإن النذر إذا كان طاعة وجب الوفاء به لقوله تعالى ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُم﴾(٢) ولقوله ﷺ فى صحيح البخارى «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه»

ونذر ذبح البقرة من القربات فإنه يتصدق بلحمها على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات لكن التقيد بالذبح عند القبر غير وارد، فلا يلزم الوفاء بالمكان وعلى الإنسان أن يذبح حيث شاء باسم الله وفى سبيل الله.

وننبه إلى أن النذر المعلق مكروه عند العلماء بمعنى أن يرجئ الإنسان فعل الطاعة حتى تحصل له نعمة، فإن نعم الله على الإنسان لاتعد ولاتحصى والأولى أن يقدم الإنسان الطاعة بين يدى الرجاء والدعاء، فيتصدق ويدعو الله بشفاء مريضه أو رد غائبه أو قضاء مصالحه، ولا يؤخر الصدقة أو الطاعة حتى يتحقق له ذلك..

وقد قال عليه الصلاة والسلام فى صحيح البخارى «إن النذر لايقدم شيئاً ولا يؤخر وإنما يستخرج به من مال البخيل»

وفى رواية «لايأتى ابن آدم النذرُ بشيء لم يكن قُدِّر له، ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له».

(١) سورة عبس: الآية (٢١). (٢) سورة الحج: الآية (٢٩).

◆◆ ٣٧ـ ملكيـــة الــربا

س: هل يجوز شراء منزل يملكه صاحبه عن طريق الربا؟

ج : المال الحرام لايتملك، ويجب رده لصاحبه إن كان معلومًا، ولا يجوز بيعه أو شراؤه لأن شرط عقد البيع هو التملك من البائع لما يبيعه.

قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾(١).

وقال ﷺ فى حجة الوداع: «**وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله**».

والوضع: هو الرد والإبطال..

وهذا المنزل إن كان يملكه صاحبه ربا، أى أخذه نظير زيادة ربوية وكانت هذه الزيادة هى بعينها المنزل المعروض للبيع فلا يجوز شراؤه لأنه متمحض للحرام وهو ملك لصاحبه الأول الذى تنازل عنه لصاحب الدَّين الربوى..

أما إذا كان بائع المنزل الآن يتعامل بالربا وكوَن ثروة عن هذا الطريق ولا يتعين المنزل كربا بل هو مما يملكه صاحبه الذى اختلط ماله بالحلال والحرام فيجوز شراؤه ولا حرج فى ذلك، وتقع الحرمة على البائع لتعامله الربوى وليست على المشترى .

وقد روى مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت: «**اشترى رسول الله ﷺ من يهودى طعاماً بنسيئة، وفى رواية إلى أجل ورهنه درعا له من حديد**».

ومعلوم أن اليهود يأكلون الربا ويتعاملون فى الحرام بنص قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ (٢)

◆◆ ٣٨ـ حرمـان بعـض الورثـة

س: أكتب إليكم من فراش المرض، لقد رزقنى الله مالاً وفيرا، وعندى ولدان وزوجة ويعيش والدى وأمى، ولى إخوة قمت بتربيتهم والإنفاق عليهم لكنهم أساءوا

(١) سورة البقرة : الآيات (من ٢٧٨ ، ٢٧٩). (٢) سورة المائدة : الآية (٤٢).

إليّ إساءة بالغة، وأنا الآن أخشى أن أموت ويرثني والداي ثم ينتقل هذا المال بعد وفاتهما إلى إخوتي.. فهل عليّ حرج شرعي إذا كتبت ثروتي كلها لأولادي؟

ج: أنت أيها السائل الكريم على فراش المرض، ومن الخير لك أن تلقى الله تعالى طاهر القلب بلا أحقاد، وأن ترضى أبويك وتلتمس دعاءهما لا أن تعقهما فى آخر لحظة من حياتك..

وتذكر قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(1)

ثم إن الحياة والموت بيد الله عز وجل لا يدرى أحد متى يموت ولا من يموت أولاً.. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(2)

وإذا كنت قدمت لإخوتك معروفا فالعاقل لايندم على معروف لأن الطيبات لله وثواب الله خير.. وإساءتهم لك هى مزيد حسنات لك ولا تمنعك الإساءة من مواصلة البر والمعروف.. قال تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(3)

ثم إن ثروتك عندما توزع ميراثًا سيكون لزوجتك الثمن ولكل واحد من أبويك السدس والباقى سيكون لأبنائك وهو قدر كبير يزيد على نصف التركة..

وما يرثه أبواك وهو الثلث يمكن أن يعود إلى أبنائك منه شيء بالوصية الواجبة..

فيأيها السائل الكريم تب إلى الله عز وجل والتمس دعاء أبويك وسامح إخوتك وادع لأبنائك بالبركة.. فذلك خير وأهدى سبيلا.

◆◆ ٣٩ ـ البيع بالتقسيط

س: انتشرت ظاهرة الشراء بالتقسيط وأصبحت الأسر تعانى من كثرة الخصومات من المرتب.. فما حكم هذه الظاهرة؟

ج: الشراء بالتقسيط هو لون من الديون الجائزة شرعًا فى إطار التعفف والقدرة

(١) سورة ق : الآية (١٩). (٢) سورة لقمان : الآية (٣٤).
(٣) سورة النور : الآية (٢٢).

على السداد، وفى صحيح البخارى قال النبى ﷺ «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله».

وحذر النبى ﷺ من المماطلة فى السداد وعدها ظلما فقال كما فى صحيح البخارى: «مَطْل الغنى ظلم»

وكان رسول الله ﷺ فى صدر الإسلام لايصلى صلاة الجنازة على من مات وعليه دين زجراً للناس عن الاستدانة وإهمال الوفاء، وهو ﷺ القائل «روح المؤمن مرهونة بدَيْنهِ حتى يؤدى عنه» أى محبوسة عن النعيم الذى لها فى الآخرة حتى يُقضى ما على صاحبها من دين.

ولما كثرت الغنائم بدأ رسول الله ﷺ يقضى ديون الموتى من مال الدولة ويصلى عليهم وقال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به فى الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم.. «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا أو ضياعاً فليأتنى فأنا مولاه»

واليوم انتشرت ظاهرة الشراء بالتقسيط فى المأكل والملبس والمركب والسكن وبطريقة تخرج عن الضرورات وتدفع إلى التبذير والإسراف ويترتب عليها ضائقة مالية للأسرة التى تتعدد فيها الاستقطاعات الشهرية، الأمر الذى يؤدى إلى الخلافات الزوجية وبخاصة فى الأيام الأولى للزواج، فلنحذر من التمادى فى هذه الطريقة ولندخر أولا ثم نشترى ثانيا حتى نعيش بلا هموم.

وكان رسول الله ﷺ يدعو فى الصلاة ويقول: «اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ يارسول الله من المغرم؟ قال: إن الرجل إذا غرِم حدث فكذب ووعد فأخلف»

***

٤٠ـ مالُ اليتامى

س : هل يجوز للوصى أن ينتفع بمال اليتيم عند الحاجة؟

***

ج : الأصل فى رعاية اليتيم هو الاحتساب فإن المؤمن يبتغى وجه الله والدار الآخرة على حد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ

شكُورًا﴾[1]، وقد جعل النبى ﷺ القائم على رعاية اليتيم قريباً له فى الجنة فقال ـ كما فى الصحيحين ـ : «أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى..

والقانون الذى يحكم علاقة الوصى بمال اليتيم هو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[2].

والاستعفاف أبلغ من العفاف فإنه طلب لزيادة العفة، فعلى الوصى الغنى أن يمتنع بشدة عن الانتفاع بأى شىء من مال اليتيم، أما إذا كان فقيراً فإن له أن يأخذ بالمعروف..

وقد فسر العلماء هذا المعروف بأمور منها :

أن يأخذ أقل الأمرين أجرة مثله فى قيامه بأمر المال والإشراف عليه أو قدر حاجته، وقال عامر الشعبى: لا يأكل منه إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة..

وجاءت بعض الأحاديث توضح ذلك فقد أخرج أحمد فى مسنده : «**أن رجلاً سألَ النبىَّ ﷺ فقالَ: ليسَ لى مالٌ ولى يتيمٌ ـ أى له مال ـ فقال عليه الصلاة والسلام : «كُلْ من مالِ يتيمِكَ غيرَ مسرفٍ ولا مبذرٍ ولا متأثلٍ مالاً ومن غيرِ أن تَقِىَ مالَكَ»**..

واختلف الفقهاء هل يرد الوصى بعد ذلك ما انتفع به إذا أيسر؟

والذى نختاره أن الانتفاع إذا كان من أصل المال من ذهب أو فضة أو عقار وجب عليه رده إذا أيسر فهو أشبه بالانتفاع بمال الغير عند الحاجة فيكون قرضاً أما الانتفاع بما يدره المال كألبان الماشية وركوب الدواب واستعمال الأوانى والآلات من غير إسراف، وفى حدود العرف فلا يرد من ذلك شيئاً..

ولنتذكر جيداً قوله جل جلاله : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[3]..

***

(١) سورة الإنسان : الآية (٩).
(٢) سورة النساء : الآية (٦).
(٣) سورة البقرة : الآية (٢٢٠).

◆◆ ٤١ ـ صدقة السر

س : أيهما أفضل صدقة السر أم العلانية؟

***

ج : قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١)..

فإخفاء الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء وأكرم للفقير إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية فمثلاً لو أن سيدة فاضلة تعرف أسرة منكوبة أو يتيماً لا عائل له ودعت جيرانها للمساهمة معها فى إعانة هذه الأسرة وقالت لهم : إنى تصدقت بكذا، فلا شيء فى ذلك بل هو نوع من حفز الهمم للمشاركة فى الخير.. وكل إنسان مطالب بأن يتصدق ويأمر غيره بالصدقة..

وقد توسع الإسلام فى مفهوم الصدقة فجعلها عامة لكل ألوان البر، فقال عليه الصلاة والسلام : «تعدلُ بينَ الاثنينِ صدقةٌ، وتُعينُ الرجلَ فى دابّتهِ فتحملهُ عليها أو ترفعُ له عليها متاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ وكلُّ خطوةٍ تَمشِيهَا إلى الصلاةِ صدقةٌ وتُميطُ الأذى من الطريق صدقةٌ»..

***

◆◆ ٤٢ ـ الضرائب

س : هل تقوم الضرائب مقام الزكاة؟

***

ج : الضرائب من المصالح التى يقدرها ولى الأمر باجتهاده وتمثل جزءاً من ميزانية الدولة ويصرف منها على الخدمات والمرافق العامة..

أما الزكاة فهى فريضة دينية حدد الله تعالى مصارفها فى قوله جل شأنه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٢)..

(١) سورة البقرة : الآية (٢٧١).
(٢) سورة التوبة : الآية (٦٠).

وللزكاة نصاب معين ومقدار خاص و أنواع محددة لا يجوز الخروج عنها.. وبالتالى فلا تقوم الضرائب مقام الزكاة بل يجب الالتزام بكل منهما فى الحدود المقررة قانوناً وشرعاً، ومبلغ علمى أن بعض الحكومات الإسلامية تخصم من الضرائب نسبة معينة فى مقابل تقديم ما يثبت إخراج الزكاة..

***

◆◆ ٤٣ـ الصدقة الجارية

س : ما تفسير قول رسول الله ﷺ : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»؟، وما مقدار الصدقة الجارية؟ وهل تتكرر كل سنة؟

***

ج : من فضل الله تعالى على عباده أن جعل لهم من الأعمال الصالحة ما يتواصل ثوابها ويتعاظم أجرها ويمتد جزاؤها إلى ما بعد الممات..

من هذه الأعمال الصالحة : الصدقة الجارية التى تظل موجودة ينتفع بها مدة من الزمن، فيجعل الله لها من الثواب ما يصل إلى صاحبها حياً كان أو ميتاً، وفى صحيح البخارى أن النبى ﷺ قال : «ما من مسلمٍ يغرسُ غرساً أو يزرعُ زرعاً فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كانَ له بهِ صدقةٌ».. ومقتضى الحديث ـ كما ذكر العلماء ـ أن ثواب ذلك مستمر مادام الغرس أو الزرع مأكولاً منه ولو مات غارسه أو زارعه، ولو انتقل ملكه إلى غيره، وجاءت آثار كثيرة تبين ألواناً من الصدقة الجارية مثل توريث المصحف وبناء المساجد والمدارس والمستشفيات وشق الترع والقنوات وإقامة المضخات المائية، وسواء عملها الإنسان فى حياته أو عملت باسمه بعد مماته من أهله وأقربائه فإن الثواب يصل إلى الحى والميت..

أما العلم الذى ينتفع به فهو على العموم ما يتصل بالعقيدة والعبادة والمعاملة والحياة فكل من دعا إلى هدى وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر أو علم الناس صنعة ينتفعون بها أو اكتشف علاجاً لمرض أو نظرية علمية تيسر للناس سبل معيشتهم وهو مؤمن مسلم فإن ثواب علمه يتواصل له بعد مماته وكذلك نشر الكتب وطباعتها..

أما الولد الصالح فهو نعمة لأبيه فى الدنيا والآخـرة، ودعـاء الآباء لأبنائهم أو دعاء الأبناء لآبائهم هو من الدعاء المستجاب لأنه أنقى الدعاء وأصفاه وأخلصه..

فمن مات له عزيز فليدع له وليتصدق عليه و ليتحر الصدقات التى يمتد نفعها وتبقى زمناً طويلاً حتى يتعاظم الثواب، وليس للصدقة مقدار معين أو زمن خاص وكل إنسان يقدم ما يستطيعه قل أو كثر، وقد قال الرسول الكريم ﷺ: «اتقُوا النارَ ولو بشِقّ تَمْرَةٍ»..

***

◆◆ ٤٤ـ زكـــــاة الزروع

س : أملك فدانين ولى أسرة كبيرة معسرة فهل يجوز لى الاحتفاظ بزكاة الزروع وعدم إخراجها لحاجتى إليها؟

***

ج : حدد الله تعالى على لسان رسوله أنصبة الزكاة ومقدارها فى الزروع والثمار والماشية وعروض التجارة والأموال المدخرة.. وجعلها نماء للمال وطهرة للنفس قال تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]..

والصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد الفقير، قال جل شأنه : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2]..

ولا يبلغ العبد كمال الإيمان حتى يرى نفسه أحوج إلى ثواب الصدقة من الفقير إلى صدقته!!

وفى صحيح الحديث أن النبى ﷺ ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه ثلاث مرات ثم قال : «اتقوا النارَ ولو بشِقّ تمرةٍ فَمَن لم يَجِدْ فبكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»..

وعلى هذا فمن يملك نصاباً من الزرع مما يدخر ويقتات وجب عليه شرعاً شكر النعمة التى ساقها الله إليه بأن يخرج زكاتها فوراً تصديقاً لقوله تعالى : ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[3]..

(١) سورة التوبة : الآية (١٠٣). (٢) سورة التوبة : الآية (١٠٤). (٣) سورة الأنعام : الآية (١٤١)

وإلا فقد عرض نفسه لسخط الله و عرض النعمة لزوالها فإن الزكاة ما خالطت مالاً إلا أفسدته..

وقد حذرنا الرسول ﷺ أن نبخل بالصدقة، وعندما سئل أى الصدقة أعظم؟ قال : «أن تصدَّقَ وأنتَ صحيحٌ شحيحٌ تخشَى الفقرَ وتأملُ الغنىَ ولا تُمهلْ حتَّى إذا بلغَت الحلْقُومَ قلتَ لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، ألا وقد كانَ لِفُلانٍ»..

ولنتأدب بوصية رسول الله ﷺ ..

«من يستعفِف يُعفّه اللهُ ومن يستغنِ يُغنِه اللهُ ومن يصبر يُصبِّرهُ اللهُ وما أُعطِيَ أحدٌ من عطاءٍ خيراً وأوسعَ من الصبرِ»..

***

◆◆ ٤٥ ـ زكـــاة أمـــوال اليتـامـــى

س : أنا وصية على أولادى الصغار، ولهم أموال مودعة فى البنك تزيد على النصاب الشرعى، فهل أخرج الزكاة عن أموالهم هذه؟

***

ج : اليتيم فى كفالة وليه يجب له حسن الرعاية والتربية، وحفظ ماله وتنميته، وقد أمر الله تعالى الأوصياء أن يستثمروا أموال اليتامى حتى تنمو وتتكاثر فقال: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾[1]، أى اجعلوا أموالهم سبباً لرزقهم وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتستثمروها حتى تكون نفقاتهم من الأرباح وليس من رأس المال..

وبالنسبة لزكاة أموال اليتامى فقد حكى الإمام ابن رشد أقوال العلماء فى ذلك: فذهب على وابن عمر وجابر وعائشة من الصحابة، ومالك والشافعى والثورى وأحمد وإسحق وأبو ثور و غيرهم من فقهاء الأمصار إلى أن الزكاة تجب فى أموال اليتامى..

وذهب النخعى والحسن وسعيد بن جبير من التابعين إلى أنه لا زكاة فى أموال اليتامى مطلقاً..

(١) سورة النساء : الآية (٥).

وفرق أبو حنيفة وأصحابه بين ما تخرجه الأرض وبين ما لا تخرجه، فقالوا بوجوب الزكاة فيما أخرجته الأرض من الزروع والثمار ولا زكاة فيما عدا ذلك من الأموال المدخرة وعروض التجارة والماشية..

وسبب اختلافهم فى حكم الزكاة على أموال اليتامى هو اختلافهم فى مفهوم الزكاة الشرعية، فمن عدّ الزكاة عبادة قال بعدم وجوبها على اليتيم لأنه صغير لم يبلغ والبلوغ شرط التكليف، ومن عدّ الزكاة حقاً للفقراء على الأغنياء قال بوجوب الزكاة فى أموال اليتامى لأنهم أغنياء..

ونحن نرى عدم إخراج الزكاة من أموال اليتامى حتى لا نفتح الباب أمام بعض الأوصياء أن يعبثوا بأموال اليتامى، وعندما يبلغ اليتيم ويئول إليه ماله يمكن أن يتصدق بما شاء تطهيراً لماله وقربى إلى الله عزوجل. ويؤدى زكاة عام واحد عما مضى..

والله أعلم..

◆◆ ٤٦ ـ الكفارات المالية

س : هل يجوز شرعاً وضع كفارة اليمين المالية فى بناء المساجد؟

***

ج : علينا أن نفرق بين نوعين من الصدقات الواجبة على المسلم :

صدقة هى زكاة الأموال والزروع والثمار وعروض التجارة، ولها مصارف شرعية حددتها الآية الكريمة : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١)..

وللعلماء فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ رأيان، قيل مراد به الجهاد وقيل مراد به ما هو أعم بما يشمل كل خير للمسلمين كالمساجد والمدارس والمستشفيات والملاجئ وغير ذلك..

وعلى هذا فيجوز إخراج جزء من زكاة الأموال فى مصالح المسلمين العامة..

أما النوع الثانى من الصدقات الواجبة فيشمل زكاة الفطر وكفارات الفطر

(١) سورة التوبة : الآية (٦٠).

فى رمضان والأيمان والظهار وهدى الحج، فهذه الصدقات لا تصرف إلا للفقراء والمساكين ولا يجوز وضعها فى مشروعات البناء لأن الله تعالى حدد مصارف هذه الكفارات فى نصوص شرعية لا يجوز الخروج عنها..

قال تعالى فى كفارة الفطر من رمضان: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾(1)..

وقال جل شأنه فى كفارة الأيمان: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾(2)..

وقال سبحانه فى هدى الحج : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾(3)..

وقال عز من قائل فى كفارة الظهار: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾(4)..

وأشار الرسول ﷺ إلى حكمة زكاة الفطر فقال ـ كما رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الحاكم: «زكاةُ الفطرِ طهرةٌ للصائمِ من اللغوِ والرفثِ وطعمةٌ للمساكين»..

وعلى هذا فكفارات الأيمان والظهار والفطر بل الكفارات عموماً لابد أن تصل إلى الفقراء والمساكين لتحسين أوضاعهم الاقتصادية ورفع مستوى معيشتهم ولا يجوز وضعها فى المرافق العامة..

***

٤٧ ـ الاستخدام الشخصى للمال العام

س : ما حكم استخدام الإمكانات فى جهة العمل استخداماً شخصياً مثل التليفون والسيارة وأدوات الكتابة وغير ذلك؟

***

(1) سورة البقرة : الآية (١٨٤).
(2) سورة المائدة : الآية (٨٩).
(3) سورة الحج : الآية (٢٨).
(4) سورة المجادلة : الآية (٤).

ج : الاستخدام الشخصى لإمكانات العمل مرهون باللوائح والقوانين، فما سمحت به فهو حلال وما منعت منه فهو حرام..

والمال العام له حرمة كبيرة، ويجب على المسلم صيانته والحفاظ عليه وتنميته وعدم المساس به..

وقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال : «إنى لأنقلبُ إلى أهلِى فَأجِدُ التمرةَ ساقطةً على فراشِى ثم أرفعُها لآكلَها ثم أخشَى أن تكونَ صدقةً فأُلْقِيها»..

فهذا رسول الله ﷺ يجد التمرة وهى شىء يسير، ويجدها على فراشه، وله رغبة فى تناولها أو حاجة إليها ولكنه عليه الصلاة والسلام ما يكاد يرفعها إلى فمه حتى يخشى أن تكون من زكاة المسلمين وأموالهم العامة فيلقيها فوراً ولا يتناولها..

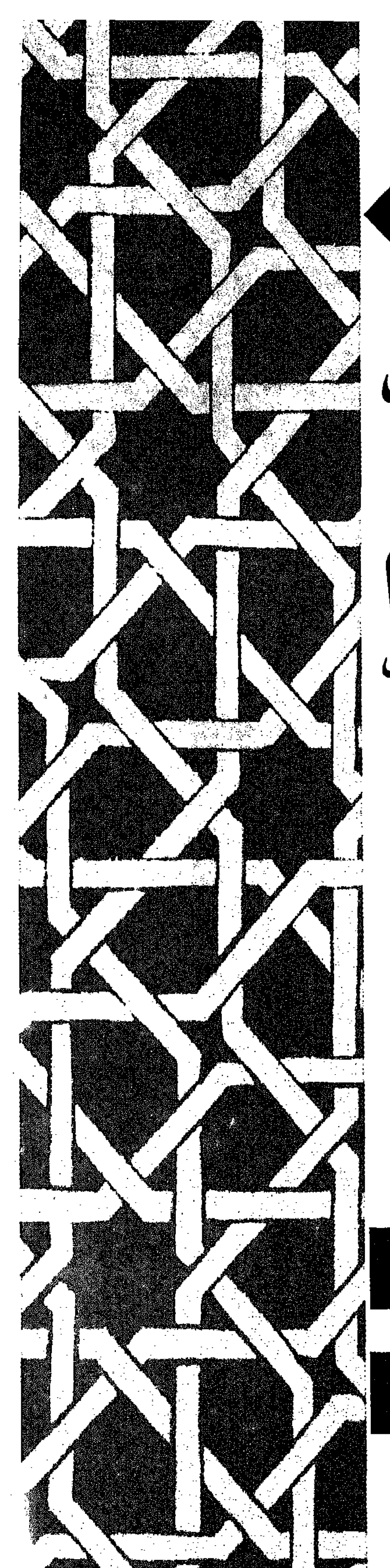
بل إن نصوص الشريعة تجعل حرمة المال العام أشد من حرمة المال الخاص، ففى صحيح مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «لما كانَ يومُ خيبر أقبلَ نفرٌ من أصحابِ النبىِّ ﷺ فقالُوا : فلانٌ شهيدٌ وفلانٌ شهيدٌ حتى مَرّوا على رَجُلٍ فقالُوا : فلانٌ شهيدٌ فقالَ النبىُّ ﷺ : كلا إنى رأيتُهُ فى النار فى بُرْدَةٍ غَلَّهــــا أو عَبَاءَةٍ»..

أى أنه أخذ شيئاً من الغنائم قبل تسليمها لولى الأمر وتوزيعها التوزيع الشرعى..

وكل إنسان أخذ شيئاً من الغنائم وبالتالى من المال العام دون وجه استحقاق سيفضحه الله تعالى على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، وسيأتى يحمله على عنقه مهما كان صغيراً أو كبيراً.. قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[1]..

***

(١) سورة آل عمران : الآية (١٦١).





الباب الثالث

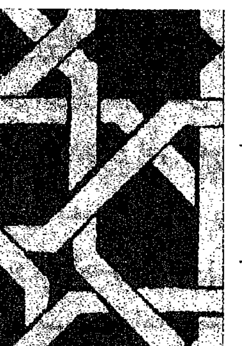
الصوم

بحوث وفتاوى

١ بحوث فى الصوم

٢ فتاوى فى الصوم





١ بحوث فى الصوم

الصوم منهج تربية

العبادات فى الإسلام مناهج للتربية، تصحح العقيدة وتطهر الأخلاق وتقوم السلوك، والمسلم فى صلاته وصيامه وزكاته وحجه يجمع بين الروح والبدن، ويربط بين القلب والقالب، ويرقى فى معارج القدس ومنازل المصطفين الأخيار..

والصوم منهج عظيم للتربية يرتكز على الإخلاص، والخشية من الله، والحب لله، والإيثار لمرضاته سبحانه.. فهو عبادة بعيدة عن الرياء ولا يطلع عليها إلا علام الغيوب، وهو عبادة تترفع بالإنسان عن مطالب الشهوة، وتجعل الإنسان يمتلك الإرادة الطاهرة، وتؤهله لتقلبات الزمان ومواجهة مصاعب الحياة، وتمنحه صفاء العقل ونور البصيرة..

فإن الترف قاتل، وإن المترفين لا يبنون مجتمعاً، وإن الحرص على المادة لا يمنح السعادة..

ولنتأمل قول رسول الله ﷺ : «كلُّ عملِ ابنِ آدم يُضاعفُ، الحسنةُ عشرُ أمثالِهَا، إلى سبعمائةِ ضعفٍ، قالَ الله عزوجل إلا الصومَ فإنه لِى وأنا أجزِى بِهِ، يَدَعُ شهوتَهُ وطعامه من أجلى، للصائِمِ فرحَتَان، فرحةٌ عندَ فِطرِه، وفرحةٌ عندَ لقَاءِ رَبِّه ولخلُوفُ فِيهِ أطيب عندَ اللهِ من ريحِ المِسْكَ»..

والملاحظ أن التعبير القرآنى جعل غاية الصوم هى التقوى فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، والتقوى هى جماع الخير كله..

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٣).

وما ذاك إلا لأن سلوك الصائم سلوك رشيد فى الكلمة والفعل، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ «إذا كانَ يومُ صومِ أحدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ ولا يَصْخَبْ فإنْ سَابَّهُ أحـــدٌ أو قاتَلَهُ فليقُلْ إنِّى امرؤٌ صَائِمٌ»..

وفى تعبير جامع يؤكد الرسول ﷺ أن التزام القيم والولاء للحق هو الغاية القصوى للصوم فيقول: «مَن لَمْ يدَع قولَ الزورِ و العمَلَ بِهِ فليسَ للهِ حاجَةٌ فى أن يدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ»..

فقول الزور والعمل به يعنى المعاصى كلها، وترك ذلك يعنى الطاعات بأجمعها..

وهذا يؤكد أهمية أن نتناصح جميعاً رجالاً ونساء، ونؤدى الصوم إيماناً واحتساباً، ونسعى جاهدين لطهارة الفرد والمجتمع..

***

◆◆ التقــوى بــين القــرآن والصــوم

ارتبط رمضان بأعظم حدث و أكبر معجزة وأخلد رسالة، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[1]..

والملاحظ فى البيان القرآنى أن الله تعالى جعل القرآن فى هذه الآية هدى للناس، وفى صدر السورة التى تنتسب إليها هذه الآية، وهى سورة البقرة جعل الله تعالى القرآن هدى للمتقين فقال: ﴿الٓمٓ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، فكأن المتقين هم الناس، ومن لا تقوى عنده لا إنسانية له..

وقد جاء لفظ التقوى فى القرآن معبراً عن أكثر من معنى، فالتقوى بمعنى الخشية كما فى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[3]..

والتقوى بمعنى الإيمان كما فى قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[4]..

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٥).
(٢) سورة البقرة : الآيات (١ ، ٢).
(٣) سورة البقرة : الآية (٢٨١).
(٤) سورة الفتح : الآية (٢٦).

فكلمة التقوى هى كلمة التوحيد التى كانت وساماً إلهياً رفيعاً لأصحاب بيعة الرضوان..

وتأتى التقوى بمعنى الإخلاص كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1]، وتقوى القلوب هو إخلاصها وهو مقام شريف..

وتأتى التقوى بمعنى الطاعة كما فى قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[2]..

وقد حظى المتقون بشرف المعية الإلهية، معية الحفظ والرعاية والعناية فقال جل شأنه : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[3]..

ومن كان فى معية الله فهو الأعز.. فعزه بالله، وهو الأكرم.. فتكريمه من الله، وهو الأسعد.. فسعادته منحة من الله.. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[4]..

وهنا يأتى الصوم ليؤكد حقيقة التقوى وليدفع الناس إلى رحابها ويربيهم فى ظلالها فينعموا بثمراتها الطيبة المباركة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5]..

***

◆◆ الجهاد فى رمضان

الجهاد فى سبيل الله قمة العبادات وأعظم القربات إلى الله عزوجل، وكان رسول الله ﷺ يحث أصحابه كثيراً على الجهاد والثبات والتضحية والاستشهاد حتى تعلو راية الحق وتصان الحرمات ويأمن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم..

وفى صحيح الحديث : «**مثلُ المجاهِدِ فى سبيلِ اللهِ كمثلِ الصائمِ القائمِ القانتِ بآياتِ اللهِ لا يفتُرُ من صلاةٍ ولا صيامٍ حتى يَرجِعَ المجاهدُ فى سبيلِ اللهِ**»..

(١) سورة الحج : الآية (٣٢).
(٢) سورة النحل : الآية (٢).
(٣) سورة النحل : الآية (١٢٨).
(٤) سورة الحجرات : الآية (١٣).
(٥) سورة البقرة : الآية (١٨٣).

وقد وقعت فى رمضان غزوتان على عهد رسول الله ﷺ، غزوة بدر الكبرى فى العام الثانى للهجرة وفتح مكة فى العام الثامن للهجرة..

لقد جعل الله النصر يوم بدر آية وعبرة وسنة جارية فقال: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾(١)..

وكان فتح مكة نصراً مبيناً به تمت النعمة، وعليه قامت الخلافة الإسلامية وانتشرت كتائب الرحمن تحمل نور الله فى الآفاق، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾(٢)..

وسار رمضان فى تاريخ المسلمين يدفعهم إلى العمل والجهاد ويحقق الله فيه النصر تلو النصر.. حتى كان العاشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف لهجرة المصطفى ﷺ واقتحم جنود مصر الأبطال أكبر عائق مائى فى وضح النهار وحطموا أضخم خط دفاعى وعبروا إلى سيناء مهللين مكبرين صائمين..

إن نصر الله دائماً حليف للمؤمنين الصادقين، وعندما ننصر دين الله يمكن الله لنا فى الدنيا، ويفتح علينا من بركات السماء والأرض..

فالله هو الحق، وقوله الحق، ووعده الحق، قال تعالى : ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾(٣)...

***

◆◆ الآثار النفسية للاعتكاف

للنفس إشراقات وأنوار تتجلى فى شهر رمضان من خلال سنة الاعتكاف التى هى مشروعة فى كل أوقات السنة وتتأكد خلال الشهر الكريم، وقد أحياها الرسول

(١) سورة آل عمران : الآيات (١٢ ، ١٣). (٢) سورة النصر. (٣) سورة الحج : الآيات (٤٠ ، ٤١).

ﷺ، وعرفتها الرسالات السابقة.. وقد أشار القرآن المجيد إلى أن الاعتكاف عبادة قديمة فى مثل قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1]..

والاعتكاف هو المكث فى المسجد بنية، وهو سنة مؤكدة فى كل وقت، وقد يجب بالنذر، وفى صحيح الحديث عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «كانَ رسولُ الله ﷺ **يعتكفُ العشرَ الأواخرَ من رمضانَ حتى توفاهُ اللهُ عزوجل ثم اعتكفَ أزواجُهُ من بعدِهِ**»..

وفى صحيح البخارى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**يا رسولَ الله إنى نذرتُ فى الجاهليةِ أن أعتكفَ ليلةً فى المسجدِ الحرامِ، فقال له النبى** ﷺ **: أوفِ نذرَكَ، فاعتكف لَيلةً**»..

وثبت أن النبى ﷺ اعتكف العشر الأول من شوال..

ومما يعمق صفاء النفس ويشرح الصدر ويمنح الإنسان السكينة أن الاعتكاف لا يكون إلا فى مسجد، وللمسجد آثاره المباركة، فالمساجد بيوت الله فى الأرض تحفها الملائكة وتتنزل فيها الرحمة وتجمع من معالم الخير والرشد ومجالس العلم والتربية ما يجعل المسلم أصفى روحاً وأنقى نفساً وأخلص قلباً..

وجاءت آراء للعلماء تخصص المسجد، فقال الشافعى ومالك يصح الاعتكاف فى كل مسجد، وقال أحمد : يختص بمسجد تقام الجماعة الراتبة فيه، وقال أبوحنيفة: يختص بمسجد تصلى فيه الصلوات كلها، وقال الزهرى وآخرون يختص بالجامع الذى تقام فيه الجمعة، ونقلوا عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه اختصاص الاعتكاف بالمساجد الثلاثة: المسجد الحرام ومسجد المدينة والأقصى..

ومتى قلنا إن للاعتكاف آثاراً نفسية مباركة، فالرجل والمرأة على سواء فى استشراف هذه الآثار..

فالاعتكاف سنة للرجال والنساء، إلا أن أبا حنيفة صحح اعتكاف المرأة فى مسجد بيتها..

وقد حدثت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ كما فى صحيح مسلم ـ : «كانَ

(١) سورة البقرة : الآية (١٢٥).

رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ أن يعتكِفَ صلَّى الفجرَ ثم دخلَ معتكفه، وإنه أمر بخبائه فَضُرِبَ، أراد الاعتكافَ فى العشرِ الأواخرِ من رمضان، فأمرت زينبُ بخبائِها فضُرِبَ، وأمر غيرُها من أزواجِ النبى ﷺ بخبائِهِ فضُرِبَ، فلما صلى رسولُ الله ﷺ الفجرَ نظرَ فإذا الأخبيةُ، فقال: آلبرَّ تُردن؟ فأمر بخبائه فقُوِّضَ وتركَ الاعتكافَ من شهرِ رمضانَ حتى اعتكفَ فى العشرِ الأولِ من شوال»..

وفى فهم هذه الواقعة ساق الإمام النووى ما يلى :

قال القاضى : قال رسول الله ﷺ هذا الكلام إنكاراً لفعلهن، وقد كان ﷺ أذن لبعضهن فى ذلك كما رواه البخارى، قال وسبب إنكاره : أنه خاف أن يكن غير مخلصات فى الاعتكاف بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه أو لغيرته عليهن، فكره ملازمتهن المسجد، مع أنه يجتمع الناس فيه ويحضره الأعراب والمنافقون، وهن محتاجات إلى الخروج والدخول لما يعرض لهن فيبتذلن لذلك، أو لأنه ﷺ رآهن عنده فى المسجد وهو فى المسجد فصار كأنه فى منزله بحضوره مع أزواجه، وذهب المهم من مقصود الاعتكاف وهو التخلى عن الأزواج ومتعلقات الدنيا وشبه ذلك، أو لأنهن ضيقن المسجد بأبنيتهن..

وفى هذا الحديث دليل لصحة اعتكاف النساء لأنه ﷺ كان أذن لهن وإنما منعهن بعد ذلك لعارض، وفيه أن للرجل منع زوجته من الاعتكاف بغير إذنه، وبه قال العلماء كافة، فلو أذن لها فهل له منعها بعد ذلك فيه خلاف للعلماء..»[1]..

***

◆◆ حول ليلة القدر

مفهوم القدر

القدر - على ما نختاره - هو الشرف والمنزلة السامية والمكانة الرفيعة، ومفهوم الشرف تابع للمراد بالليلة..

ونحن نرى أن ليلة القدر ليلتان :

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ٨ ، ص ٩٩ .

١ ـ ليلة غار حراء التى التقى فيها جبريل برسول الله ﷺ ونزل فيها قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1]..

ويمكن أن نسميها ليلة القرآن أو ليلة الغار، وهى بحق ليلة قدر، نزل فيها ملك ذو قدر هو جبريل الأمين، بكتاب ذى قدر هو القرآن المجيد، على نبى ذى قدر هو محمد ﷺ سيد ولد آدم، لأمة ذات قدر هى أمة الإسلام، خير أمة أخرجت للناس..

٢ ـ ليلة العبادة التى تفضل الله بها على أمة الإسلام، فجعل العبادة فيها تعدل ثواب العبادة فى ألف شهر، وحفها بمزيد التكريم فكانت سلاماً عاماً، تتنزل فيها الملائكة يلقون السلام ويشيعون البركة على كل مسلم يذكر الله جل جلاله..

الفرق بين الليلتين :

ليلة القرآن أو ليلة الغار معلومة على وجه اليقين أو الظن الغالب، فهى الليلة التى كان سيدنا محمد ﷺ متحنثاً فى غار حراء حتى فجأه الوحى وضمه جبريل وقال له اقرأ، ورجع الرسول ﷺ إلى زوجه السيدة خديجة يقول لها زملونى.. زملونى..

فهى ليلة لها من الملابسات والآثار النفسية والاجتماعية والتاريخية ما يجعلها فى بؤرة الشعور دائماً ولا يعقل نسيانها أو خفاؤها..

وهذه الليلة عند المحققين هى ليلة السابع عشر من شهر رمضان فى السنة الحادية والأربعين لميلاد المصطفى ﷺ، الموافق السادس من شهر أغسطس للعام العاشر بعد المائة السادسة لميلاد المسيح عليه السلام..

فهى ليلة تاريخية لا تتبدل ولا تنتقل ولا تدور..

أما ليلة العبادة فهى ليلة كافأ الله بها أمة محمد ﷺ وخصها بمزيد الثواب وهى التى جاءت الآثار بالتماسها وتحريها، وهى التى دار حولها الخلاف بين العلماء..

دلائل الفرق بين الليلتين :

١ ـ جاء فى أسباب النزول روايات منها :

قول الإمام مالك فى الموطأ : «**بلغَنِى أن رسولَ اللهِ ﷺ تقاصر أعمار أمتِهِ عن أعمارِ الأُمَمِ الماضيةِ فأعطاهُ اللهُ ليلةَ القدرِ**»..

(١) سورة العلق : الآية (١).

وأخرج ابن أبى حاتم والواحدى عن مجاهد : أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1]، أى التى لبس ذلك الرجل السلاح فيها فى سبيل الله ..

فدلّ سبب النزول على أن ليلة العبادة منحة إلهية وعطاء لاحقٌ حدث بعد ليلة الغار..

٢ ـ إن الأحاديث النبوية الواردة فى شأن ليلة القدر كلها فى ليلة العبادة وليس فى ليلة الغار..

ففى صحيح البخارى: «تحرَّوا ليلةَ القدرِ فى الوترِ من العشرِ الأواخرِ من رمضان»..

«وقد أُريتُ هذه الليلةَ ثم أُنسيتُها فالتمسُوها فى العشرِ الأواخرِ»..

«من كان متحرِّيها فليتحرَّها فى السبعِ الأواخرِ»..

وفى صحيح مسلم : «إنى اعتكفتُ العشرَ الأُولَ ألتمسُ هذه الليلةَ ثم اعتكفتُ العشرَ الأوسطَ ثم أُوتيت فقيلَ لى إنها فى العشرِ الأواخرِ، فمن أحبَّ منكم أن يعتكِفَ فليعتكف، فاعتكَفَ الناسُ معه»..

فالتحرى والالتماس والاعتكاف ليس بحثاً عن ليلة الغار، وليس محاولة لمعرفة متى كانت، وإنما يعقل التحرى والالتماس والاعتكاف لليلة جديدة أخفاها الله تعالى، هى ليلة العبادة..

فإن السبيل لمعرفة ليلة الغار والقرآن أن يسأل أهل بيته ومن آمن معه من السابقين فى الإسلام..

٣ ـ ساق البخارى فى صحيحه فى كتاب الصوم باباً بعنوان : «تَحرِّى ليلةِ القدرِ فى الوترِ من العشرِ الأواخرِ»..

وقال شارحه ابن حجر : فى هذه الترجمة إشارة إلى رجحان كون ليلة القدر منحصرة فى رمضان ثم فى العشر الأخير منه ثم فى أوتاره، لا فى ليلة بعينها، وهذا هو الذى يدل عليه مجموع الأخبار الواردة فيها»..

ثم ساق البخارى باباً آخر بعنوان: «رفع معرفةِ ليلةِ القدرِ لتلاحِى الناسِ»..

(١) سورة القدر : الآيات من (١ إلى ٣) .

واستدل بالحديث الشريف: «خَرَجَ النبيُّ ﷺ ليُخبِرَنا بليلةِ القدرِ فتلاحَى رجلانِ من المسلمين، فقال: خرجتُ لأخبِرَكم بليةِ القدرِ فتلاحَى فلانٌ وفلانٌ فرُفِعت، وعسى أن تكون خيراً لكم فالتمسُوها فى التاسعةِ والسابعةِ والخامسةِ»[1] ..

فهذا يؤكد الفرق بين ليلة الغار والقرآن وبين ليلة العبادة، فإن ليلة الغار ليلة بعينها، محددة بوقت خاص لا يزول ولا يحول، لأنه حدث ارتبط بزمن فلا يرفع..

أما ليلة العبادة فهى التى قد تخفى، وقد يعلمها الرسول برؤيا منامية فإذا استيقظ نسيها لصارف شغله كما حدث فى الشجار بين الخصمين المذكورين فى الحديث..

٤ ـ ذكر الإمام ابن حجر فى شرحه لصحيح البخارى أن للعلماء أكثر من أربعين رأياً فى ليلة القدر..

منها أنها ممكنة فى جميع السنة، ومنها أنها مختصة برمضان ممكنة فى جميع لياليه، وما من ليلة من ليالى رمضان إلا وقال بها بعض العلماء، وذهب ابن العربى إلى أنها لا تعلم..

ودخلت المسألة مدخلاً غير صحيح شرعاً، فنسب إلى ابن عباس أنها ليلة سبع وعشرين اعتماداً على أن كلمة «هى» فى سورة القدر سابع كلمة بعد العشرين، وقيل إن ذلك من ملح التفسير وليس من يقين العلم..

وأقول إن هذا ليس دليلاً يعتد به شرعاً، ثم إنه خطأ من حيث اللغة، لقد عَدّ «إنا» كلمة مع أنها كلمتان : إن والضمير، وعَدّ «أنزلناه» كلمة مع أنها ثلاث كلمات : الفعل الماضى «أنزل» والفاعل ضمير المتكلم والمفعول ضمير الغائب..

ثم أتساءل : هل خلاف العلماء هنا حول ليلة القدر وهذه الكثرة من الآراء كانت تبحث عن معرفة ليلة الغار وتحديد ليلة القرآن؟!..

لا أظن أحداً من العلماء يقول بذلك، وإن الذى لم يتنبه إليه الباحثون قديماً ولا حديثاً هو أن الخلاف حول ليلة القدر إنما هو خلاف حول ليلة العبادة التى امتن الله بها على أمة الإسلام..

---

(١) يحتمل أن يريد بالتاسعة تاسع ليلة من العشر الأخير فتكون ليلة تسع وعشرين، ويحتمل أن يريد بها تاسع ليلة تبقى من الشهر فتكون ليلة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين بحسب تمام الشهر ونقصانه، وهكذا يراد بالسابعة والخامسة.

أما ليلة القرآن والغار فقد وقع فيها حدث عظيم وارتبطت بمواقف لا تنسى، واجتمع لها من الأسباب ما يجعلها محل الحفظ والتذكر دائماً..

حكمة إخفاء ليلة العبادة :

لعل فى إخفاء ليلة العبادة ودورانها ما يحفز المسلم إلى دوام اليقظة والمراقبة لحدود الله، واتصال القلب بالملأ الأعلى..

وقد أخفى الله أشياء فى أشياء لحكمة، فأخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة ليعم الدعاء اليوم كله، وأخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات لتؤدى كلها، وأخفى لحظة الموت لتعمر الحياة كلها بالتوبة والعمل الصالح.. وهكذا فلسنا مكلفين بمعرفة وتحديد ليلة القدر، فهذا تدقيق ليس وراءه تحقيق، وبحث لا يصل إلى يقين، وجهد لا يؤدى إلى فائدة..

علامات ليلة العبادة :

ورد لليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضى، منها فى صحيح مسلم أن الشمس تطلع فى صبيحتها لا شعاع لها..

وقيل إن لها أنواراً معينة أو أن المسلم يسمع سلاماً أو خطاباً من الملائكة.. وهذا لا نعول عليه كثيراً والعبرة بالاستقامة والطهر والنقاء، والله يختص برحمته من يشاء..

إحياء ليلة القدر :

المسلم مطالب شرعاً بتحرى ليلة القدر والتماسها اقتداء برسول الله ﷺ ويكون ذلك بالاعتكاف والمحافظة على الجماعة فى الصلوات الخمس، وتلاوة القرآن وقيام الليل وكثرة الاستغفار، والابتهال إلى الله تعالى بخيرى الدنيا والآخرة..

***

◆◆ تفسـير سـورة القـدر

انتهينا فيما سبق إلى أن هناك ليلتين للقدر هما : ليلة القرآن والغار، وليلة العبادة والطاعة.. وهنا يرد تساؤل : كيف نفهم سورة القدر وهى السورة السابعة والتسعون فى ترتيب المصحف الشريف؟ وعن أى الليلتين تتحدث هذه السورة الكريمة؟

ونحن بدورنا نطرح سؤالاً آخر وهو : هل سورة القدر مكية أم مدنية؟

لقد ذكر الإمام البيضاوى فى تفسيره أن سورة القدر مختلف فيها، وساق الشيخ زاده فى حاشيته على تفسير البيضاوى أنه قيل إن سورة القدر أول سورة نزلت بالمدينة، ولم يذكر الشيخ هبة الله فى كتابه الناسخ والمنسوخ إلا أن سورة القدر مدنية وليس فيها ناسخ ولا منسوخ..

وعلى هذا فنحن نستطيع ـ بتوفيق الله تعالى ـ أن نفسر سورة القدر على أحد اتجاهين :

الاتجاه الأول :

لو سلمنا أن سورة القدر مكية و أدركنا أن الصوم لم يفرض فى العهد المكى وأن السنة النبوية لم تتحدث عن التماس ليلة القدر وتحريها فى ذلك العهد فإن سورة القدر المكية تكون خالصة لليلة القرآن والغار، ولا علاقة لها بليلة العبادة والطاعة..

وتبدأ السورة الكريمة بقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1]، بمعنى أن القرآن العظيم بدأ نزوله فى هذه الليلة العظيمة عندما فجأ الوحى سيدنا محمداً ﷺ وهو فى غار حراء وقام جبريل الأمين بضم الصادق الأمين أكثر من مرة ثم قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2]..

وقد ذكر بعض العلماء أن للقرآن تنزلين جملة واحدة قبل بدء نزوله على قلب سيدنا محمد ﷺ :

(١) سورة القدر : الآية (١).

(٢) سورة العلق : الآيات (من ١ إلى ٥)

الأول : التنزل إلى اللوح المحفوظ، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[1]..

الثاني: التنزل إلى بيت العزة فى السماء الدنيا، واستدلوا بأحاديث موقوفة على ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ منها قوله : «**فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبى ﷺ**»..

وفى الحق فإن التنزل الأول لا يخص القرآن وحده، وشأنه فى ذلك شأن سائر ما علمه الله تعالى وسجله فى اللوح المحفوظ، وأشارت إليه الآية الكريمة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2]..

والآية الأخرى: ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3]..

أما التنزل الثانى إلى بيت العزة فليس فيه حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ، وحقائق الغيب لا يكفى فيها مثل هذه الموقوفات..

وهذه الليلة التى تلقى فيها الرسول ﷺ أولى إشراقات الوحى هى خير من ألف شهر، وهذا العدد مراد به التكثير والتفخيم، فإن ليلة بدأ فيها نور الإسلام، وتنزل فيها منهج الحياة المثلى، وتحمل فيها سيدنا محمد ﷺ رسالة إلى العالمين تخرجهم من الظلمات إلى النور لهى ليلة عظيمة الشأن خير من الدنيا بأسرها..

وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾[4] تعبير بالفعل المضارع بدلاً من الماضى لاستحضار الصورة الروحانية التى تجلت فى ليلة الغار، حيث نزل جبريل الأمين بالوحى القرآنى مصحوباً بكوكبة من الملائكة تحرس الوحى المنزل حتى يصل إلى النبى ﷺ مصوناً من تلبيس إبليس، كما قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[5]..

(١) سورة البروج : الآيات (٢١ ، ٢٢).
(٢) سورة الحديد : الآية (٢٢).
(٣) سورة سبأ : الآية (٣).
(٤) سورة القدر : الآية (٤).
(٥) سورة الجن: الآيات (من ٢٦ إلى ٢٨).

وقوله تعالى : ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[1] يعنى أن القرآن العظيم تفصيل كل شىء يرقى بالإنسان ويصون المجتمع ويؤسس الحضارة..

وقوله تعالى : ﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[2]، يؤكد أن هذا اللقاء الفريد بين ملك الوحى والرسول المصطفى ﷺ فى ليلة الغار هو لقاء مبارك وقع فى ليلة السلام والإسلام، وهى ليلة يستمر أثرها ويعمق تأثيرها فى الحياة والأحياء حتى يعم نور الله الآفاق، ويطلع هذا الدين على ما يطلع عليه الفجر..

الاتجاه الثانى :

هذا الاتجاه يقوم على أن سورة القدر مدنية، وهو الأقوى والذى نرجحه، لأن سبب النزول المروى يؤكده، وهو ما ذكره الإمام مالك فى الموطأ أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول : إن رسول الله ﷺ أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته ألاّ يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر»..

ثم إن الصيام وقيام رمضان والتحرى لليلة القدر إنما كان فى العهد المدنى، فتكون هذه السورة تنبيهاً على عطية الله تعالى لأمة الإسلام، لقد منحها الله تعالى ليلة عظيمة القدر يتضاعف فيها ثواب العمل ويكثر فضل الله على عباده، ويعم الناس نور هذه الليلة وسناؤها..

والضمير المنصوب فى قوله «أنزلناه» يعود إلى النص القرآنى المنزل فى سورة القدر نفسها، فهو نزل فى شأن ليلة القدر التى هى ليلة العبادة والطاعة، على غرار ما جاء فى مفتتح سورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3]..

فالمراد بالسورة التى أنزلها الله هى سورة النور نفسها وليس كل سور القرآن المجيد..

وهذه الليلة الممنوحة من الله تعالى لأمة الإسلام هى خير فى ثواب الطاعة والعبادة من ألف شهر، أى خير من الحياة كلها إذا خلت هذه الحياة من تلك الليلة المباركة..

---

(١) سورة القدر: الآية (٤). (٢) سورة القدر: الآية (٥). (٣) سورة النور: الآية (١).

وتتنزل الملائكة فى ليلة القدر هذه يتقدمهم جبريل الأمين ينتشرون فى أرض الله يلتمسون مجالس العلم والذكر والدعاء، يسلمون على كل عبد قائم أو قاعد فى خشية من الله وضراعة إلى المولى سبحانه وتعالى..

وتظل هذه المنحة الإلهية حتى مطلع فجر تلك الليلة..

وقد يكون لتلك الليلة علامة يراها المؤمنون، وقد جاء فى صحيح مسلم أن الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها، وفى العام الذى أخبر الرسول الكريم بالتماسها فى العشر الأواخر ذكر أن من علامتها نزول المطر وسجوده ﷺ فى ماء وطين لكثرة المطر فى أرض المسجد النبوى، وتحقق ذلك.. ولا مانع أن تتراءى الملائكة بأنوارها لبعض القائمين والركع السجود، وحكى الإمام ابن حجر فى فتح البارى أن الإمام الطبرى اختار أن جميع ذلك غير لازم وأنه لا يشترط لحصولها رؤية شىء ولا سماعه..

ونعود فنؤكد أن ليلة القدر ليلتان :

ليلة القرآن والغار وهى ليلة غير متكررة ولا تلتمس ولا يتحراها أحد، وقد ارتبطت بحدث عظيم هو بدء نزول القرآن المجيد..

ليلة العبادة والطاعة وهى ليلة تتكرر كل عام فى شهر رمضان يتضاعف فيها ثواب الله على الطائعين، ونحن مطالبون بالتماسها وإحياء ليلها..

***

◆◆ البعد الروحى للأعياد

ارتبطت الأعياد فى الإسلام بمواقف مشهودة وعبادات جليلة، فعيد الفطر يرتبط بصيام شهر رمضان، وعيد الأضحى يرتبط بمناسك الحج وهناك يوم أسبوعى يشبه العيد يلتقى فيه المسلمون على صلاة جامعة هو يوم الجمعة، وقد أخرج أبو داود والنسائى بإسناد صحيح عن أنس قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : **«قد أبدَلَكم اللهُ بهما خيراً منهُمَا يوم الأضحَى ويوم الفطرِ»**..

وهكذا يتسامى المسلمون بالأعياد ويربطونها بأمجاد قدسية ويتحقق فيها البعد الروحى العميق ويكون لها من العموم والشمول ما يجعل الناس جميعاً يشاركون فى تحقيقها ويستشعرون آثارها المباركة ويعيشون أحداثها كلما مر الزمن وتجدد العيد، فليست الأعياد فى الإسلام ذكريات مضت أو مواقف خاصة لكبراء وزعماء بل كل مسلم له بالعيد صلة ودافع متجدد على مدى الحياة..

ويختص العيد فى الإسلام بالتكبير من كل المسلمين رجالاً ونساء و أطفالاً، من ليلة العيد إلى أن يدخل الإمام فى الصلاة، وسواء فى ذلك المساجد والمنازل والأسواق وغيرها، وإليه الإشارة بقوله تعالى فى آيات الصيام: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾[1]، ويقوله جل شأنه فى آيات الحج: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾[2]..

وذهب بعض الفقهاء إلى أن تكبيرات عيد الأضحى تستمر عقب الصلوات الفرائض إلى عصر اليوم الثالث من أيام التشريق..

ولأهمية هذا التكبير كان من هدى رسول الله ﷺ أن يذهب لصلاة العيد من طريق ويرجع من آخر حتى تتردد بين جنبات الكون تكبيرات المسلمين ويعمق فى نفس المسلم الشعور بعظمة المولى وجلال سلطانه..

كل ذلك يمنح المسلم البعد الروحى الذى يهب الطمأنينة والصحة النفسية ويحفظ الحياة الأسرية والاجتماعية..

***

◆◆ أثر صلاة العيد فى الصحة النفسية

من هدى رسول الله ﷺ أن يشارك المسلمون جميعاً فى حضور صلاة العيد حتى ولو لم يؤد البعض الصلاة لعذر شرعى، وتحدثنا أم عطية كما فى الصحيح فتقول : «أمرنا رسولُ الله ﷺ أن نُخرِجَهن فى الفطرِ والأضحَى العواتق والحُيَّض وذوات الخدور، فأما الحُيَّضُ فيعتزلن الصلاةَ ويشهدنَ الخيرَ ودعوةَ المسلِمين»..

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٥).　(٢) سورة الحج : الآية (٣٧).

والعواتق جمع عاتق وهى الفتاة التى لم تتزوج، وذوات الخدور هن السيدات المتزوجات..

ويصف لنا جابر بن عبدالله صلاة العيد مع الرسول الكريم ﷺ فيقول كما فى صحيح مسلم : «شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ يومَ العيدِ فبدأ بالصلاةِ قبلَ الخطبةِ بغيرِ أذانٍ ولا إقامةٍ، ثم قامَ متوكئاً على بلالٍ فأمرَ بتقوى الله وحثَّ على طاعتِهِ، ووعَظَ الناسَ وذكَّرهم، ثم مضَى حتى أتى النساءَ فوعظَهُنَّ وذكَّرهن فقال: تصدَّقْن فإن أكثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّم، فقامت امرأةٌ من واسطةِ النساءِ سفعاء الخَدَّين فقالت: لم يا رسولَ اللهِ؟ قال : لأنَّكُنَّ تُكثِرنَ الشكاة وتكفُرنَ العشِيرَ، فجعلنَ يتصدَّقْن من حليهن، يُلقِينَ فى ثوبِ بلالٍ من أقرطتهِنَّ وخواتمهِنَّ»..

إن الصورة الجماعية لصلاة العيد تمنح المسلم الهدوء النفسى فى التعامل مع بنى جنسه وتجعله يستشعر الرابطة المقدسة التى تجمعه ببنى الإنسان، والتى تحمله على التعارف والتعاون والتناصح، فيتفاعل المسلم مع مجتمعه تفاعلاً بالخير وللخير..

ثم إن خروج العواتق وهن الفتيات غير المتزوجات فى هذه المناسبة الطيبة المباركة يجعل الفتاة على ورع وتقوى ونقاء لأنها لم تخرج متبرجة ولا سافرة ولا عاصية ولا مثيرة للفتنة ولا لغرض مشبوه، وإنما خرجت مرضاة لله عزوجل وطلباً للصفاء الروحى، الأمر الذى يجعل بناتنا ونساءنا فى غبطة روحية واستقامة سلوك وطهارة عرض..

ولعل فى خروج الفتاة بهذا الوضع الكريم ولهذه الغاية النبيلة - فرصة للتعارف الأسرى ومطالعة رغبات النفس فى العفاف الشريف من أجل الزواج باسم الله وكلمته وأمانته..

ثم إن هذه التجمعـات وهذه اللقاءات إنما تتم فى بقعة مقدسة هى المسجد أو فى مصلى العيد وتتم فى إطار كلمة الخير والنصيحة المخلصة التى يؤديها خطيب العيد فى خطبتيه اللتين يوجههما إلى جماهير المسلمين والمسلمات فى هذا التجمع الحاشد..

فالنفوس مهيأة لقبول الحق، والمكان يغرى بحسن الاستماع، والزمان ملىء

بالفرح والغبطة لأداء فريضة الصيام، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «**للصائم فرحتان فرحةٌ عند فطرهِ وفرحةٌ عندَ لقاءِ ربِّهِ**»..

فالفرحة عند الفطر هى فرحة التوفيق لأداء هذه الفريضة والإعانة عليها والفرحة عند لقاء الله تعالى لكثرة الثواب الذى يتفضل الله تعالى به على عباده الصائمين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..

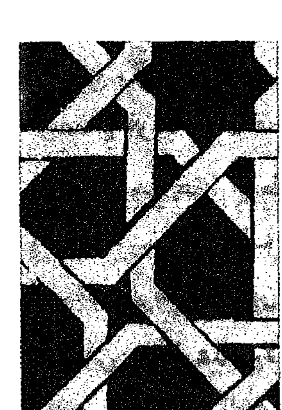
وفى وسط هذه الأجواء الروحية العميقة تنطلق الألسنة معبرة عن خلجات النفس المؤمنة بالدعاء الضارع إلى الله عزوجل بخيرى الدنيا والآخرة..

والدعاء هو لون من الأمل الذى تحيا به النفوس، بل هو عند النفس المؤمنة انتصار على كل المعوقات المادية، والتجاء إلى من بيده ملكوت كل شىء، وهو الله الكبير المتعال الذى لا تنفد خزائنه ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء..

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1]..

***

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٦).



٢ فتـــاوى فـى الصـــوم وآدابـــه

◆◆ ١ ـ صيـــام المريـــض

س : سيدة مصابة بارتفاع ضغط الدم والتهاب مزمن فى الكليتين ومع ذلك تصر على الصيام رغم نصيحة الأطباء لها بالفطر.. فما رأى الدين فى ذلك؟

***

ج : دين الله يسر، وشرع الله منوط بمصلحة الإنسان، والتكاليف الإلهية مرتبطة بوسع الإنسان.. قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(١)، وقال عليه الصلاة والسلام ـ كما فى الصحيح: «مانهيتُكم عنه فاجتنِبُوه وما أمرتُكم به فأتُوا منه ما استطَعتُم»..

وليس من حكمة الصوم العسر على الناس والعنت بهم، ولو قرأنا آيات الصيام فى سورة البقرة لوجدنا هذا المعنى واضحاً جلياً، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(٢)..

وطالما أن هذه السيدة قد نصحها الطبيب المسلم الثقة بالفطر لأنها تعانى أثناء صيامها وتصل إلى درجة خطيرة فإننا ننصح هذه السيدة بالتخلى عن الصيام، وبضرورة الفطر حتى لا تقع تحت طائلة هذه الآية: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(٣)..

وأمامها أحد أمرين :

إن كان يرجى شفاؤها قبل حلول رمضان التالى فلتصم عند الشفاء قضاءً عما فاتها من أيام..

(١) سورة البقرة : الآية (٢٨٦) . (٢) سورة البقرة : الآية (١٨٥). (٣) سورة البقرة: الآية (١٩٥) .

وإن كان المرض ملازماً لها فعليها أن تخرج فديةً طعام مسكين وهى نصف قدح من غالب قوت البلد عن كل يوم، أو قيمة ذلك نقداً، ولتعلم السيدة الفاضلة أن نية المؤمن أبلغ من عمله، فلها ثواب نيتها و ندعو الله تعالى لها بالشفاء..

***

◆◆ ٢ ـ الوصال فى الصوم

س : سمعت جماعة من الشباب يتحدثون عن الوصال فى الصوم ولم أفهم ما يقصدون، فماذا يعنى الوصال فى الصوم؟ وما حكمه؟

***

ج : شرع الله تعالى الصوم نهاراً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وأباح الفطر ليلاً، وكان هدى رسول الله ﷺ تعجيل الفطر وتأخير السَحور، ليكون ذلك عوناً للصائم وأقوى له على أداء عبادة الصوم بنشاط، وحتى تتواصل مسيرة الحياة كسباً للرزق وضرباً فى الأرض وابتغاء لفضل الله..

ومن هنا كان النهى الشرعى عن الوصال بمعنى صوم يومين فأكثر من غير أكل وشرب بينهما..

ولكن رسول الله ﷺ واصل فى بعض صيامه فاقتدى به الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ فنهاهم المصطفى الكريم عن الاقتداء به فى الوصال لأنه مقام يصعب الالتزام به ويشق على الناس، وكان رسول الله رفيقاً بأمته رحيماً بهم..

فجاء فى صحيح الحديث عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ : **«أن النبىَّ ﷺ نَهَى عن الوصال، قالوا : إنك تُواصِلُ، قال : إنى لستُ كهيئَتِكُم إنى أُطْعَمُ وأُسْقَىَ»**، وفى رواية : **«وأيُّكُم مثلِى إنى أَبِيتُ يُطعِمُنى رَبِّى ويسقِينِى»**..

والمعنى أن الله تعالى يجعل له قوة ومقدرة على الوصال كقوة الطاعم الشارب، وليس على ظاهره من أنه ﷺ يأكل ويشرب وإلا ما كان مواصلاً..

ولما لم يتراجع المسلمون عن الوصال نهاهم الرسول ﷺ بتجربة عملية..

ففى صحيح الحديث : **«فلمَّا أَبَوا أن ينتَهُوا عن الوصال، واصَلَ بهم يوماً ثم**

يوماً ثم رأوا الهلالَ، فقال : لو تأخَّرَ الهلالُ لزدتكم، كالمنكل لهم حين أَبَوا أن ينتهُوا»..

والمعنى أن الرسول الكريم ﷺ واصل بهم يومين فى آخر الشهر ثم ظهر الهلال وانتهى صوم رمضان فأخبرهم المصطفى أنه أراد أن يثبت لهم عملياً المفسدة المترتبة على الوصال وهى الملل من العبادة والتعرض للتقصير فى بعض المأمورات الشرعية والواجبات الاجتماعية..

فالعبادة إنما تكون على قدر وسع الإنسان وفى حدود المستطاع ومن غير إرهاق يعقبه الملل.. وخير الأعمال أدومها وإن قل..

***

◆◆ ٣ ـ الإفطار قبل الغروب

س : سمعت أذان المغرب من الإذاعة فتناولت طعام الإفطار ثم علمت أنه من إذاعة أجنبية ولم يكن الوقت قد حان فى البلد الذى أقيم فيه.. فما رأى الدين؟

***

ج : يتحقق الصوم بالإمساك عن المفطرات بنية التعبد من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، قال الله تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[1]..

وفى صحيح الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أقبلَ الليلُ وأدبرَ النهارُ وغابت الشمسُ فقد أفطرَ الصائمُ»..

وعلى المسلم أن يتحرى معرفة طرفى النهار يقيناً أو ظناً غالباً حتى تصح عبادته، فمن أفطر ظاناً أن النهار قد انقضى وأن غروب الشمس قد تحقق ثم ظهر له خلاف ذلك وجب عليه أن يقضى يوماً آخر عوضاً عنه بعد شهر رمضان..

فالسائل الكريم الذى سمع أذاناً للمغرب من الإذاعة وحسبه أذان التوقيت المحلى للبلد الذى يقيم فيه فأفطر ثم علم أنه أذان لدولة أخرى فقد فسد صومه لأنه تناول مفطراً قبل غروب الشمس وعليه قضاء يوم آخر، ولا إثم عليه..

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٧) .

كذلك فإن من تسحر ظاناً بقاء الليل ثم تبين له طلوع الفجر وأن سحوره وقع نهاراً وجب عليه أن يقضى يوماً آخر لفساد صوم يومه من رمضان وعليه أن يظل ممتنعاً عن المفطرات بقية يومه لأن لشهر رمضان حرمة خاصة فلا يجوز انتهاكها..

وهذا كله بخلاف الناسى الذى أكل أو شرب ناسياً فى نهار رمضان فإن صومه صحيح ولا قضاء عليه لقول رسول الله ﷺ: «مَن نَسِيَ وهو صائمٌ فأكلَ أو شَرِبَ فليُتِمَّ صومَهُ فإنما أطعمَهُ اللهُ وسقَاهُ»..

***

◆◆ ٤ ـ صيام يوم العيد

س : هل يجوز صوم يوم العيد؟

***

ج : للمسلمين عيدان، عيد الفطر وهو أول أيام شهر شوال، ويعقب فريضة الصيام فى شهر رمضان، وعيد الأضحى وهو العاشر من ذى الحجة، وقد جاء فى صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «جاءَ يومَ العيدِ فصلّى ثم انصرفَ فخطبَ الناسَ فقال : إن هَذين يومان نهى رسولُ الله ﷺ عن صيامِهِمَا، يومُ فطرِكُمْ من صيامِكُم والآخرُ يومٌ تأكلُون فيه نُسُككُم»..

فيحرم صيام يوم عيد الفطر ليناسب انقضاء الفريضة ولهذا كان رسول الله ﷺ: «إذا خَرَجَ لصلاةِ عيدِ الفطرِ أكَلَ تمراتٍ قبلَ أن يخرُجَ، ليقطَعَ أثرَ الصومِ»..

كذلك يحرم صيام يوم النحر لأن فيه نسكاً وهو الأضحية فناسب أن يأكل الناس ويتصدقوا، ولهذا امتد التحريم من يوم النحر إلى أيام التشريق الثلاثة بعده، وجاء فى صحيح مسلم عن كعب بن مالك : «أن رسولَ اللهِ ﷺ بعثَهُ وأوس بن الحدَثَان أيام التشريق فنادَى أنه لا يدخلُ الجنةَ إلا مؤمنٌ، وأيامُ منى أيام أكلٍ وشُربٍ»..

وسميت هذه الأيام بأيام التشريق لأن الناس كانوا ينشرون اللحم فى الشمس لتقديدها حتى يطول الانتفاع بها..

والتقرب إلى الله تعالى يكون بما شرع وليس للإنسان أن يخترع فى العبادات وطالما ورد النهى عن الصيام يومى العيدين فيلزم الامتناع عن الصيام، ومن أراد أن يتقرب إلى الله عزوجل فأبواب القرب كثيرة من ذكر وقراءة قرآن وصلاة وصدقة وغير ذلك..

وقد قال عليه الصلاة والسلام : «إنَّ بكُلِّ تسبيحَةٍ صَدَقَة، وبكُلِّ تكبيرةٍ صَدَقَة، وكل تَحمِيدَةٍ صَدَقَة، وكل تهليلَةٍ صَدَقَة، وأمر بالمعروفِ صدقةٌ، ونهى عن منكر صدقةٌ، وفى بُضعِ أحدِكُم صدقةٌ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، أيأتِى أحدُنا شهوتَهُ ويكونُ له فيها أجرٌ، قال : أرأيتم لو وَضَعهَا فى حرامٍ أكانَ عليهِ وِزرٌ، فكذلك إذا وضَعَهَا فى الحلالِ كانَ له أجرٌ»..

***

◆◆ ٥ ـ بركة السحور

س : ما هى بركة السحور التى أشار إليها الحديث الشريف : «تسحَّروا فإن فى السحور بركة»؟

***

ج : السُّحور ـ بالضم ـ اسم للفعل أى الإعداد والحركة وتهيئة الطعام فى وقت السحر، والسَّحور ـ بالفتح ـ الطعام المأكول ذاته فى هذا الوقت..

والحديث الشريف رواه مسلم فى صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ: «تسحَّروا فإن فى السحور بركة»، ويقرأ بالروايتين، فعلى رواية الضم يكون المعنى أن وقت السحر وهو ما يقع قبل طلوع الفجر وقت بركة تتجلى فيه رحمة الله تعالى على عباده ويكون المسلم متهيأ لقبول هذه النفحات بالذكر والصلاة والدعاء والاستغفار.. قال تعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]..

وعلى رواية الفتح يكون المعنى أن الطعام الذى يتناوله المسلم فى هذا الوقت من الليل يساعده على النشاط خلال يوم صيامه فيقل شعوره بالجوع والعطش فيكون ذلك أقوى له..

(١) سورة الذاريات : الآية (١٨).

ومن هنا جاء قول رسول الله ﷺ فى الصحيح : «إنَّ بلالاً يؤذنُ بليلٍ **فكلُوا واشربُوا حتى تسمَعُوا تأذينَ ابنِ أُمِّ مكتومٍ**»..

فكان على عهد رسول الله ﷺ مؤذنان، أحدهما بلال ينبه الناس قبل طلوع الفجر إلى قرب الوقت، فإذا حان الوقت أذن ابن أم مكتوم، وكان الناس يعرفون الصوتين ويميزون بينهما..

وجاء فى بعض الروايات : «**ولم يكُنْ بينَهُمَا إلا أن ينزلَ هذا ويرْقَى هذَا**»..

ولا يعنى هذا النص أنه لم يكن بينهما فرق زمنى وإلا ما صح قول رسول الله ﷺ: «**فكلُوا واشرَبُوا**»، ولكن المراد أن بلالاً رضي الله عنه كان يؤذن قبل الفجر ثم يظل يراقب طلوع الفجر فى موضعه حتى يحين فينزل فيخبر ابن أم مكتوم رضي الله عنه فيتأهب بالطهارة ثم يرقى ويشرع فى الأذان مع أول طلوع الفجر..

وقد جاء فى فضل السحور قوله ﷺ : «**فَصْلُ ما بينَ صيامِنَا وصيامِ أهْلِ الكِتابِ أكْلَةَ السحرِ**»..

وتأخير طعام السحر مندوب إليه شرعاً، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : «**تسحَّرْنَا مع رسولِ الله ﷺ ثم قُمْنَا إلى الصلاةِ، قلتُ: كم كانَ قدرُ ما بينَهُمَا؟ قال : خَمِسينَ آيةً**»..

***

◆◆ ٦ ـ مكياج المرأة فى رمضان

س : ما رأى الدين فى استعمال المساحيق وأدوات التجميل للمرأة فى نهار رمضان؟

***

ج : شهر رمضان فترة زمنية يتمتع فيها المسلم بالصفاء الروحى والتشبه بالملأ الأعلى ويتجرد فيها أو يتخفف من مطالبه المادية، فهو يمسك عن الطعام والشراب والمباشرة الزوجية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس احتساباً لوجه الله العظيم، قال عليه الصلاة والسلام فى صحيح الحديث : «**كُلُّ عملِ ابنِ آدمَ يُضَاعَفُ، الحسنةُ عشرُ أمثالِها إلى سبعِمَائةِ ضِعْفٍ، قال اللهُ عزوجل: إلا الصوم فإنَّهُ لِى وأنا أَجْزِى بِهِ يَدَعُ شهوَتَهُ وطَعَامهُ من أَجْلِى**»..

وهذا التجرد أو التخفف من الماديات ومطالب الشهوة مطلب شرعى مقصود، وقد أقسم أبو القاسم عليه الصلاة والسلام على أن تغير رائحة فم الصائم تكون نكهتُهُ فى الآخرة أطيب من المسك فقال: «والذِى نَفسُ مُحمَّدٍ بيدِهِ لخلفة فَمِ الصائِمِ أطيَبُ عندَ اللهِ من رِيحِ المِسْكِ»..

وعلى هذا فإن المرأة المسلمة التى تدع ضروريات الحياة من مأكل ومشرب فترة زمنية امتثالاً للأمر الإلهى لاتجد حرجاً أو ضيقاً نفسياً فى أن تهجر المغالاة فى التجميل أو استعمال المساحيق مراعاة لأدب الصيام وحرمة الوقت واستشعاراً لجلال الفريضة..

إلا أن التنبيه الذى يجب أن يكون معلوماً للجميع هو أن تجمل المرأة إنما يكون خاصاً لزوجها وأمام المحارم فقط.. فإن هى خالفت وأظهرت زينتها أمام الرجال الأجانب فقد ارتكبت معصية ومخالفة لأمر الله تتضاعف هذه المخالفة إذا كانت فى شهر رمضان المعظم.. ومن هنا نفهم حديثاً لرسول الله ﷺ يقول فيه : «مَنْ لَمْ يَدَع قَولَ الزُورِ والعَمَلَ بِهِ فليسَ لِله حاجَةٌ فِى أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ»..

فالزور قولاً وعملاً يشمل المعاصى كلها، والمسلم حريص على اغتنام الفرص والنفحات الإلهية ليسعد فى الأولى والآخرة..

والله ولى التوفيق..

***

◆◆ ٧ ـ القبلة للصائم

س : ما حكم القبلة للصائم؟

***

ج : ثبت فى صحيح الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقبل إحدى نسائه وهو صائم، ولا خلاف بين العلماء فى أنها لا تبطل الصوم ما لم ينزل، واحتجوا لذلك بحديث مشهور فى السنن وهو قوله عليه الصلاة والسلام : «أرأيت لو تمضمضت»، ومعنى الحديث أن المضمضة مقدمة الشرب وهى لا تفطر فكذلك القبلة مقدمة للجماع وهى لا تُفطر..

وقد جاء فى روايات عائشة ـ رضى الله عنها ـ : «وأيُّكم يملِكُ أربَهُ كما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَملِكُ أربَهُ»..

وقد فهم العلماء من معنى كلام أم المؤمنين عائشة أنه ينبغى الاحتراز عن القبلة لأن رسول الله ﷺ يملك نفسه ويأمن الوقوع فى قبلة يتولد منها إنـزال أو شهوة أو هيجان نفسى، ونحن لا نأمن ذلك..

ومن هنا فالقبلة جائزة للشاب وللشيخ الكبير ما لم تحرك ساكناً كأن تكون قبلة وداع أو استقبال أو شفقة، فإن أثرت فى النفس وأثارت فقد دخلت فى المحظورات، وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ حَامَ حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أن يَقَعَ فيهِ»..

فإن صحبها إنزال فقد بطل الصوم.. وعليه أن يمسك بقية يومه لحرمة الوقت ثم يقضى يوماً آخر بعد شهر رمضان..

وشأن المسلم الصادق أن يتم عبادته ولا يحبط عمله، وإن إفطار يوم من رمضان لا يعوضه صيام الدهر.. والصيام جنة أى وقاية تقى المسلم من خطرات السوء ونزغات الإثم..

والله هو الهادى إلى سواء الصراط..

***

◆◆ ٨ ـ حبس الشياطين فى رمضان

س : هل صحيح أنه فى رمضان تحبس الشياطين؟ ولماذا تقع المعاصى إذن خلال هذا الشهر الكريم؟

***

ج : شهر رمضان عظمه الله ورسوله، فقال جل شأنه : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾(١)..

وجاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إذا جَاءَ رمضانُ فُتِحت أبوابُ الجنةِ وغُلقت أبوابُ النارِ وصُفدت الشياطِينُ»..

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٥).

ومعنى هذا الحديث أنه خلال هذا الشهر الكريم يفتح الله تعالى على عباده من الطاعات والخيرات ما يكثر خيرها ويعظم ثوابها حتى يدخل الصائمون القائمون الجنة وينعموا بفضل الله عليهم..

ويكف الناس عن كثير من المخالفات، وتتربى فيهم ملكة الإرادة المؤمنة والمراقبة لحدود الله عزوجل فلا يقعون فى المعاصى التى تقودهم إلى النار، فالمسألة مرتبطة بفضل الزمان فى شهر رمضان، ومضاعفة الثواب للعمل الصالح، واتجاه كثير من المؤمنين إلى الإقلاع عن المخالفات..

ومما يؤكد أن المراد بتفتيح أبواب الجنة هو المعنى المجازى ما جاء فى رواية أخرى صحيحة : «**إذا جاءَ رمضَانُ فُتحت أبوابُ الرَّحمَةِ**»..

وتصفيد الشياطين أو وضعهم فى سلاسل قد نفهمه على المعنى المجازى الذى أشرنا إليه بمعنى انكفاف الناس عن المعاصى، وقد نفهمه على حقيقته، ولكن ليس مراداً به جميع الشياطين بدليل الرواية الأخرى «**صُفدت مَرَدَةُ الشياطِين**»، أى المتمردون منهم..

ومما ينبغى ذكره أن الإنسان مسئول عن سلوكه مسئولية كاملة، وأن عوامل المعصية ترجع إلى الإنسان والبيئة الفاسدة، أما الشيطان فهو عامل إغراء فقط وليس هو كل أسباب المعصية، وسيتبرأ الشيطان من الإنسان يوم القيامة ويتحمل الإنسان مسئوليته و حده.. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]..

***

◆◆ ٩ ـ غسل الجنابة

س : إذا أصبح الإنسان جنباً وأراد أن يصوم فهل يصح صومه من غير غسل؟

***

(١) سورة إبراهيم : الآية (٢٢).

ج : هذا السؤال وقع بشأنه جدل فى ولاية مروان على المدينة فى خلافة معاوية، خلاصته أن أبا هريرة كان يحدث : «مَن أدركَهُ الفجرُ جُنُباً فلا يَصُمْ»، فأنكروا عليه يومئذ، وذهبوا إلى السيدة عائشة والسيدة أم سلمة ـ رضى الله عنهما ـ فكلتاهما قالت : «كان النبىُّ ﷺ يُصبحُ جُنُباً من غير حُلُم ثم يصومُ»، فرجع أبو هريرة رضي الله عنه عن التحديث بذلك..

فالصيام فى مفهومه الشرعى هو الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله عزوجل، ولا يشترط له الطهارة..

وقد أباح الله تعالى الأكل والشرب والمعاشرة الزوجية إلى طلوع الفجر فقال: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[1]..

ومعلوم أنه إذا جاز الجماع إلى طلوع الفجر لزم منه أن يصبح الإنسان جنباً ويصح صومه لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[2]..

وفى الصحيح عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ يستفتيه وهى تسمع من وراء الباب، فقال يا رسول الله: «تدركنى الصلاةُ وأنا جنبٌ فأصومُ فقال عليه الصلاة والسلام: وأنا تُدركُنى الصلاةُ وأنا جنبٌ فأصومُ، فقال الرجلُ: لست مثلَنا يا رسولَ الله قد غفرَ اللهُ لك ما تقدمَ من ذنبِكَ وما تأخرَ، فقال ﷺ: والله إنى لأرجُو أن أكونَ أخشاكُم للهِ وأعلمكُم بما أتّقى»..

وقد وجه العلماء موقف أبى هريرة السابق فى فتواه بعدم صحة الصيام لمن أصبح جنباً بأنه محمول على من أدركه الفجر معاشراً لزوجته فاستمر بعد طلوع الفجر فإنه يفطر ولا يصح صومه لأنه فعل مفطراً فى وقت يجب الإمساك فيه..

أو أن هذه الفتوى كانت فى صدر الإسلام عندما كان الطعام والشراب محرماً بعد النوم مطلقاً طلع الفجر أو لم يطلع ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[3]، فكان أبو هريرة يفتى بما علمه حتى بلغه الناسخ فرجع إليه..

والله أعلم..

---

(١)، (٢) سورة البقرة : الآية (١٨٧).

(٣) سورة البقرة : الآية (١٨٧).

◆◆ ١٠ ـ معجون الأسنان

س : ما حكم استعمال السواك ومعجون الأسنان فى نهار رمضان؟

***

ج : من هدى رسول الله ﷺ استعمال السواك آناء الليل وأطراف النهار، فهو سنة مستحبة فى جميع الأوقات..

وفى صحيح الحديث عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «**كان النبىُّ ﷺ إذا دخلَ بيتَه بدأ بالسواك**» وذلك لما قد يعلق بالفم من آثار الطريق..

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «**كان رسولُ الله ﷺ إذا قامَ من الليلِ ليتهجَّدَ يشوصُ فاهُ بالسواكِ**» أى يدلك أسنانه بالسواك إزالة لآثار النوم...

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**لولا أن أشقَّ على أُمَّتى لأمرتُهُم بالسواكِ عندَ كُلِّ صلاةٍ**»..

وتحصل السنة بكل مزيل للصفرة من الأسنان سواء كان عوداً من شجر الأراك أو غيره، أو الفرشاة المعروفة حالياً فالمقصود هو نظافة الأسنان حتى يظل المسلم طيب الرائحة كريم النفس سليم البدن..

وذهب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى إلى أن السواك يكره للصائم بعد زوال الشمس لئلا يزيل رائحة التغير التى تحصل عند خلو المعدة فى ذلك الوقت، لخبر الصحيحين، «**لخلوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ من ريحِ المسكِ**».

والخلوف هو تغير فم الصائم، وإنما يكون هذا التغير بعد الزوال لحديث: «**أُعطِيَت أمتى فى رمضان خمساً، ثم قال: والثانية فإنهم يُمسون وخُلوفُ أفواهِهِم أطيبُ عندَ اللهِ من رِيحِ المسكِ**». والمساء بعد الزوال، وأطيبية الخلوف تدل على طلب بقائه إلى وقت الغروب.

وذهب فريق من العلماء إلى نفى هذه الكراهة، وبقاء الحكم العام وهو الاستحباب فى كل وقت لأن خلفة فم الصائم تنشأ من خلو المعدة، وهى باقية ببقاء الصوم ولا علاقة للسواك بها.

أما استعمال معجون الأسنان فى نهار رمضان فينبغى الحذر عند استعماله حتى لا يتسرب شىء منه إلى الجوف، كما هو الحال فى مضمضة الوضوء، فإن وصل شىء من المعجون إلى الجوف بطل الصوم، ويجب الإمساك بقية اليوم لحرمة الوقت، وقضاء يوم آخر بعد رمضان..

◆◆ ١١ ـ فرضيـة الصيـام

س : هل كان هناك صيام للمسلمين قبل فرض صيام رمضان؟

***

ج : الصيام عبادة قديمة عرفتها معظم شعوب الأرض وكتبتها رسالات الوحى الإلهى إلى البشر، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١)، والتشبيه إما واقع على الفرضية أو الوقت أو الكيفية أو المقدار..

وأجمع المسلمون على أن صيام شهر رمضان لم يفرض على المسلمين إلا فى العام الثانى للهجرة.. وقبل ذلك كانوا يصومون أياماً متفرقة مثل ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء وهو العاشر من المحرم، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن صيامه كان واجباً فى أول الأمر فلما فرض صيام شهر رمضان أصبح صيام عاشوراء سنة ومستحباً.. وقد جاء فى صحيح مسلم أن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «**كانت قريشٌ تصومُ عاشوراءَ فى الجاهليةِ وكانَ الرسولُ ﷺ يصومُهُ فلما هاجرَ إلى المدينةِ صامه وأمرَ بصيامِهِ فلمَّا فُرِضَ شهرُ رمضانَ قال مَنْ شاءَ صامَه ومَنْ شاءَ تَرَكَهُ**»..

وقد اهتم الرسول ﷺ بصيام عاشوراء، وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ **يأمرُنا بصيامِ عاشوراء و يحثُّنا عليه و يتعاهدُنا عنده**..

بل بلغ من حرص الرسول الكريم ﷺ على هذا اليوم أن أرسل غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التى حول المدينة من يقول لهم : «**من كان أصبحَ صائِماً فليُتِمَّ صومَهُ ومَنْ كانَ أصبحَ مُفْطِراً فليُتِمَّ بقيةَ يومِهِ**»..

وذلك كله لأن الصوم عبادة خالصة لله لا يشوبها رياء ولا يطلع عليها إلا علام الغيوب وفيها تشبه بالملأ الأعلى، ولهذا حظى الصوم بمضاعفة الثواب مضاعفة لا يعلمها إلا الله، قال المصطفى الأمين : «**كُلُّ عَملِ ابنِ آدمَ يُضاعَفُ الحسنةُ عَشرُ أمثالِهَا إلى سبعمائةِ ضِعفٍ، قال اللهُ عزوجل: إلا الصوم فإنَّهُ لِى وأنا أجزِى بِهِ يَدَعُ شهوَتَهُ وطَعَامَهُ من أجلِى**»..

هـــذا وبالله التوفيـــق..

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٣).

◆◆ ١٢ ـ أصحاب الأعمال الشاقة

س : ما حكم الصيام بالنسبة للذين تقتضيهم ظروف العمل الوقوف أمام الأفران المرتفعة الحرارة؟!

***

ج : قال الله تعالى :﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(١)، وقال ﷺ كما فى صحيح الحديث: «ما نهيتُكمْ عنه فاجتَنِبُوه وما أمرتُكم به فأتُوا منه مَا استطعتُمْ»، وقد قال العلماء إن من غَلَبَه الجوع والعطش له حكم المريض فى جواز الفطر أو وجوبه تبعاً للحالة التى هو فيها.. وليس من مقصود الصيام العسر على الناس والمشقة بل هو مدرسة للتهذيب والأخلاق وحرمان مشروع لمعان سامية نبيلة، ولهذا ثبت فى صحيح الحديث أن الناس شق عليهم الصيام عام فتح مكة فدعا رسول الله ﷺ بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب، فقيل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام فقال : أولئك العصاة أولئك العصاة..

وفى صحيح مسلم عن أنس قال: «كنا مع النبى ﷺ فى السفر فمنا الصائمُ ومنا المُفطِرُ، قال: فنزلنا مَنزلاً فى يوم حار أكثَرُنا ظلاً صاحبُ الكساءِ ومنا من يَتَّقِى الشمسَ بيدِهِ قال: فسقَطَ الصُّوَّامُ و قامَ المُفطِرُونَ فضربوا الأبنِيةَ و سقوا الركاب فقال عليه الصلاة والسلام: ذَهَبَ المُفطِرُون اليومَ بالأَجْرِ»..

ومن هذا المنطلق الإنسانى نقول إن الذين تقتضيهم ظروف العمل الوقوف أمام الأفران المرتفعة الحرارة أو يعملون أعمالاً لا يمكن أداؤها وهم صائمون ولا يمكن تأجيلها أو تخفيفها لمصلحة عامة أو خاصة جاز لهم الفطر و عليهم القضاء من أيام أخر ولا تسقط عنهم الفريضة بل عليهم أن يتحينوا الوقت المناسب لإبراء ذمتهم قبل حلول رمضان التالى، وكل إنسان أدرى بمصلحته وبما ينفعه فى دينه ودنياه.

وكل إنسان لديه حاسة يمكن بها أن يتعرف عذره..

والله لا تخفى عليه خافية..

***

(١) سورة الحج : الآية (٧٨).

◆◆ ١٣ ـ المتوفى وعليه صيام

س : كان زوجى مريضاً خلال شهر رمضان ثم توفاه الله، فماذا أفعل له عن الأيام التى أفطرها من رمضان؟

***

ج : شرع الله تعالى منوط بوسع الإنسان، كما قال جل شأنه: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(١)، والصوم مرتبط بالقدرة على الإمساك عن الطعام والشراب، فالمريض الذى يحتاج إلى تناول الأدوية بانتظام فى مواعيد محددة، أو يشق عليه الصوم يجوز له الفطر وعليه قضاء أيام بعد رمضان بقدر ما أفطر.. قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(٢)..

والزوج الذى كان مريضاً خلال شهر رمضان مرضاً يمنعه من الصيام لا إثم عليه حين أفطر، وحيث إنه قد توفاه الله تعالى قبل قضاء ما عليه فيمكن لزوجته أن تصوم عنه بعدد الأيام التى أفطرها، ولها أن تخرج بدل الصيام إطعام مسكين عن كل يوم، بقدر نصف قدح من غالب قوت البلد، أو قيمة ذلك نقداً..

ومسألة الصيام عن الميت جاء فيها أحاديث كثيرة، منها ما خرجه مسلم فى صحيحه عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : «من ماتَ وعليهِ صيامٌ صَامَ عنه وَلِيُّه»..

والمراد بالولى القريب سواء كان وارثاً أوغير وارث، ولو صام عنه أجنبى صح بإذن الولى وإلا فلا يجزئ..

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ «أن امرأةً أتَت رَسُولَ اللهِ ﷺ فقالت: إن أُمّى ماتَت وعليها صومُ شهرٍ، وفى رواية: صومُ نَذرٍ، أفأصومُ عنها؟ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: أرأيتِ لو كانَ على أُمّكِ دينٌ أكنتِ تقضينَه؟ قالت: نعم، قال: فدَينُ اللهِ أحَقُّ بالقضَاءِ»، وفى رواية: قال: «فصومِى عن أُمّكِ»..

***

(١) سورة البقرة : الآية (٢٨٦) .
(٢) سورة البقرة : الآية (١٨٥) .

◆◆ ١٤ ـ نيـة الصـوم

س : لم أعلم بثبوت رؤية هلال رمضان إلا بعد الفجر فنويت الصيام لليوم الأول من الشهر فهل صيام هذا اليوم صحيح؟..

ج : صيام رمضان أحد أركان الإسلام، والصيام عبادة يشترط فيها النية للتمييز بين الفرض والنفل وبين الأداء والقضاء.. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمالُ بالنياتِ وإنمَا لِكُلّ امرئٍ ما نَوَى»..

والمسلم الذى فوجئ بثبوت رؤية هلال رمضان بعد الفجر ثم نوى الصيام لا ينعقد صومه عند جمهور العلماء لأنهم يشترطون تبييت النية من الليل والواجب عليه أن يمسك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات طوال اليوم لحرمة الوقت فلشهر رمضان حرمة خاصة ثم يقضى هذ اليوم بعد انتهاء رمضان..

وهذا الحكم لليوم الأول من شهر رمضان يختلف عن حكم من استيقظ أثناء الشهر بعد طلوع الفجر فإنه يكون صائماً و صيامه صحيح لأن له عهداً بالصيام، ونيته معقودة على إكمال الشهر، وقد يكون هيأ طعام سحوره ثم غلبه النوم فذلك لا يؤثر على عقد نيته وصومه صحيح ـ ولا إعادة عليه..

والله أعلى وأعلم..

***

◆◆ ١٥ ـ صيـام يـوم عرفـة

س : ما فضل صيام يوم عرفة؟

***

ج : من الأيام التى أفردها الرسول ﷺ بالصيام صيام يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذى الحجة، وفى فضله جاء الحديث الشريف كما فى صحيح مسلم: «صيامُ يومِ عَرَفَة أحتَسِبُ على الله أن يُكفِّرَ السنةَ التى قَبلَه والسنةَ التى بعدَهُ، وصيامُ يومِ عاشوراء أحتسِبُ على اللهِ أن يُكفِّرَ السنةَ التى قَبلَهُ»..

والمراد بتكفير الذنوب هى الصغائر أما الكبائر فلابد من التوبة منها، وأما حقوق العباد فلابد من ردها أو مسامحتهم..

وصيام يوم عرفة يستحب على وجه التأكيد لغير الحاج ليكون الجميع وقوفاً على باب الرحمة والمغفرة، هذا بحجه وذاك بصومه..

ولا يستحب صيام هذا اليوم للحاج فالأولى له الفطر لأنه أرفق به فى آداب الوقوف ومهمات المناسك.. وتحكى أم الفضل بنت الحارث امرأة العباس بن عبدالمطلب: «**أن نَاساً تمارَوا عندَها يومَ عرفةَ فى صيامِ رسولِ الله ﷺ فقال بعضُهم: هو صائمٌ، وقال بعضُهم: ليسَ بصائمٍ، فأرسلَت إليهِ بقَدَحِ لبنٍ وهو اقِفٌ على بعيرِهِ بعرفَةَ فشرِبَهُ**» وفى رواية: «**فشربَ مِنهُ والناسُ ينظُرُونَ إليهِ**»..

وليكن معلوماً أن الأيام العشر الأوائل من ذى الحجة فترة زمنية مباركة يستحب فيها الإكثار من الطاعات والخيرات، وقد قال عليه الصلاة والسلام ـ كما رواه البخارى : «**مَا مِن أيامِ العملُ الصالحُ فيها أفضلُ منه فى هذِه العشرِ ـ يعنى العشرَ الأوائلَ من ذِى الحجةِ ـ قالوا : و لا الجهادُ فى سبيلِ اللهِ؟ قال : ولا الجهادُ فى سبيلِ اللهِ إلا رجلٌ خرجَ بنفسِهِ ومالِهِ ثم لم يَرْجِعْ من ذَلِكَ بِشَىءٍ**»..

***

◆◆ ١٦ ـ الصيام فى غير رمضان

س : هل ورد حديث صحيح بشأن صيام ثلاثة أيام من كل شهر عربى؟ وما حكمة ذلك الصيام فى غير رمضان؟

***

ج : الصيام عبادة فيها نبل إنسانى وتشبه بالملأ الأعلى، والصوم يربى الإرادة الطاهرة ويغرس فى النفس شعور المراقبة لحدود الله، فالصوم جنة أى وقاية تقى الناس مهالك الشرور والشهوات..

وقد كان رسول الله ﷺ يكثر من الصيام مطلقاً بلا تقيد بزمن معين حتى قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ كما فى صحيح مسلم ـ : «**كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يصومُ حتى نقولَ لا يُفطِرُ، ويُفطِرُ حتى نقولَ لا يصومُ**»..

فالمسألة راجعة إلى انشراح الصدر للعبادة والإقبال على الطاعة بلا ملل أو فتور..

وقد دار حوار طريف بين الرسول ﷺ وعبدالله بن عمرو بن العاص و خرجه مسلم فى صحيحه، قال : «أُخبِرَ رسولُ الله ﷺ أن عبدَالله بن عمرو يقولُ لأقومَنَّ الليلَ ولأصومَنَّ النهارَ ما عِشْتُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : أنتَ الذِى تقولُ ذلك؟ قال عبدُالله بن عمرو: قد قُلتُهُ يا رسولَ اللهِ، فقال رَسولُ الله ﷺ: فإنَّك لا تستطِيعُ ذلك، فصُمْ وأفطِرْ، ونَمْ وقُمْ، وصُمْ من الشهرِ ثلاثةَ أيَّام فإنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالِهَا وذلك مثلُ صيامِ الدهرِ..

قال ابن عمرو: فإنِّى أُطِيقُ أفضَلَ من ذَلِكَ، قال الرسولُ الكريمُ ﷺ : صُمْ يوماً وأفطِرْ يومَين، قال ابنُ عمرو: فإنِّى أُطِيقُ أفضلَ من ذلك يا رسول الله، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: صُم يوماً وأفطر يوماً وذلك صيامُ داودَ عليهِ السلام وهو أعدلُ الصيام، قال عبدُالله: فإنى أُطيقُ أفضلَ من ذلك، قال عليه الصلاةُ والســـــلامُ: لا أفضلَ من ذلك..

وتدور الأيامُ ويطولُ عمرُ عبدِالله و يعجز عن المحافظة على ما التزمه، فيقول: لأن أكونَ قبلتُ الثلاثةَ أيام التى قال رسولُ الله ﷺ أحبَّ إلىَّ من أهلى وَمَالِى» وفى رواية : «وَدِدتُ أنِّى كنتُ قبلتُ رُخصةَ نبىِّ الله»..

***

◆◆ ١٧ ـ الصيـام فـى رجـب وشـعبـان

س : هل يستحب الإكثار من الصيام فى شهر رجب وفى شهر شعبان؟

***

ج : الصوم عبادة روحية ترقى بالإنسان إلى مستوى الملأ الأعلى، حيث يمتنع عن الطعام و الشراب والشهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.. فالصيام مطلوب على وجه العموم بحيث يجعل المسلم من أيام دهره أوقاتاً للصيام يتجرد فيها من المادة، ويقوى عزيمته، وتصفو نفسه وتتألق روحه..

أما الصيام فى شهر رجب بعينه فقد قال الإمام النووى : لم يثبت فى صومه نهى ولا ندب لعينه، ولكن أصل الصوم مندوب إليه، وفى سنن أبى داود أن رسول الله ﷺ ندب إلى الصوم من الأشهر الحرم ورجب أحدها، أما شهر

شعبان فقد صح فى صيامه أحاديث منها ما جاء فى صحيح مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : «**كان رسولُ الله يصومُ حتى نقولَ لا يُفطرُ، ويُفطرُ حتى نقولَ لا يصومُ، وما رأيتُ رسولَ الله ﷺ استكملَ صيامَ شهرٍ قطُ إلا رمضانَ، وما رأيتُهُ فى شهرٍ أكثرَ منهُ صِياماً فى شَعبانَ**»..

ومعنى الحديث أن الرسول الكريم ﷺ لم يصم شهراً كاملاً إلا رمضان، وكان يصوم فى شعبان كثيراً حتى قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى بعض الروايات: «**كان يصومُ شعبانَ كُلَّهُ، كان يصومُ شعبانَ إلا قَليلاً**»..

وما عدا هذين الشهرين كان رسول الله ﷺ أحياناً يصوم حتى يظن الناس أنه لا يُفطر وأحياناً يُفطر أياماً متوالية حتى يظن الناس أنه لا يصوم..

فالمسألة راجعة إلى انشراح الصدر والإقبال على الطاعة بلا ملل أو فتور، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام فى صحيح الحديث : «**خُذُوا من الأعمال ما تُطيقُونَ فإنَّ اللهَ لن يَمَلَّ حتى تَمَلُّوا**» وكان يقولُ : «**أَحَبُّ العملِ إلى اللهِ ما دَاوَمَ عليه صاحِبُهُ وإن قَلَّ**»..

***

◆◆ ١٨ ـ صيـــام يـــوم عاشــوراء

س : ما حكم صيام عاشوراء وهل يكتفى بصيام يوم واحد فقط؟

***

ج : عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم، وصيام عاشوراء معروف فى الجاهلية والإسلام، ففى صحيح الحديث : «أن السيدةَ عائشةَ ـ رضى الله عنها ـ قالت: **كانت قريشٌ تصومُ عاشوراءَ فى الجاهليةِ وكان الرسولُ ﷺ يصومُهُ، فلما هاجرَ إلى المدينةِ صامَهُ وأمر بصيامِهِ فلما فُرِضَ شهرُ رمضانَ قال من شاءَ صامَهُ ومن شَاءَ تركَهُ**»..

ففى هذا الحديث تخبرنا أم المؤمنين عائشة بأن الرسول ﷺ صام هذا اليوم قبل البعثة وبعدها إلى أن هاجر إلى المدينة فوجد اليهود فيها صائمين فسألهم ـ كما فى حديث آخر صحيح ـ عن سبب صيامهم فقالوا : هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرّق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنحن

نصومه، فقال الرسول ﷺ «فنحنُ أحقُّ وأولى بموسَى منكم» وأمر بصيامه، وقد اهتم الرسول ﷺ بصيام عاشوراء، فعن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: «كان رسولُ اللهِ يأمُرُنا بصيامِ يومِ عاشوراء ويحثُّنا عليهِ و يتعاهدُنا عِندَهُ»..

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن صيام عاشوراء كان واجباً فى أول الأمر فلما فرض شهر رمضان فى العام الثانى للهجرة أصبح صيامه سنة ومستحباً..

وصيام اليوم العاشر من المحرم هو الذى فعله الرسول ﷺ، ولكن لما تحرج المسلمون من مشاركة ومشابهة أهل الكتاب فى صيام هذا اليوم قال عليه الصلاة والسلام : «فإنْ كانَ العامُ المقبلُ إن شاءَ اللهُ صُمْنَا اليومَ التاسعَ فلم يأتِ العامُ المقبِلُ حتى تُوفِّى رسولُ اللهِ ﷺ»..

ولهذا قال العلماء يستحب صيام التاسع والعاشر معاً لأن النبى ﷺ صام العاشر ونوى صيام التاسع.. وقد قال عليه الصلاة والسلام : «أفضلُ الصيامِ بعدَ رمضانَ شهرُ اللهِ المُحَرَّمُ»..

هـذا وبالله التوفيـق..

***

◆◆ ١٩ ـ أعـــذار الفـطـر

س : ما الأعذار المبيحة للفطر فى رمضان؟

***

ج : شرع الله منوط بمصلحة الإنسان، ودين الله يسر، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.. والأعذار المبيحة للفطر أنواع..

منها أعذار شرعية لا يصح معها صوم ولا ينعقد وذلك بالنسبة للحائض والنفساء فيحرم عليها الصيام ويجب عليها عدة من أيام أخر بعد انقضاء شهر رمضان، قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : «كان يُصيبُنَا ذلك ـ أى الحيضُ ـ فنؤمَرُ بقضاءِ الصومِ ولا نُؤمَرُ بقضاءِ الصلاةِ»..

وهناك أعذار متروكة لدين الشخص و خشيته من الله وهى العجز عن الصيام لمرض وحمل أو إرضاع فهؤلاء إن خافوا الضرر وتحققوا من المشقة الشديدة

التى تلحقهم وأخبرهم بذلك طبيب عدل ثقة ـ جاز لهم الفطر وعليهم قضاء أيام أخر بعد شفائهم وانقطاع الأعذار التى أباحت لهم الفطر..

أما بالنسبة لكبار السـن الذين أرهقتهم الشيخوخة والمرضى بمرض ملازم لا يرجى شفاؤه فيجوز لهم الفطر من غير قضاء وعليهم نصف قـدح من الأرز أو القمح أو الشعير أو غيره وتجوز القيمة عن كل يوم أفطره..

أما المسافر فقد رخص الله له فى الفطر مادام السفر طويلاً مباحاً..

وفى صحيح الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «**سافرْنَا مع رسولِ اللهِ ﷺ فيصومُ الصائمُ ويُفطِرُ المفطرُ فلا يَعيبُ بعضُهم على بعضٍ**»..

والله سبحانه بعباده رحمن رحيم

وهو أهل التقوى وأهل المغفرة..

***

◆◆ ٢٠ ـ قضـاء رمضـان مـع الأيـام السـتـة

س : أفطرت ستة أيام من رمضان لعذر شرعى ثم صمت الأيام الستة من شوال، فهل تغنى هذه الأيام عن أيام رمضان التى أفطرتها؟

***

ج : قضاء صيام رمضان يجب أن يتم قبل حلول شهر رمضان التالى، ولا يشترط فى قضائه التتابع، وكل ما فى الأمر هو أن يحدد الإنسان نيته فى اليوم الذى يريد صيامه بأنه قضاء عما فاته من شهر رمضان..

فالنية ركن من أركان العبادة لقوله ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنياتِ وإنما لِكُلِّ امرئٍ ما نَوَى**»..

وتمايز العبادات لابد أن يصحبه تمايز النيات، بحيث يقصد الإنسان بقلبه ما يفعل فرضاً أو نفلاً، صلاة أو صياماً و هكذا..

لكن يجوز التشريك فى النية إذا اتحد العمل، بأن يؤدى الإنسان فعلاً واحداً بنيتين، فمن اغتسل يوم الجمعة جنباً يجوز له أن ينوى رفع الجنابة وسنة غسل الجمعة، ومن دخل المسجد وصلى ركعتين سنة للفريضة يجوز له أن

ينوى سنة صلاة الفريضة وسنة تحية المسجد معاً، كذلك من تصوم الأيام الستة من شوال وعليها صوم واجب من رمضان يمكن لها أن تنوى قضاء ما فاتها من رمضان وأداء هذه الأيام المسنونة من شوال، والشرط أن تنوى الفريضة أولاً وتلحقها نية النافلة، لكن لو أن السائلة الكريمة أفردت أيام شوال بالنية ولم تنو بها قضاء ما عليها فلا يحصل إلا صوم النافلة، وعليها أيام أخر يجب صيامها عما فاتها من رمضان..

وصيام ستة أيام من شوال هو من السنة لقوله ﷺ : «مَن صامَ رمضانَ ثم أتبَعَه سِتّا من شوال كانَ كصيامِ الدهرِ»..

ولا يشترط أن تقع هذه الأيام ثانى أيام العيد مباشرة، بل يمكن صيامها خلال شهر شوال كله، ولا يشترط فيها التتابع بل لو فرقها الإنسان أثناء شهر شوال أجزأه ذلك..

والله أعلم..

***

◆◆ ٢١ ـ نية الصيام فى النهار

س : عزمت من يوم الأحد على صيام يوم الخميس.. فلما جاء يوم الخميس لم أتذكر إلا قبيل الظهر فهل يجوز إكمال الصوم؟

***

ج : النية ركن فى العبادات حتى تتميز عن العادات وقد قال النبى ﷺ: «إنَّمَا الأعمالُ بالنيَّاتُ»..

وتبييت النية فى الصوم من الليل واجب فى صوم الفريضة سواء كانت أداء أو قضاء.. لكن الأمر يختلف فى النافلة، وقد كان النبى ﷺ «إذا أصبحَ فلَم يَجِد طَعَاماً مهيأً نَوَى الصيامَ ذَلِكَ اليومَ، وأحياناً يُصبحُ صائماً ثم يَجِدُ طعاماً شهيًا فيأكلُ منه ويَقطعُ صومَ النَافِلَةِ»..

وتحدثنا أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ فتقول ـ كما فى صحيح مسلم ـ: «دَخَلَ علىَّ النبىُّ ﷺ ذاتَ يومٍ فَقَالَ: هل عِندَكمُ شىءٌ؟ فقُلنا: لا. قَال:

فإنِّى إذَن صائِمٌ، ثم أتَانَا يوماً آخر فقلنا: يا رسولَ الله أهدِى لَنَا حيس (وهو ثريدٌ مـن أخلاطٍ أو تمرٌ مع السمنِ والأقطِ)، فقالَ: أرينيهِ فَلَقد أصبحتُ صائِماً، فأكَلَ»..

ومن هنا أخذ الفقهاء أن صوم النافلة يجوز بنية فى النهار قبل الزوال ما لم يسبقه شىء من المفطرات..

أما عزم يوم الأحد على صيام يوم الخميس فلا يعد نية..

***

◆◆ ٢٢ ـ النسيان فى الصوم

س : نذرت صيام عدة أيام، وأثناء صومى فى أحد هذه الأيام نسيت وشربت جرعة كبيرة من الماء فما رأى الدين؟

***

ج : شرع الله منوط بوسع الإنسان: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[1]، والله تعالى تجاوز لأمة محمد ﷺ عن النسيان والإكراه فقال عليه الصلاة والسلام: «رُفِعَ عن أُمّتى الخطأُ والنسيان وما استُكْرِهُوا عليه»، والصائم فرضاً أو نفلاً إذا نسى وتناول مفطراً فلا إثم عليه وصومه صحيح ولا إعادة عليه عند جمهور العلماء لقوله عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيح : «مَنْ نَسِىَ وهو صَائِمٌ فَأكَل أو شَرِبَ فليُتِمّ صومَهُ فإنما أطعمَهُ اللهُ وسَقَاهُ»..

وقد أخرج أحمد عن مولاة لبعض الصحابة : «أنها كانَت عند النبىّ ﷺ فأُتِى بقصْعَةٍ من ثريدٍ فأكلَت منها ثم تذكّرت أنها كانت صائمةً فقالَ لها ذو اليدين: الآنَ بعدَمَا شَبِعتِ، فقال لها ﷺ : أتِمّى صومك فإنما هو رزقٌ ساقَهُ اللهُ إليكِ»..

فهذه النصوص صريحة فى صحة الصوم و عدم قضائه واحتفاظه بثوابه..

وما ذهب إليه البعض من أنه يفطر وعليه القضاء وأن الإمساك لحرمة الوقت فلا دليل عليه وقياسه على الصلاة قياس فاسد لأنه فى مقابلة النص، وقد قال الله تعالى فى آيات الصيام: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2]..

(١) سورة البقرة : الآية (٢٨٦).

(٢) سورة البقرة : الآية (١٨٥).

◆◆ ٢٣ ـ الإفطـار وصـلاة المغـرب

س : أيهما يقدم الإفطار أم صلاة المغرب؟ وهل يكفى قطع الصوم بأى شيء بعد غروب الشمس أو يمكن تناول الطعام كاملاً؟

***

ج : من أدب الاقتداء برسول الله ﷺ ـ تعجيل الفطر عقب تحقق غروب الشمس، وفى حديث رواه الترمذى و النسائى عن أنس رضي الله عنه قال : «كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُفطِرُ على رُطباتٍ قبل أن يُصلّى، فإن لم يكن فعلى تَمراتٍ، فإن لم يكن حَسَا حسواتٍ من ماءٍ»، وورد فى عدد التمرات أنها ثلاث..

وهذا الأدب النبوى لحكمة، فهو أنشط للصائم، لأن الإنسان بعد أداء صيام اليوم قد يعتريه فتور لا يتناسب معه أداء صلاة المغرب على المخمصة، وأيضاً فإن استشعار المسلم بأداء الصوم يقتضى أن يعلم بانتهاء الوقت المحدد وأن يخرج من الصوم كى يفرح بتوفيق الله له، وهذا الخروج من الصوم لا يتحقق إلا بتناول الطعام الذى كان محظوراً عليه..

ويتحقق تعجيل الفطر بتناول أى شيء يقطع الصوم كتمرات أو بعض ماء ثم يصلى المغرب وبعدها يتناول طعامه كاملاً..

لكن إذا كان الإنسان فى حاجة إلى الطعام ويشق عليه إحسان الصلاة مع انتظار الطعام فلا بأس أن يتم الإنسان فطره كاملاً ثم يصلى المغرب بل إن الأولى فى مثل هذه الحال تناول الطعام..

وهذا هو فقه حديث رسول الله ﷺ ـ فى الصحيحين ـ :«إذا قربَ العَشَاءُ وحَضَرتِ الصَّلاَةُ فابدأُوا بهِ قبلَ أن تُصَلُّوا صلاةَ المغربِ ولا تعجَلُوا عن عَشَائِكُم»..

وروت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا صلاةَ بحضرَةِ الطعامِ»..

***

◆◆ ٢٤ ـ صـوم النافلـة للزوجـة

س : هل يجوز للمرأة أن تصوم نفلاً وهى متزوجة سواء علم الزوج أم لم يعلم؟

***

ج : يحرص الإسلام على الاستقرار العاطفى بين الزوجين، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١)..

كما يسعى الإسلام إلى أن يتسامى بالغريزة الجنسية بحيث تمارس فى ظل المنهج الإلهى بقدر ما يحقق للنفس السكينة والطمأنينة، قال عليه الصلاة والسلام كما فى صحيح البخارى: «**يا معشرَ الشبابِ من استطاعَ منكم الباءَةَ فليتزوجْ فإنه أغضُّ للبصرِ و أحصَنُ للفرجِ ومن لم يستطِعْ فعليهِ بالصَّومِ فإنَّهُ لَهُ وِجَاء**»..

ومن هنا فإن من حق الرجل الاستمتاع بزوجه فى أى وقت شاء، ففى صحيح البخارى أن الرسول ﷺ قال : «**إذا دَعَا الرجلُ المرأةَ إلى فِراشِهِ فأبَت أن تجيءَ لَعَنَتْها الملائكةُ حتى تُصبِحَ**»، وذلك لأن الإعفاف إذا لم يتحقق بين الرجل وزوجه كان ذلك مدعاة للفساد والانحلال..

واعترافاً بهذا الحق رفض الإسلام صوم المرأة نفلاً أو واجباً على التراخى إلا بإذن زوجها حتى لا يقطع عليها عبادتها إن تاقت نفسه، فإن صامت بغير إذنه فله الاستمتاع بها وإفساد صومها من غير كراهة، ودليل ذلك ما جاء فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يَحِلُّ للمرأةِ أن تصُومَ وزوجُها شاهِدٌ إلا بإذنِهِ**»، ومعنى «شاهد» أى حاضر، قال العلماء فلو كان زوجها مريضاً بحيث لا يستطيع الجماع أو مسافراً جاز لها الصيام ولو بغير إذنه..

وننبه إلى أن هذا الحق للزوج لا يتعلق بأداء فريضة الصيام فى شهر رمضان فإن هذا الوقت بالذات مقصود من الشارع ويتحتم الصيام فيه على القادرين جميعاً رجالاً ونساء فلا تحتاج المرأة إلى إذن زوجها فيه..

هـذا وبالله التوفيـق..

(١) سورة الروم : الآية (٢١).

◆◆ ٢٥ ـ ليلـــة القـــدر وكرويـــة الأرض

س : يلتمس المسلمون ليلة القدر فى السابع والعشرين من رمضان، ومعلوم أن الليل فى نصف الكرة الأرضية يقابله نهار فى النصف الآخر، فهل يعنى ذلك أن ليلة القدر تكون فى جزء من الأرض فقط أم أنها تنتقل إلى النصف الآخر عندمايحين فيه الليل؟

***

ج : أمر الرسول ﷺ المسلمين بالتماس ليلة القدر وإحيائها كى يحظى المسلم بالثواب الجزيل الذى أعده الله تعالى لعباده الصائمين القائمين، ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنبِهِ، ومَن قامَ ليلةَ القَدرِ إيماناً واحتِسَاباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنبِهِ**»، وجاءت روايات عند النسائى و أحمد تزيد «**ومَا تأخَّرَ**».

وقد التمس الرسول ﷺ ليلة القدر فى العشر الأول من رمضان فلم يصادفها ثم التمسها فى العشر الأوسط فلم يصادفها، وأخيراً بلغ أصحابه بوقوعها فى العشر الأخير بل حددها لهم بأنها فى الوتر من العشر الأخير، وفى صحيح البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**تَحَرَّوا لَيلَةَ القدرِ فى الوترِ من العشرِ الأواخِرِ مِن رَمَضَانَ**»..

والقول بأن ليلة القدر هى ليلة السابع والعشرين من رمضان هو قول اجتهادى لا ينفى أقوالاً أخرى، ولعل فى إخفاء هذه الليلة ما يحفز المسلم إلى دوام المراقبة واليقظة الدينية..

وكون الليل يتكرر على مستوى الكرة الأرضية لا يعنى أن ليلة القدر تكون فى جهة دون أخرى، كما أن النهار يتكرر على مستوى الكرة الأرضية، وكل مسلم مطالب بصيام نهار رمضان عندما يحل عليه ذلك النهار دون ارتباط بوجود النهار فى بقعة أخرى من الأرض.

فالمسلم مطالب شرعاً بتحرى هذه الليلة المباركة والتماسها على ضوء الواقع الجغرافى لمنطقته، ويكون هذا التحرى بالاعتكاف فى المساجد

والمحافظة على الجماعة فى الصلوات المكتوبات، وتلاوة القرآن والدعاء إلى الله والتهجد ليلاً..

والمسألة ابتداء وانتهاء هى ثواب الله يتفضل به على عباده المؤمنين الأصفياء ويمنحه لمن يشاء ليلاً أو نهاراً، ولا حرج على فضل الله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[1]..

***

٢٦ ـ صلاة التراويح

س : بعض الناس يصلون التراويح فى رمضان ثمانى ركعات، وبعضهم يصلونها عشرين ركعة فما الأفضل فى ذلك؟

***

ج : من الأمور التى كثر خلاف الناس فيها صلاة التراويح فى شهر رمضان، والذى نريد أن يفقهه الناس أن من صلاة النوافل فى الإسلام التهجد وهو قيام بالليل بعد نوم وأداء بعض الركعات، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[2]، وبقوله سبحانه: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3]..

هذه الصلاة شرعت مثنى مثنى ثم تختتم بواحدة تسمى وتراً..

وقد اختلفت الروايات فى العدد الذى كان يؤديه رسول الله ﷺ فى رمضان وغيره ما بين إحدى عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة وخمس عشرة ركعة، وقيل فى توجيهها إن ذلك بحسب ما كان يحصل من اتساع الوقت أو ضيقه أو تبعاً للأحوال من عذر أو مرض أو غيره أو تبعاً للأوقات من كهولة أو كبر سن وشيخوخة إلى غير ذلك..

كما حدثت الروايات الصحيحة : «أن رسولَ اللهِ ﷺ صلَّى فِى المسجدِ ذاتَ ليلةٍ فصلَّى بصلاتِهِ نَاسٌ ثم صلَّى من القابلةِ فكثُرَ الناسُ ثم اجتمَعُوا من الليلةِ الثالثةِ أو الرابعةِ فلم يخرُجْ إليهِمْ رسولُ الله ﷺ فلما أصبحَ قال:

(١) سورة الفرقان : الآية (٦٢). (٢) سورة السجدة : الآية (١٦). (٣) سورة الذاريات : الآية (١٨).

قد رأيتُ الذى صنعتمْ فلم يمنَعْنِى من الخروجِ إليكمْ إلا أنى خَشِيتُ أن تُفرَضَ عَلَيكُمْ، قال الراوى : وذلك فى رَمَضَانَ»، فتوفى رسولُ الله ﷺ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر كذلك أيضاً فى خلافة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر إلى أن استحسن جمع المسلمين رجالاً على أُبَىٍّ بن كعب ونساء على سليمان بن أبى حثمة وصلى بهم عشرين ركعة..

وخلاصة الوارد فى هذا المجال والذى نختاره أن صلاة الليل أو ما نسميه التراويح ليس لها حد لا يزاد عليه و لا ينقص منه، وتؤدى فرادى وجماعات، فليؤد المسلم العدد الذى تنشط له همته ويتأمل قراءته ويستجمع فيه فكره نحو جلال الله وكماله امتثالاً لقول رسول الله ﷺ : «مَن قامَ رمضانَ إيماناً واحتِسَاباً غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذَنبِهِ»..

والله أعلى وأعلم..

***

◆◆ ٢٧ ـ عدة شهر رمضان

س : سمعت أن هناك حديثاً يفيد أن شهر رمضان لا ينقص عن ثلاثين يوماً، فهل هذا صحيح؟

***

ج : الصيامُ فى رمضانَ والفطرُ منه مرتبطان برؤية الهلال، والمسلمون مطالبون شرعاً باستطلاع الهلال عقب تسع وعشرين ليلة من كل شهر قمرى، فإن شهدوا الهلال كان ذلك بدءاً للشهر التالى وإلا أتموا الشهر الذى هم فيه ثلاثين، ولا يمكن أن يزيد الشهر القمرى عن الثلاثين..

ففى صحيح مسلم عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال النبى ﷺ : «الشهرُ تسعٌ وعشرُونَ فإذا رأيتُم الهلالَ فصومُوا وإذا رأيتُمُوه فأفطِرُوا فإن غُمَّ عليكُم فاقدُرُوا له»، وفى رواية : «فاقدُرُوا ثلاثينَ»..

ومن هنا فلا يعقل أن شهر رمضان لا ينقص عن ثلاثين، فهذا غير وارد ولا صحيح، بل المسألة مرتبطة بالرؤية فمتى تحققت دخل الشهر سواء كان بعد تسع وعشرين أو ثلاثين..

لكن جاء حديث شريف فى صحيح مسلم نصه هكذا : عن أبى بكر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «شهرا عيد لا ينقصان رمضان وذو الحجة»، والمعنى أن الأجر والثواب المرتب على الطاعة فى هذين الشهرين من الصيام والحج لا ينقص سواء كان الشهر ثلاثين أو تسعاً وعشرين..

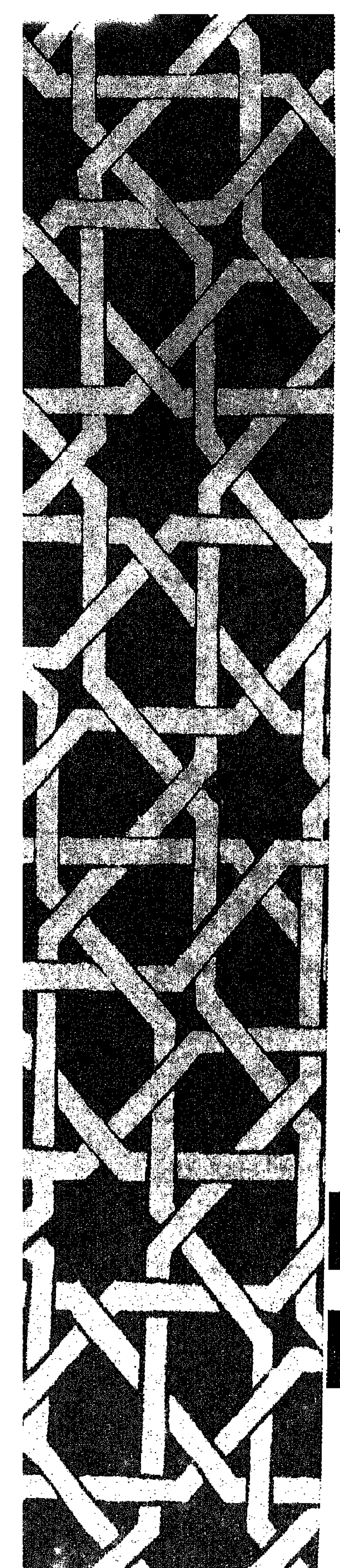
وما يقوله العامة من أنه إذا تم أحد الشهرين ثلاثين ليلة كان الآخر تسعاً وعشرين فليس مراداً من الحديث الشريف، وقد يكون واقعاً فى بعض السنوات..

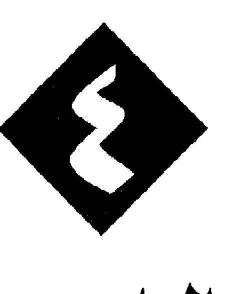
ونحن كمسلمين فى حاجة ضرورية إلى تحرى رؤية الهلال واستطلاعه بدقة لأن كثيراً من الأحكام الشرعية متوقفة على ذلك، فالحج أشهر معلومات هى شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة، والصيام يقع فى شهر رمضان، والزكاة تجب بانقضاء الحول القمرى، كما تتعلق بالأهلة عدة النساء فى الطلاق والوفاة. إلى غيرذلك من الأحكام الفقهية..

ولهذا كان من السنة أن يقول المسلم عند رؤية الهلال فى أول الشهر : «اللهُ أكبرُ، اللهُمَّ أَهِلَّه عَلَينا بالأمْنِ والإيمان، والسلامةِ والإسلامِ، والتوفيقِ لما تُحِبُ وتَرْضَى، رَبِّى ورَبُكَ اللهُ، هلاَلُ خَيرٍ ورُشْدٍ»..

***







الباب الرابع

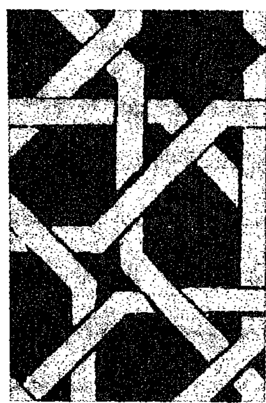
الحج

بحوث وفتاوى

١ بحوث فى الحج

٢ فتاوى فى الحج





١ بحوث فى الحج

١ - الحج كمال الإيمان وقمة الفضائل النفسية

الإيمان والإسلام يبدآن بكلمة التوحيد الخالص، «لا إله إلا اللّه»، تلك الكلمة التى جاهد عليها الأنبياء جميعاً، فقد قالوا لأقوامهم، اعبدوا اللّه ما لكم من إله غيره، وقال رسول اللّه ﷺ: «أفضَلُ ما قُلتُهُ أنا والنَّبيُّونَ من قبلِى لا إله إلا اللّه»..

وعندما يستقر التوحيد فى أعماق النفس الإنسانية تتبدى سلوكيات راقية وأقوال حكيمة وأفعال خيرة، وتتوالى أركان الإسلام بأنوارها من الصلاة والصيام والزكاة، ويأتى الحج ليمثل قمة هذا الإيمان والإسلام تشريعاً وواقعاً.. قال رسول اللّه ﷺ: «بُنِىَ الإسلامُ على خَمْسٍ شهادةِ ألا إله إلا اللّه وأن مُحمداً رسولُ اللّه، وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ وصومِ رمضانَ وحَجِّ البيتِ لمِنَ استطاعَ إليهِ سَبيلاً»..

فالحج فريضة العمر وتسبقه ضرورة الأركان اليومية والسنوية، فالصلاة فرضت فى بدء الإسلام مرتين، صلاة بالغداة وصلاة بالعشى، ثم فرضت خمساً فى الفعل وخمسين فى الأجر والثواب ليلة الإسراء والمعراج قبيل الهجرة، وفى حقها يقول الرسول ﷺ: «أرأيتم لو أن نَهَراً ببابِ أحدِكم يغتسلُ منه كُلَّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ هل يَبقَى مِن درنِهِ شىءٌ؟! قالوا: لا يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شىءٌ، قال: فَذَلِكَ مثل الصلواتِ الخمسِ يمحُو اللّهُ بهن الخَطَايَا».

وعندما يستقيم المسلم على صلاته اليومية يأتى الصوم فى شهر رمضان من

كل عام ليواصل مع المسلم مسيرة النقاء النفسى والخلقى، وقد شرع الصوم فى العام الثانى للهجرة..

وفى فضائل الصوم وثوابه يقول عليه الصلاة والسلام: «قال اللَّهُ عز وجل كُلُّ عمل ابنِ آدمَ لَهُ إلا الصوم فَإِنَّهُ لى وأنا أَجزِى بِهِ، والصيامُ جُنَّةٌ فَإِذَا كانَ يومُ صومِ أحدِكُمْ فلا يرفُثْ ولا يصخَبْ فإن سَابَّهُ أحدٌ أو قاتَلَهُ فليقُلْ إنِّى صائِمٌ، والذى نفسُ محمَّدٍ بِيَدِهِ لخلوفُ فَمِ الصائِمِ أطيبُ عِندَ اللَّهِ من رِيحِ المِسْكِ، للصائمِ فرحتانِ يفرحهُمَا، إذا أَفطَرَ فَرِحَ بفطرِهِ وإذا لَقِىَ رَبَّهُ فَرِحَ بصومِهِ»..

وإذا كان المسلم يملك نصاباً مالياً أخرج الزكاة كلما حال عليه الحول، وقد فرضت الزكاة فى العام الثانى للهجرة بعد فرضية الصيام.. وهى طهرة للمسلم من الشح والبخل، ونقاء للنفس والسريرة..

وهكذا تتكامل أركان الإسلام ليصل المسلم إلى قمتها بأداء فريضة الحج التى فرضت فى العام السادس للهجرة..

ومن هنا فإن المسلم الحاج يفترض فيه أنه التزم بأركان الإسلام كلها، وأدى واجبات الدين بأجمعها، وعاد من حجه ليواصل مسيرة النقاء النفسى والصفاء القلبى والطهر الخلقى..

وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لما بينَهُمَا، والحجُّ المبرورُ ليسَ لَهُ جَزَاءٌ إلا الجنَّةُ»..

وقال ﷺ: «مَنْ حَجَّ فلم يرفُثْ ولم يفسُقْ خَرَجَ من ذُنُوبِهِ كيوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»..

ولحكمة ما فإن مناسك الحج وشعائره تتضمن الصلاة والصيام والصدقة والذكر والدعاء.. فمن المشروع أداء ركعتين خلف مقام إبراهيم بعد الطواف لقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[1]..

ومن كفارات الحج الصيام والهدى، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[2]..

إن الحج قائم على كافة ألوان العبادة التى تشمل القلب والقالب، وتتمكن من

(١) سورة البقرة : الآية (١٢٥). (٢) سورة البقرة : الآية (١٩٦) .

النفس والجوارح، وتنطلق من الإخلاص والتسليم المطلق للّه رب العالمين، ولعل التلبية التى يرددها الحاج فى حركاته وسكناته هى التعبير الصحيح لخضوع الإنسان نفساً وبدناً لخالقه الأعظم: «لبيكَ اللهم لبيكَ، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحَمدَ والنعمةَ لك والملك، لا شَرِيكَ لك»..

إن الذين يريدون الحج ألقاباً، ويتخذونه تجارة، ويذهبون إليه سياحة يفقدون أغلى ما يحرص عليه العاقل، ويضيعون أثمن ما فى الحياة، ويغفلون عن أعمق ما فى الوجود، وهو الإخلاص للّه..

***

◆◆ الحج عزة للمسلمين وانتصار للإسلام

العزة حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب، من قولهم أرض عَزاز أى صلبة، وتعزز اللحم اشتد، والعزيز الذى يَقْهر ولا يُقهَر..

والعز ضد الذل..

والعزة صفة نفسية يجب الحرص عليها وتأصيلها، وهى فى الحقيقة منحة من اللّه لعباده الصالحين.. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)..

والحج فريضة تمثل انتصار الإسلام وعزة المسلمين وامتداد نور اللّه فى الآفاق والأنفس، ودخول الناس فى دين اللّه أفواجاً فرحين مستبشرين..

ذلك ما يؤكده تاريخ التشريع الإسلامى للحج..

لقد فرض اللّه تعالى الحج على أمة محمد ﷺ فى العام السادس للهجرة بعد مرحلة من أدق مراحل الجهاد الإسلامى فى المدينة المنورة، فقد وقعت غزوات بدر الكبرى وأحد والخندق فى مواجهة المشركين، وغزوات بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة فى مواجهة اليهود، وتحطمت قوى الشرك والشر وقامت دولة الإسلام..

ثم رأى رسول اللّه ﷺ رؤيا منامية أنه دخل مكة وطاف بالبيت الحرام فأخبر رؤياه الصحابة ودعاهم إلى الاستعداد للسفر إلى مكة لأداء العمرة، فخرجوا

(١) سورة المنافقون : الآية (٨) .

وساقوا معهم الهدى، ولما وصلوا إلى مكان يسمى الحديبية - وهى اسم بئر قريبة من مكة - توقفوا عن السير وبدأوا يراسلون قريشاً ليفهموا حقيقة موقف المسلمين وأنهم لم يأتوا لحرب أو قتال وإنما جاءوا زائرين للبيت الحرام ومعظمين له.. وقال ﷺ: «لا تدعونى قريشٌ إلى خطةٍ يسألوننى فيها صلةَ الرَّحِمِ إلا أعطيتُهُمْ إيَّاهَا»..

وانتهت المراسلات والمشاورات إلى عقد صلح الحديبية على أن يرجع المسلمون عامهم هذا ثم يأتوا فى العام القابل ويدخلوا مكة ثلاثة أيام..

ونزل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1]..

وفى العام السابع للهجرة دخل المسلمون مكة فى مشهد مهيب وقال الرسول ﷺ لأصحابه وهم يطوفون: «رَحِمَ اللَّه امرءًا أراهُم اليومَ من نَفْسِهِ قُوَّةً»..

ولم يمض عام آخر بعد عمرة القضاء حتى نقضت قريش عهدها فجهز الرسول ﷺ جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل، وزحف نحو مكة فى رمضان من العام الثامن للهجرة.

ولما رأى أبو سفيان زعيم المشركين يومئذ هذا الجيش الجرار قال للعباس عم الرسول ﷺ: **والله يا أبا الفضل لقد أصبحَ مُلكُ ابنِ أخِيكَ الغداةَ عَظِيماً، فقال له العباس مصححاً للمفاهيم: يا أبا سُفيان إنها النبوة..!!**

وتم فتح مكة وتحطيم الأصنام وكان شعار ذلك اليوم: **«لا إله إلا اللَّه وحده، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»..**

ورغم انهيار دولة الشرك فقد ظل المشركون يؤدون الحج على طريقتهم الوثنية، فلما كان العام التاسع للهجرة ذهب أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أميراً على الحجاج المسلمين، وخلال موسم الحج نزلت سورة براءة تعلن تصفية الحج من كل مظاهر الجاهلية وأعلن المتحدث الرسمى للرسول ﷺ وهو على بن أبى طالب - رضي الله عنه - أمام الملأ من المسلمين والمشركين يوم الحج الأكبر وهو يوم عرفة أربعة مبادئ أساسية:

(١) سورة الفتح : الآية (٢٧) .

أيها الناس لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته..

وعندما توجس المسلمون كساداً اقتصادياً بسبب منع المشركين نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١)..

وفى العام العاشر للهجرة خرج رسول الله ﷺ فى مائة ألف أو يزيدون لأداء حجة الإسلام والبلاغ والوداع ونزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾(٢)..

وهكذا يتجدد الحج كل عام ليؤكد عزة المسلمين وانتصار الإسلام..

***

◆◆ الحج وتنمية الوعى

من الضرورى لبقاء الأمة واستمرار مسيرة الحياة المثلى - يقظة الوعى بالمقدسات والقيم وتنمية الذاكرة بأصول الدين وأخلاقه، وإحياء القلب والعقل بأيام الله المجيدة..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(٣)..

فالتذكير بأيام الله هو التذكير بنعمه وآلائه، وفى قمة النعم الدين والشرع والقيم..

والحج فريضة إلهية تحيى ذاكرة الأمة، وتجدد آمال الشعوب الإسلامية وتشحذ همم المسلمين، وتتعالى بنفس المؤمن وعقله إلى آفاق السمو الروحى والملأ الأعلى..

إن المسلم عندما يحج ويذهب إلى مكة المكرمة لا ينسى المدينة المنورة ويتوارد على عقله وقلبه بيت المقدس الشريف.. فهذه الأماكن الثلاثة لها من الذكريات والمواقف والأحداث ما يجعلها دائماً فى بؤرة الشعور الإسلامى..

(١) سورة التوبة : الآية (٢٨). (٢) سورة المائدة : الآية (٣). (٣) سورة إبراهيم : الآية (٥).

لقد ارتبطت الصلاة والحج بالكعبة المشرفة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1]..

وقد كانت المدينة المنورة ملتقى المهاجرين والأنصار، وجعل اللّه ثراها مثوى لسيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين..

وكان الإسراء والمعراج رباطاً قدسياً يجمع بين مكة والقدس وسيناء حيث بدأت الرحلة الميمونة من مكة ومرت بسيناء وانتهت فى القدس ومن هناك صعد الرسول ﷺ إلى السموات العلا، إلى حيث شاء العلى الأعلى ثم عاد من حيث بدأ، كل ذلك فى جزء يسير من الليل.. قال تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2].

وأقسم الله تعالى بمكة وسيناء والقدس فى قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾[3]..

فالتين والزيتون قسم ببيت المقدس حيث ولد عيسى عليه السلام ودعا إلى التوحيد الخالص للّه رب العالمين، وطور سينين قسم بسيناء حيث كلم اللّه موسى تكليماً، والبلد الأمين قسم بمكة المكرمة حيث ولد سيدنا محمد ﷺ وبعث وجاهد فى اللّه حق جهاده..

فالتذكير هنا برسائل التوحيد التى عم نورها الآفاق..

وجمع الرسول ﷺ الأرض المقدسة فى سياق واحد فقال: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ مَسْجِدِى هذا والمسجدِ الحَرَامِ والمَسجدِ الأقصَى»..

فهذه المساجد الثلاثة لها منزلة خاصة وثواب مضاعف، وتستحق اهتمام المسلم وبالغ حرصه..

إننا فى حاجة قصوى إلى غرس الوعى لدى الأجيال المسلمة بحرمة هذه الأرض وقدسيتها، وأنها أمانة فى أعناقنا، وعقد فريد لا يتجزأ، ويوم نرضى بالدون لقدسنا الشريف نكون قد بدأنا التفريط فى أعراضنا كلها ومقدساتنا جميعاً..

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٢٥) . (٢) سورة الإسراء : الآية (١). (٣) سورة التين : الآيات (من ١ إلى ٣).

إن الحج يغرس الوعى ويحيى الذاكرة ويربى المسلم نفساً وبدناً، ويمنحه سلوكاً اجتماعياً رفيعاً..

إن الحج يجدد فى المسلم الولاء للّه ورسوله والوفاء بعهد اللّه والحفاظ على حرمة المساجد والأعراض مما يؤصل فيه النقاء النفسى والإخلاص الكامل..

إن المسلم الحاج يقف طويلاً أمام آيات القرآن الكريم يستشعر معناها ويتلمس أماكن نزولها ويتذكر أحداث تاريخها، ويعيد تأملاته فى مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(1)..

وهذا ما يجعله فى رباط دائم إلى يوم القيامة..

◆◆ الحج تأكيد لقوة الرحماء

الحج فريضة لا يفى بأداء مشاعرها إلا القوى الأمين، ولا يزاول مناسكها فى تمامها إلا من آتاه اللّه بسطة فى العلم والجسم، ولا يستشعر آفاقها العليا إلا من كمل إيمانه وقوى بدنه وكان ذا قلب كبير ونفس مطمئنة..

إن الحج سفر، والسفر قطعة من العذاب، وفى الحج ترك للأوطان وهجر للأولاد وبذل للأموال، وذلك يحتاج إلى يقين صادق باللّه عز وجل، وتحمل نفسى كبير، وتجلد شديد، فالمال شقيق الروح، والولد مجبنة، وحب الأوطان فى سويداء القلوب..

وليس من اليسير أداء المناسك مع الضعف والخور، وقلة البأس وهزال البدن، فالطواف حول الكعبة سبعاً، والسعى بين الصفا والمروة سبعاً وسط الزحام وتكأكؤ الناس واختلاطهم فى حاجة إلى قوة رحيمة تتكافأ مع هذه المشقة، وتترفق بالناس فى طوافهم وسعيهم حتى لا يقع شخص أو ينكفئ إنسان أو يزاحم امرأة أو يقسو على صغير..

والإقامة فى عرفات اللّه وفى أرض منى مع اختلاف ظروف الحياة فى طقسها ومناخها، وفى مأكلها ومشربها، وفى نومها ويقظتها.. كل ذلك يتطلب

(1) سورة الحج: الآية (25).

جسداً سليماً يضم روحاً طاهرة ليكون الإنسان قوياً جلداً، رحيماً بالضعفاء، حانياً على البائسين، شفوقاً بذوى الحاجات..

وقد كان رسول الله ﷺ فى حجة الوداع يمسك بزمام ناقته ويشدها بقوة حتى لا تسرع فى زحام الناس، وينادى ويشير بيده اليمنى الشريفة: **أيها الناسُ.. السكينةَ.. السكينةَ..**

ومن هنا تتأكد أهمية الحج فى تربية المسلم تربية تقوم على القوة الرحيمة التى تعنى التواضع وكظم الغيظ والحلم والأناة والرفق والتواضع وحسن الخلق..

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(١)..

فهذه الصفات وإن كانت شعار المسلمين فى كل وقت ومكان إلا أنها فى الحج آكد وألزم..

إن القوة الرحيمة أو قوة الرحماء هى أسمى ما يتخلق به المرء، وأعلى ما يهدف إليه المصلحون، وأعظم ما يفكر فيه العقلاء، وأبهى ما تراه العيون..

إن البعض ينادى بالقوة الغاشمة التى تقوم على الغلبة وحب الانتقام والغرور بالنفس والاستعلاء بالذات..

ولن تكون تلك القوة الغاشمة الشريرة إلا فى الحمقى وذوى العاهات الفكرية..

إن الإسلام يدعو إلى القوة بجميع ألوانها، قوة العقل والفكر، قوة البدن والجسم، قوة النفس والقلب، قوة العدة والعتاد، لكنها قوة الرحماء التى تحمى الدين وتصون الحق وتذود عن الحرمات وتدافع عن المقدسات وتنتصر للمظلومين وتحقق الأمن والأمان للناس أجمعين..

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٢)..

(١) سورة آل عمران : الآيات (١٣٣ ، ١٣٤). (٢) سورة الأنفال : الآيات (٦٠ ، ٦١).

وفى حديث رواه الطبرانى - ورجاله رجال الصحيح -: «أن فتًى جلداً مَرَّ على رَسُولِ اللّه ﷺ، فقال الصحابةُ تعجُباً من قُوَّتِهِ: لَوَ كانَ هذَا فى سبيلِ اللّه، يُرِيدُونَ الجهادَ، فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: إن كانَ خَرَجَ يسعَى على وَلدِهِ صِغَاراً فهُوَ فى سبيلِ اللّه، وإن كانَ خَرَجَ يسعَى على أبوينِ شيخينِ كبيرَينِ فهُوَ فى سبيلِ اللّهِ، وإن كانَ خَرَجَ يسعَى على نفسِهِ يعفُّها فهُوَ فى سبيلِ اللّهِ، وإن كان خَرَجَ رياءً ومفاخَرَةً فهُوَ فى سبيلِ الشيطانِ»..

***

الطريق إلى الكعبة والطريق إلى اللّه

للحج ميقات زمانى هو شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة، لا يصح لمسلم أن ينوى الحج إلا فى هذا الوقت فقط، وللحج ميقات مكانى لا يعبره الحاج إلا وهو محرم ولا يتجاوزه إلا متطهراً مؤدياً ركعتين ناوياً الحج أو العمرة رافعاً صوته بالتلبية، قائلاً: «اللهمَّ إنِّى نويتُ الحجَّ فيسِّرْهُ لى وتَقَبَّلْهُ مِنّى، لَبَّيك اللَّهُمَّ لَبَّيكَ، لبّيكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيكَ، إن الحَمْدَ والنِّعمَةَ لَكَ والمُلك لا شَرِيكَ لَكَ»..

ثم يتجنب المحرم محظورات الإحرام من لبس المخيط والمحيط، ومس الطيب، وحلق الشعر وتقليم الأظفار وقتل الصيد وقطع الشجر.. إلخ..

فإذا كان الحاج يبدأ طريقه إلى الكعبة محرماً فإن المسلم يبدأ طريقه إلى اللّه بالتوبة النصوح..

فقد جاء الأمر بها عاماً فى قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، وحقيقة التوبة إقلاع عن المعصية، وندم على ما وقع، وعزم على عدم العود، واستقامة على المنهج..

فلا توبة مع الإصرار، وقد لا يكون الإقلاع توبة، وذلك كمن ترك المعصية لمعنى آخر غير الندم، فمن ترك الفاحشة لعدم استطاعته لها أو ترك الخمر لضررها ويظل قلبه متعلقاً بها لا يعد تائباً.. فإن التوبة عمل قلبى تصحبه حركة الجوارح فى استقامة واحدة نحو مرضاة اللّه تعالى..

(١) سورة النور: الآية (٣١).

ولكى يمحو المرء آثار معصيته فلابد من التزود بالتقوى فإن الحسنة تمحو السيئة.. قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[1]..

وإذا كانت المعصية متعلقة بحقوق العباد فلابد من رد المظالم إلى أهلها أو مسامحتهم فيها.. وقد سأل الرسول ﷺ أصحابه يوماً فقال: «أتدرُونَ مَنَ المُفْلسُ؟ قالُوا: المفلسُ فينَا من لا دِرْهَمَ لَه ولا مَتَاعَ، فقَالَ: إن المُفْلِسَ من أُمَّتِى مَن يأتِى يومَ القِيَامةَ بِصلاةِ وصِيامِ وزَكَاةٍ، ويأتِى وقد شَتَمَ هَذَا، وقَذَفَ هَذَا، وأَكَلَ مَالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هَذَا، وضَرَبَ هَذَا، فيُعْطَى هَذَا من حسَنَاتِهِ، وهذا من حَسَنَاتِهِ فَإنْ فَنِيَتْ حسَنَاتُهُ قَبْلَ أن يقضى ما عَلَيهِ، أُخِذَ من خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عليهِ ثم طُرِحَ فى النَارِ»..

إن المسلم حين يبدأ طريقه إلى الله تعالى بالتوبة يأخذ فى الترقى من النفس الأمارة، إلى النفس اللوامة، إلى النفس المطمئنة..

فالنفس الأمارة قرينها الشيطان يقذف فيها بالباطل ويعدها الأمانى الكاذبة ويزين لها القبيح، ويهوى بها إلى مكان سحيق..

والنفس اللوامة هى التى تلوم صاحبها على تقصيره فى جنب الله، وتدفعه إلى المسارعة إلى البر والخير، والنجاة إلى شاطئ الأمان..

والنفس المطمئنة هى التى اطمأنت إلى ربها فى حكمه وحكمته وسلكت مسالك الأنبياء والصالحين فاستحقت ذلك النداء الإلهى الكريم: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [2]..

***

◆◆ طواف الكعبة وطواف الكون

من شعائر الحج ومناسكه الطواف حول الكعبة المشرفة، وقد يكون طواف قدوم، أو طواف إفاضة، أو طواف وداع..

---

(١) سورة هود: الآية (١١٤).

(٢) سورة الفجر: الآيات (من ٢٧ إلى ٣٠).

فطواف القدوم عند رؤية الكعبة، فتحية المسجد الحرام بالطواف على خلاف سائر المساجد التى تحيا بركعتين..

وطواف الإفاضة هو طواف الركن، وطواف الوداع لمن يخرج من مكة ليكون آخر عهده بالبيت الحرام..

والطواف سبعة أشواط تبدأ من الحجر الأسود باسم اللّه وتنتهى به، وهو كالصلاة فيشترط له الطهارة من الحدث والنجس إلا أنه أبيح لنا الكلام فيه..

والطواف حول الكعبة يستحضر لنا تاريخ الأنبياء من عهد إبراهيم وإسماعيل إلى خاتمهم محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم، ذلك التاريخ الذى يقوم على الجهاد والدعوة فى سبيل اللّه..

ولعل فى طواف المسلم حول الكعبة ما يحفزه إلى طواف العقل والقلب فى ملكوت السموات والأرض، واستكشاف آيات الأنفس والآفاق..

فإن الأمة الإسلامية هى أمة القراءة والعلم والحضارة، استجابة لهذا التوجيه الإلهى الأول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]..

ولأول مرة فى تاريخ الرسالات تكون معجزة الإسلام الكبرى كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ينادى صباح مساء بالنظر والتأمل ويطالب بالحجة والبرهان، ويدفع إلى البحث عن السنن الكونية، ويسبح بالإنسان فى أجواء الفضاء، ويغوص به فى أعماق الأرض، ويعلو به قمم الجبال، ويمشى به فى حدائق ذات بهجة، ويركب معه الأمواج، ويستطلع النجوم، ويتعرف على ما خلق اللّه من دابة..

فالقرآن كون مقروء والكون قرآن منظور، وصدق اللّه حيث يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]..

إن المسلمين يوم عقلوا طواف العقل والقلب فى الكون حكموا العالم من أقصاه إلى أقصاه، وحققوا الفردوس الأرضى، وكانت مراكز الحضارة الإسلامية فى بغداد ودمشق والقاهرة وصقلية وقرطبة وغيرها مشاعل النور والهداية للعالمين..

(١) سورة العلق : الآيات (من ١ إلى ٥).
(٢) سورة البقرة : الآية (١٦٤).

سعى الصفا والمروة وسعى الصفاء والمروءة

من مناسك الحج السعى بين الصفا والمروة، وهما فى الأصل جبلان قريبان من الكعبة، وأصبحا الآن داخل المسجد الحرام، يبدأ السعى من الصفا بقراءة الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(1)..

وقد يتوهم البعض أن السعى ليس ركناً، وقد سأل عروة بن الزبير خالته السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ **فقال: إنى لأظن رجلاً لو لم يطف بين الصفا والمروة ما ضره، قالت: لم؟ قال: لأن الله تعالى يقول:** ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، **فقالت: ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة، ولو كان كما تقول لكان «فلا جناح عليه ألاَّ يطوف بهما» وهل تدرى فيما كان ذاك؟ إنما كان ذاك أن الأنصار كانوا يهلون فى الجاهلية لصنمين على شط البحر يقال لهما إساف ونائلة، ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة، ثم يحلقون، فلما جاء الإسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما للذى كانوا يصنعون فى الجاهلية، فأنزل الله عزل وجل:** ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، **فطافوا»..**

وإذا كان الحاج يسعى بين الصفا والمروة فأحرى بنا أن نسعى فى مناحى الحياة كلها خيراً وبراً ومعروفاً..

فهناك سعى إلى ذكر الله والصلاة وبيوت الرحمن، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(2)..

فلا يصح شرعاً مباشرة أى عمل ممن يجب عليه الجمعة وقت النداء لأهمية اجتماع المسلمين فى رحاب بيوت الله يتدارسون القرآن ويتفقهون فى الدين ويتعارفون محبة لله وفى الله..

وهناك سعى لطلب العلم، فإن الحكمة ضالة المؤمن يبحث عنها وينقب

(1) سورة البقرة : الآية (158).   (2) سورة الجمعة : الآية (9).

ويتحمل البأساء والشدة.. وفى حديث رواه أبو داود وابن ماجة وابن حبان قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن سلكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهَّلَ اللَّهُ له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكةَ لتضَعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضًا بما يصنَعُ، وإن العالِمَ يستغفِرُ له مَن فى السمواتِ ومَن فى الأرضِ حتى الحيتان فى الماءِ، وفضلُ العالِمِ على العابِدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، وإن العُلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإن العلماءَ لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذَهُ أَخَذَ بحظٍّ وافرٍ»..

وهناك سعى لإعفاف النفس والولد، وتوفير حاجات الأسرة ونفقاتها وهو أفضل السعى وثوابه أجزل الثواب، وذات يوم «مرَّ على النبىِّ ﷺ رجلٌ فرأى الصحابةُ من جَلَدِهِ ونشاطِهِ، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ لو كان هذا فى سبيلِ اللَّهِ، فقال عليه الصلاةُ والسلام: إن كانَ خَرَجَ يسعَى على ولدِهِ صِغَاراً فهو فى سبيلِ اللَّهِ، وإن كان خَرَجَ يسعَى على أبوينِ شيخَين كبيرَينِ فهو فى سبيلِ اللَّهِ، وإن كان خرجَ يسعَى على نفسهِ يعفُّهَا فهو فى سبيلِ اللَّهِ، وإن كان خرجَ يسعى رياءً ومفاخرةً فهو فى سبيلِ الشيطان».. (رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح)..

وهناك سعى فى حوائج الناس وتيسير العون للضعفاء وكفالة المحتاجين، وفى صحيح الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «من نفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدنيا نفَّسَ اللَّهُ عنه كربةً من كُربِ يومِ القيامَةِ، ومن يسَّر على معسرٍ يسَّرَ اللَّه عليه فى الدنيا والآخرةِ، ومن سَتَرَ مُسلماً سترهُ اللَّهُ فى الدُّنْيَا والآخرةِ، واللَّهُ فى عونِ العبدِ ما كان العبدُ فى عونِ أخيهِ»..

وهناك سعى على الأرامل والمساكين ورعاية لليتامى، وهو يعدل قمم العمل الدينى السامى كالجهاد وقيام الليل بغير نوم وصيام النهار بغير انقطاع.. قال عليه الصلاة والسلام: «الساعِى على الأرملةِ والمسكينِ كالمجاهدِ فى سبيلِ اللَّهِ ـ قال أبو هريرة ـ وأحسبُهُ قال: وكالقائمِ لا يفترُ وكالصائمِ لا يُفطِر»..

إن حركة الحياة واستمرارها مرتبطة بالسعى الحثيث، ويكون السعى مثمراً بناءً بقدر صلته باللَّه والتزامه بمنهج اللَّه، حينئذ يعم الخير، وتنتشر المروءة، ويسود الصفاء..

***

◆◆ عرفـات اللّــه وتعــارف البشــر

أهم ركن فى الحج هو الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة، ومن فاته الوقوف فاته الحج، وقد قال رسول اللّه ﷺ: «الحـــجُّ عَـــرَفَـــةُ»..

ويلتقى الحجيج آلافاً مؤلفة بزى الإحرام الموحد، فى زمان ومكان واحد، يحاولون استشراف الحياة فى أصلها مجردين من الزخرف والشهوات، متعالين على الأعراق والأنساب، متجاوزين الألقاب والمراتب، يجأرون إلى اللّه تعالى بالولاء الخالص والدعاء الضارع.

وفى صحيح مسلم قال رسول اللّه ﷺ: «**ما من يوم أكثرَ من أن يُعتِقَ اللّهُ فيهِ عَبيداً من النارِ من يومِ عرفة، وإنه ليدنُو يتجلَّى ثم يُبَاهِي بهم الملائكةَ فيقولُ: ما أرادَ هَؤُلاءِ؟**»..

إن يوم عرفة يؤكد قيماً علياً تقوم عليها الحياة، ويتعايش بها الناس كى يحققوا سعادة الدنيا وكرامة الآخرة..

وفى يوم عرفة وكان يوم جمعة حج رسول اللّه ﷺ حجته التى ودع فيها أمته وقال لهم: «**اسمَعُوا قولِى فإنِّى لا أدرِى لعلِّى لا ألقاكُم بعد عامِى هذا بهذا الموقفِ أبداً**».

وتسمى حجة البلاغ لأن الرسول ﷺ كان يقول عقب كل أمر أو نهى فى خطبته: «**ألا هل بلَّغتُ؟ فيقول الجمع الحاشد: نَعَمْ، فيقولُ الرسولُ الكريمُ ﷺ: «اللهُمَّ فاشهَدْ**»..

وتسمى حجة الإسلام لأنها الحجة الوحيدة التى أداها الرسول ﷺ بعد فرضية الحج فى الإسلام، فالحج فرض على المسلمين فى العام السادس للهجرة وأداها الرسول ﷺ فى العام العاشر للهجرة..

وقد نزل فى يوم عرفة قول اللّه تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[1]..

فالمسلم يستشعر نعمة اللّه عليه فى أداء النسك وفى الهداية للدين الحق وفى

(١) سورة المائدة : الآية (٣).

نعمة التعارف الإسلامى، حيث يلتقى المسلمون على صعيد عرفات من كل فج عميق، يلبون بهذا النداء الخالد: «لبيكَ اللهمَّ لبيكَ، لبيكَ لا شريكَ لك لبيكَ، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ، لا شريكَ لكَ»..

وبالنسبة للمسلم غير الحاج فإنه يستشعر هذه المعانى كلها ويصوم يوم عرفة، وهو اليوم التاسع من ذى الحجة، ويحظى بثواب اللَّه تعالى الذى وعد به على لسان رسول اللَّه ﷺ فى قوله: «صيامُ يومِ عرفة إنِّى أحتَسِبُ على اللَّهِ أن يُكَفِّرَ السنةَ التى بَعدَهُ والسنةَ التى قَبلَهُ»..

ومن السنة أن يكبر المسلمون رجالاً ونساءً وأطفالاً ليلة العيد من غروب الشمس إلى أن يدخل الإمام فى صلاة العيد، وهذا التكبير يكون مطلقاً فى البيوت والأماكن العامة لأنه شعار الأعياد فى الإسلام..

وهناك تكبير مقيد عقب الفرائض من صبح يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق الثلاثة بعد العيد..

وصيغة التكبير فيها سعة والمهم هو استشعار العظمة والجلال والكمال للَّه رب العالمين، فقد نقول: «اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلهَ إلا اللهُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللَّهِ الحمدُ»..

وقد نزيد ونقول: «اللهُ أكبرُ كبيرا، والحمدُ للَّه كثيراً، وسبحانَ اللَّه بكرةً وأصيلاً، لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ صدَقَ وعدَهُ ونصَرَ عَبْدَهُ وأعزَّ جُنْدَهُ وهَزَمَ الأحزابَ وَحدَهُ، لا إلهَ إلا اللهُ ولا نعبدُ إلا إيَّاهُ مُخلِصِينَ له الدِّينَ ولو كَرِهَ الكافِرُونَ»..

وهى معانٍ جميلة ورائعة، وفيها تثبيت للعقيدة وتنمية للوعى الدينى، وسمو بالروح إلى آفاق الملأ الأعلى..

إن يوم عرفة يذكرنا بضرورة التعارف البشرى والتقارب الإنسانى الذى سجله القرآن المجيد فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]..

إن الأصل الواحد الذى انبثق منه البشر، والرحم الأولى التى توالد منها الإنسان يتطلب حقوقاً وواجبات.. فالنفس الإنسانية لها كرامتها واحترامها،

(١) سورة الحجرات : الآية (١٣).

وحرمة المال والعرض من أعظم الحرمات، والنفس الواحدة تمثل الإنسانية بأسرها، قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(١)..

وفى خطبة الوداع قال الرسول ﷺ فى نصيحة عامة: «أتدرونَ أىَّ يومٍ هذا؟ قالوا: اللّه ورُسولهُ أعلمُ، فسكتَ حتى ظننَّا أنه سيُسَمِّيه بغير اسمهِ، قال: أليسَ هذا يومُ النحرِ؟ قالوا: بلَى، قال: أىُّ شهرٍ هذا؟ قالوا: اللّه ورسولهُ أعلمُ، فسكت حتى ظننَّا أنه سيُسَمِّيه بغيرِ اسمِهِ، قال: أليس ذا الحجة؟ قالوا: بلَى، قال: أىُّ بلدٍ هذا؟ قالوا: اللّهُ ورسولهُ أعلمُ، فسكتَ حتى ظننَّا أنه سيُسَمِّيه بغير اسمِهِ، قال: أليسَ بالبلدِ الحرَامِ؟ قالوا: بلَى، قال: فإن دِمَاءَكم وأموالَكم عليكم حرامٌ كحرمَةِ يومِكُم هذا، فى شهركِمُ هذا، فى بلدكِمُ هذا، إلى يومِ تلقَون رَبَّكم، ألا هَلْ بلغتُ؟ قالوا: نَعَمْ، قال: اللهُمَّ اشْهَدْ، فليبلِّغ الشَاهِدُ منكم الغائِبَ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعَى من سامعٍ، فلا ترجِعُوا بعدِى كُفَّاراً يضرِبُ بعضُكم رِقَابَ بَعْضٍ»..

إن الجموع الحاشدة التى تلتقى فى عرفات اللّه تجعلنا نحن المسلمين نوقن أن صلاح أمتنا الإسلامية مرهون بالتوحيد والوحدة، التوحيد فى العقيدة، والوحدة فى المجتمع.. فنحن إزاء ما نعانيه من الزحف الإلحادى والانحراف الخلقى والفساد الاجتماعى والتيارات الآثمة ـ لن تكون هناك وسيلة للخلاص إلا أن نعيد الأمة إلى كلمة التوحيد الخالص للّه رب العالمين..

ونحن فى مواجهة الاحتكارات العالمية، والكتل الدولية لن تستقيم للمسلمين حياتهم إلا بالوحدة والتكامل الاقتصادى والبشرى..

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(٢)..

وقال رسول اللّه ﷺ: «مَثَلُ المؤمِنِينَ فى توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهِم مثلُ الجسدِ إذا اشتكَى منه عضوٌ تداعَى له سائرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى»..

إن الأمة الإسلامية من المحيط إلى المحيط قد حباها اللّه بخيرات وفيرة وموارد ضخمة وإمكانات هائلة تنادى المؤمنين صباح مساء كى تنفحهم بثمراتها المباركة..

(١) سورة المائدة : الآية (٣٢).

(٢) سورة الأنبياء : الآية (٩٢).

إن وقفة عرفات تجمع زعماء الأمة ورجالها فى مختلف نواحى الحياة الفكرية والاقتصادية والسياسية، كى يتدارسوا أحوال المسلمين ويتحملوا أمانة إصلاح المجتمع..

***

الهدى والأضحية والتكافل الاجتماعى

من شعائر اللّه وتقوى القلوب وحرمات اللّه التى تعظم - الهدى فى الحج والأضحية.. والهدى هو ما يهدى إلى الحرم من الأنعام..

والأضحية هى الذبيحة التى يتقرب بها إلى اللّه تعالى أيام عيد الأضحى المبارك، وسميت بذلك لأنها تفعل فى وقت الضحى، وهو ارتفاع الشمس فى أول النهار..

والأضحية تذكرنا بقصة الفداء لإسماعيل عليه السلام، عندما رأى إبراهيم الخليل فى المنام أنه يذبح ولده، ورؤيا الأنبياء حق، فلما همَّ بتنفيذ رؤياه، واستسلم كل منهما لقضاء اللّه، جاء الفداء من السماء.. قال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[(١)]..

والأضحية سنة على الموسر لقوله ﷺ - كما فى صحيح الحديث -: **«إنَّ أولَ مَا نبدأ بهِ فى يومِنَا هذا - أى فى يوم عيدِ الأضحَى - نُصلِّى ثم نرجِعُ فننحرُ، فمَنْ فَعلَ ذلك فقد أصابَ سُنَّتنَا، ومن ذَبَح قبل الصلاةِ فإنَّما هو لحمٌ قدَّمه لأهلهِ ليسَ من النُّسكِ فى شَئٍ»**..

ومعنى هذا الحديث الشريف أن الأضحية لا تذبح إلا بعد طلوع الشمس يوم العيد بقدر ما يسع الصلاة، فمن ذبح قبل ذلك فلا ثواب له عن الأضحية وإنما له ثواب الصدقة إن تصدق..

ويستمر وقت الذبح من يوم العيد إلى آخر أيام التشريق الثلاثة وهى اليوم الحادى عشر من ذى الحجة والثانى عشر والثالث عشر.. فيمكن لمن فاته الذبح يوم العيد وهو اليوم العاشر من ذى الحجة أن يذبح فى هذه الأيام الثلاثة..

(١) سورة الصافات: الآيات (من ١٠٤ إلى ١٠٧).

والأضحية فى عيد الأضحى تقابل زكاة الفطر فى رمضان، مقصود بها التوسعة على المسلمين، والتكافل الاجتماعى للمحتاجين، والصلة لذوى الرحم والقربى، وهى أحب عمل إلى اللّه تعالى فى أيام العيد، قال رسول ﷺ ـ كما رواه الترمذى ـ: «ما عَمِلَ ابنُ آدمَ يومَ النحرِ من عملٍ أحبّ إلى اللّهِ تعالى من إراقةِ الدم، إنها لتأتِى يومَ القيامَةِ بقرُونِهَا وأظلافِهَا، وإن الدَّم ليقعُ من اللّهِ بمكانٍ قبل أن يقعَ على الأرضِ، فطِيبوا بها نفساً»..

ويستحب أن يقوم المسلم بذبح أضحيته بنفسه، فإن لم يحسن الذبح وكّل بها من يذبحها ويشهدها معه، ويقول: «بسمِ اللّهِ، واللّهُ أكبرُ، اللهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آلِ محمَّدٍ وصحبهِ وسلم، اللهم مِنكَ وإليكَ، اللهم تقبَّلْ مِنّى»..

وفى مسند عبدالرزاق: «كانَ رسولُ اللّهِ ﷺ إذا أرادَ أن يُضَحِّى اشترىَ كَبشَينِ عَظِيمَينِ سمينَينِ أقرَنَينِ أملَحَينِ موجوءَينِ، فذَبَحَ أحدَهُمَا عن محمدٍ وآلِ محمدٍ، والآخرَ عن أُمَّتِهِ، من شَهِدَ للّهِ بالتوحيدِ ولَهُ بالبَلاَغِ»..

ومعنى الموجوء المنزوع الأنثيين وهو الخصاء، لأن الخصاء يفيد اللحم ويجعله طيباً..

هذا وفى أحد الأعوام على عهد رسول اللّه ﷺ كان بالمسلمين ضائقة مالية ومعاناة فقال عليه الصلاة والسلام: «من ضحَّى مِنكُمْ فلا يُصبِحَنَّ بعدَ ثالثةٍ وفى بيتهِ مِنْهُ شئٌ» أى أن لحم الأضاحى لا يدخر بل يوزع على الفقراء، ويأكل منه المضحى ثلاثة أيام فقط..

فلما كان العام التالى قالوا: يا رسولَ اللّه: نفعل كما فعلْنا العامَ الماضِى، فقال عليه الصلاة والسلام: «كُلُوا وأطعِمُوا وادَّخِرُوا فإنَّ ذلك العامَ كانَ بالناسِ جَهْدٌ فأردتُ أن تُعِينُوا فيهِ»..

وعلى هذا فيمكن للمسلم أن يقسم أضحيته ثلاثة أقسام، قسم يأكله وقسم يهديه، وقسم يتصدق به.. ومما تجدر ملاحظته أن ما يُخرج من الأضحية يشترط فيه أن يكون نَيِّئًا [1]، فلا يكفى جعله طعاماً ودعوة الناس أو الفقراء إليه، كذلك لا يجوز أن يباع من الأضحية شىء، وعلى سبيل المثال يمنع إعطاء الجزار جلدها

(١) ناء اللحم إذا لم ينضج فهى نىء بوزن نيل .

مقابل الذبح، بل يعطى أجرة الذبح نقوداً ثم إن كان فقيراً يعطى الجلد أوغيره كصدقة وليس كأجرة..

وهناك رأى لابن حزم الأندلسى فى الأضحية، فهو يرى أنها جائزة بكل حيوان يؤكل لحمه من ذى أربع أو طائر، والأفضل فى كل ذلك ما طاب لحمه وكثر وغلا ثمنه، ونقل عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال: لقد رأيتُ أبا بكرٍ وعُمرَ وما يضحّيانِ كراهة أن يُقتدى بهما، أى يعتقد الناس فرضية الأضحية..

ونقل عن بلال قوله: «ما كُنتُ أُبَالى لو ضَحَّيتُ بِدِيكٍ، ولأن آخُذَ ثَمَنَ الأضحِيةِ فأتصدَّقُ بهِ على مسكينٍ فقيرٍ فهو أحبُ إليَّ»..

وأعطى ابن عباس مولى له درهمين وقال له: اشتر بهما لحماً، ومن لقيك فقل هذه أضحية ابن عباس..

وحاول الإمام ابن حزم أن يلتمس دليلاً من الحديث المشهور: «من اغتسَلَ يومَ الجمعةِ ثم راحَ فى الساعةِ الأُولى فكأنما قرَّب بدنةً، ومن راحَ فى الساعةِ الثانيةِ فكأنما قرَّب بقرةً، ومن راحَ فى الساعةِ الثالثةِ فكأنّما قرَّب كبشاً أقرن، ومن راحَ فى الساعةِ الرابعةِ فكأنّما قرَّب دجاجةً، ومن راحَ فى الساعةِ الخامسةِ فكأنَّما قرَّب بيضةً».

وأيا ما كان فإن كل مسلم يجود بما تيسر عنده، ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

إن قيام المسلم بأداء هذا الحق وغيره من الحقوق المالية قيام بالواجب لذاته، وهو خال من الرياء والمن والأذى، ويحتسبه عند اللّه عز وجل، قال اللّه تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾(٢)، ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾ (٣)..

فالمال مال اللّه استخلفنا فيه، والواجب يحتم علينا المشاركة بمال اللّه فى مساعدة خلق اللّه، وذات يوم قال رسول اللّه ﷺ لأصحابه: «من كان معه فضلُ ظَهرٍ فليعُدْ بهِ علَى مَنْ لا ظَهرَ لَهُ، ومن كان له فضلٌ من زادٍ فليعُدْ به على من

(١) سورة التوبة : الآية (٩١). (٢) سورة الحج : الآية (٣٧).
(٣) سورة الإنسان : الآية (٩).

لا زَادَ لَهُ، قال الراوي: فذكَرَ من أصنافِ المالِ ما ذَكَر حتَّى رأينا أنَّهُ لا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا في فضلٍ»..

وليس للمرء من ماله إلا ما تصدق به، فكل إنسان فى ظل صدقته يوم القيامة، وما عدا ذلك فمآكل تفنى وملابس تبلى ومظاهر خادعة، وفى تشبيه رائع تحكى السيدة عائشة ـ كما رواه الترمذى ـ «أنهم ذبحُوا شاةً، فقالَ النبيُّ ﷺ: ما بَقِيَ مِنهَا؟ قالت: ما بَقِيَ منها إلا كَتِفُهَا، قال عليه الصلاة والسلام: بَقِيَ كُلُّها غيرَ كَتِفِهَا»..

فلننظر إلى هذا المعنى الرائع الجميل، فالذى أنفق من الشاة هو الباقى وإن عادت منفعته إلى الغير، والذى ترك من الشاة هو الفانى وإن عادت منفعته إلى الشخص..

***

◆◆ رمـــى الجمـــرات رغمـــاً للشـــيطـــان

من مناسك الحج رمى الجمرات، ويبدأ برمى جمرة العقبة يوم العاشر من ذى الحجة، وهى الجمرة الكبرى، ثم يكون الرمى للجمرات الثلاث الصغرى والوسطى والكبرى فى أيام التشريق الثلاثة بعد العيد..

قال اللَّه تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1]..

وكل جمرة ترمى بسبع حصيات، ومجموع الحصيات لمن تعجل تسع وأربعون حصاة، ولمن تأخر سبعون، ويقول الرامى عند كل حصاة: بسم اللَّهِ واللَّهُ أكبر رغماً للشيطان وحزبِه..

وهذا الموقف الرمزى فى الحج له دلالته العميقة فى حياة المسلم، فإن الشيطان عدو للإنسان، وقد اتخذ العهد على نفسه منذ هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض، كى يصرف الناس عن الحق والخير..

قال اللَّه تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[2]..

(١) سورة البقرة : الآية (٢٠٣). (٢) سورة الأعراف : الآيات (١٦ ، ١٧).

وقد وعد اللّه - ووعده حق - أن يحمى عباده الصالحين من نزغات الشيطان فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1]..

إن سبل الشيطان متعددة، وهى فى جملتها إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فالشيطان يصد عن ذكر اللّه والصلاة، ويشغل الناس عن الخشوع فى العبادة، ويلهيهم عن مواقيتها ويدفعهم إلى انحراف السلوك والفكر والعقيدة، ويزين لهم القبيح.. قال اللّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[2]..

والشيطان يخوف أولياءه من الجهاد ويلقى فى قلوبهم الوهن ويغرس فيهم الجبن.. قال اللّه تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3]..

والشيطان يصد الناس عن الإيمان ويصرفهم عن تحكيم منهج الله والولاء لشريعته.. قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[4]..

والشيطان يمنع الناس من المشاركة فى التكافل الاجتماعى ويقذف فى قلوبهم حب الدنيا وخوف الفقر فلا يتصدقون.. قال اللّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[5]..

ومن هنا فإن العاقبة الوخيمة التى تنتظر إبليس وجنوده والغاوين هى جهنم وبئس المصير.. قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[6]..

---

(١) سورة الحجر: الآية(٤٢). (٢) سورة المائدة: الآيات(٩٠،٩١). (٣) سورة آل عمران: الآيات(من١٧٣إلى١٧٥).
(٤) سورة النساء : الآية (٦٠). (٥) سورة البقرة : الآيات (٢٦٧ ، ٢٦٨). (٦) سورة فاطر : الآية (٦).

وليكن معلوماً أن لفظ الشيطان يعنى المتمرد، سواء كان من الجن أو الإنس، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾(1)..

كما أطلق القرآن لفظ الوسواس الخناس على كل صاحب كلام خفى يخدع به الناس ويزين لهم القبح سواء كان جنياً أو إنسياً، فقال: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾(2)..

ومهما يكن من أمر فإن مهمة الشيطان هى مجرد الوسوسة والتزيين، وتقع المسئولية كاملة على الإنسان المنحرف الذى يتبع خطوات الشيطان ويلغى عقله وفكره، ويغمض عينيه دون النور والهدى، وقد وضح القرآن هذه المسئولية بما لا يدع مجالاً للريب، فقال: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(3)..

***

◆◆ عشر ذى الحجة

إن لله تعالى نفحات على عباده تتجلى فى أوقات وأماكن يختارها المولى جل شأنه ويصطفيها ترغيباً فى الطاعة ومضاعفة للثواب، حتى يزداد الناس حبًّا لله واستقامة على سبيل الرشاد..

من هذه النفحات عَشْر ذى الحجة، من أول شهر ذى الحجة إلى اليوم العاشر منه وهو المسمى يوم النحر أو عيد الأضحى، وقد قال رسول الله ﷺ ـ كما رواه البخارى ـ: **«ما مِن أيامِ العملُ الصالحُ فيها أفضلُ مِنهُ فى هذهِ العشرِ ـ يعنى العشر الأوائل من ذى الحجةِ ـ قالوا: ولا الجهادُ فى سبيلِ اللهِ؟ قال: ولا الجهادُ فى سبيلِ اللهِ إلا رَجُلٌ خَرَجَ بنفسِهِ ومالِهِ ثم لَمْ يرجِعْ من ذلك بشىءٍ»**..

(1) سورة الأنعام: الآية (112).
(2) سورة الناس: الآيات (من ٤ إلى ٦).
(3) سورة إبراهيم: الآية (22).

فالرسول الكريم ﷺ يدعونا إلى مزيد من العمل الصالح وفعل الخير والبر والمعروف لأن العمل فى هذه الفترة الزمنية له ثواب كبير ومنزلة عظيمة عند اللَّه تعالى فالمسلم بعد وفائه بفرائض الدين وأركانه التى يتحتم عليه أداؤها والقيام بها يستزيد من نوافل الصلاة والصيام والصدقة وصلة الرحم ومساعدة المحتاجين ومساندة البؤساء وكفالة اليتامى وتفريج هموم المكروبين..

وهذا العمل الصالح مطلوب فى كل وقت لكنه يتأكد فى العشر الأوائل من ذى الحجة..

وإذا علمنا أن المجاهد فى سبيل اللَّه موصول الثواب دائماً وأنه يعدل الصائم القائم القانت بآيات اللَّه لا يفتر من صيام ولا صلاة - أدركنا مدى فضل اللَّه على عباده فى عشر ذى الحجة..

قال اللَّه تعالى: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلاَ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١]..

وقد اجتمع لعشر ذى الحجة من دواعى التفضيل الشيء الكثير، فهذه الأيام من الأشهر الحرم التى عظمها اللَّه تعالى وجعلها ديناً قيماً، وتلك الأشهر الحرم هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾[٢]..

ومن معالم هذه العشر الأوائل من ذى الحجة يوم عرفة، الذى يمثل الركن الأساسى فى الحج، فالحج عرفة، فمن فاته الوقوف بعرفة فاته الحج وعليه أن يقضيه فى العام التالى..

وصيام يوم عرفة له فضل جزيل، وفى صحيح مسلم قال النبى ﷺ: «صيامُ يومِ عرفة أحتسِبُ على اللهِ أن يُكفِّرَ السنةَ التى قَبلَهُ والسنةَ التى بَعدَهُ» والمعنى

(١) سورة التوبة : الآيات (١٢٠ ، ١٢١).
(٢) سورة التوبة : الآية (٣٦) .

أنه يكفر ذنوب صائمه فى سنتين، والمراد الصغائر ورفع الدرجات، أما الكبائر فتحتاج إلى توبة نصوح، وأما حقوق العباد فتحتاج إلى رد الحقوق لأصحابها..

ولا يستحب صيام هذا اليوم للحاج لأنه مشغول بأداء المناسك ولكيلا يضعف عن أداء الطاعات المنوطة بالحج..

وبهذا يكون المسلمون جميعاً وقوفاً على باب الرحمة والمغفرة، هذا بحجه وذاك بصومه..

وقد قال رسول اللّٰه ﷺ فى فضل يوم عرفة ـ كما فى صحيح مسلم ـ: «**مَا مِن يومٍ أكثرَ من أن يُعتِقَ اللّٰهُ فيه عَبداً من النارِ من يومِ عَرفَة، وإنه ليدنُو ثم يُبَاهِى بهم الملائكةَ، فيقولُ: ما أرادَ هَؤُلاءِ**»..

والمراد بالدنو هنا دنو الرحمة والكرامة لا دُنو المسافة والمماسة تعالى اللّٰه عن ذلك علواً كبيراً..

وفى رواية لأحمد وابن حبان والحاكم قال عليه الصلاة والسلام: «**إن اللّٰهَ يُبَاهِى بأهلِ عرفاتٍ أهلَ السَّماءِ، فيقولُ لهم: انظرُوا إلى عِبَادِى جَـاءُونِى شُـعثاً غُبْرًا**»..

وقد يتساءل البعض ويقول: أيهما أفضل هذه العشر الأوائل من ذى الحجة أم العشر الأواخر من رمضان التى أحياها الرسول ﷺ وأيقظ أهله فيها وجَدّ وشد المئزر؟..

والجواب أن أيام عشر ذى الحجة أفضل من أيام عشر رمضان لأن فى الأولى يوم النحر الذى هو يوم الحج الأكبر، ويوم عرفة ويوم التروية وهى أيام مباركة، وأن ليالى العشر الأخير من رمضان أفضل من ليالى عشر ذى الحجة لأن فى الأولى ليلة القدر وهى خير من ألف شهر، أى أن التفضيل فى عشر ذى الحجة باعتبار الأيام، وفى عشر رمضان باعتبار الليالى..

فما أحرانا أن نستقبل هذه المناسبات الكريمة بالتوبة الصادقة والاستقامة على الحق والاعتصام بحبل اللّٰه القوى المتين..

***

◆◆ زيـارة المسـجد النبـوى والسـلام علـى رسـول اللـه ﷺ

الحديث عن أدب الزيارة النبوية تتداعى إليه أمور تثير الحس المؤمن، وتجعله يشدو بقلبه ولسانه: «**اللهمَّ صَلِّ على مُحمدٍ وعلى آل مُحمدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ، وبارِكْ على مُحمدٍ وعلى آل مُحمدٍ كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ فى العالمِينَ، إنكَ حميدٌ مَجِيدٌ**».

إن زيارة الرسول الكريم ﷺ تعنى التواجد فى المدينة المنورة والصلاة فى المسجد النبوى الشريف، والتشرف بالسلام على سيد الأولين والآخرين..

أما المدينة ففضلها عظيم ومكانتها كبيرة ومنزلتها فى الدين رفيعة، فهى ملتقى المهاجرين والأنصار، وفيها تأسست الدولة الإسلامية، ومنها خرجت جيوش الرحمن وكتائب الإسلام تنشر نور الله فى كل مكان..

وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أنه لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، وأن الإيمان يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها، وأنها تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد، وأن المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون..

وعن مالك رضي الله عنه أنه بلغه أن عمر بن عبدالعزيز حين خرج من المدينة التفت إليها فبكى ثم قال لمن معه: يا مزاحم أتخشى أن تكون ممن نفت المدينة؟!

ومسجد رسول الله ﷺ هو خير مسجد بعد المسجد الحرام، وأحد المساجد الثلاثة التى تضاعف فيها الصلاة، ويُسعى إليها من آفاق الأرض، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تُشدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ مسجِدِى هذا والمسجدِ الحرامِ والمسجدِ الأقصَى**».. وقال: «**صلاةٌ فى مسجِدِى هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سِواهُ إلا المسجدَ الحرامَ**»..

وبالمسجد النبوى الروضة الشريفة، وفى فضلها ورد الحديث الشريف: «**مَا بينَ بيتِى ومِنبَرِى روضةٌ من رياضِ الجنة**»..

أما القبر الذى يضم الجسد الشريف فهو فى الأصل حجرة السيدة عائشة، لأن الأنبياء يدفنون حيث يموتون، وقد انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو فى حجرة أم المؤمنين عائشة مستنداً إلى صدرها، وقد أصغت إليه يقول: «**اللهم اغفِرْ لى وارحَمْنِى وألحِقْنِى بالرفيقِ الأعلَى**»..

وفى موطأ الإمام مالك عن يحيى بن سعيد أن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: «رأيتُ ثلاثةَ أقمارٍ سَقَطْنَ فى حُجرتِى فقصَصتُ رُؤيايَ على أبِى بكرٍ الصديق، قالت: فلما تُوفِّى رسولُ اللّه ﷺ ودُفِنَ فى بيتِها قال لها أبو بكر: هذا أحدُ أقمارِكِ وهو خيرُها»..

والأدب فى الزيارة والتشرف بالسلام على المصطفى الأمين أن يبدأ المسلم بصلاة تحية المسجد فى الروضة الشريفة أو فى أى مكان خال من المسجد، ثم يتقدم إلى القبر الشريف من ناحية القبلة بأدب وسكينة وخشوع، ويقف تلقاء القبر بوجهه ويقول: السلام عليك أيها النبىُ ورحمةُ اللّه وبركاتُه..

ولا حرج أن يتوسع بذكر بعض أوصافه وأحواله ﷺ..

ثم يتقدم إلى جهة يمينه قدر ذراع ليواجه الصديق رضي الله عنه فيسلم عليه، ثم يتقدم قدر ذراع أخرى ليواجه الفاروق عمر رضي الله عنه فيسلم عليه.

وإذا أراد الزائر أن يدعو لنفسه بعد ذلك فليستقبل القبلة ولا يستقبل القبر..

وجاء فى بعض الروايات «كان أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجدُ جسوا رمانةَ المنبرِ التى تلقاءَ القبرِ بميامِنِهم ثم استقبلوا القبلةَ يدعُون»..

وكان ابن عمر ـ رضى اللّه عنهما ـ يجىء إلى القبر فيقول: «السلام على النبى ﷺ، السلامُ على أبى بكر، السلام على أبى».. ثم ينصرف..

وفرّق بعض العلماء بين أهل المدينة والقادمين عليها من الآفاق.. فقال الإمام مالك: وليس يلزم من دخل المسجد وخرج من أهل المدينة الوقوفُ بالقبر وإنما ذلك للغرباء..

وقال أيضاً ـ كما نقل ذلك الإمام ابن تيمية فى الفتاوى : ولا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقفَ على قبرِ النبى ﷺ فيصلّي عليه ويدعو له ولأبى بكر وعمر..

قال ابن القاسم: ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوا أتوا القبر فسلموا..

وذلك كله تحيةً للنبى ﷺ وتشرفاً بالسلام عليه..

وهذا التفريق بين أهل المدينة والقادمين يتبعه تفريق آخر فى حكم التنفل فى

مسجد الرسول ﷺ، فالمعلوم فقهاً أن صلاة الرجل فى بيته أفضل إلا المكتوبة، لكن الإمام مالكاً قال: «والتنفُّل فيه للغرباءِ أحبُّ إليَّ من التنفلِ فى البيوت»..

ومما يجب التنبيه إليه أن نتذكر حديث الرسول الأمين: «اللهمَّ لا تجعَلْ قَبْرِى وَثَناً يُعبَدَ، اشتدَّ غضبُ اللَّه على قومٍ اتخذُوا قُبورَ أنبيائِهم مساجِدَ»..

فحب رسول اللَّه ﷺ فى صورته المثالية هو الالتزام الكامل بسنته وهديه..

وروى سعيد بن منصور أن عبداللَّه بن حسن بن حسن بن على رأى رجلاً يكثر الاختلاف إلى قبر النبى ﷺ فقال له: يا هذا إن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا تتخِذُوا قبرِى عِيداً، وصلُّوا علىَّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلُغُنِى..

فما أنتَ ورجلٌ بالأندلسِ منه إلا سواء»..

***

◆◆ لا جدال فى الحج

قال اللَّه تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾(1)..

(أ) ميقات الحج الزمانى:

للحج ميقات زمانى هو شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة، فمن أراد الحج نواه فى هذا الميقات الزمانى والتزم بمحظورات الإحرام وواصل مسيرة أداء النسك.. ولا تصح نية الحج والإحرام به فى غير هذا الميقات الزمانى..

(ب) آداب الحج:

المحرم بالحج يلتزم آداباً رفيعة تجعله فى محل المناجاة العلوية مع الخالق جل شأنه، وتصل بالحاج إلى مراقى الكمال الروحى..

وقد أشارت الآية الكريمة إلى ثلاثة جوانب أساسية هى:

(١) سورة البقرة : الآية (١٩٧).

١ ـ النهى عن الرفث، والرفث هو الجماع ودواعيه، فيحرم على الحاج المعاشرة الزوجية ومقدماتها..

وقد جاء الرفث بمعنى الجماع فى قوله:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[1]..

وذكر ابن جرير أن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ كان يقول: «الرفثُ إتيانُ النساءِ والتكلُّمُ بذلكَ للرجالِ والنساءِ إذا ذَكَرُوا ذلك بأفواهِهِمْ»..

٢ ـ النهى عن الفسوق، والفسوق هو معاصى الله عز وجل، سواء كانت متعلقة بالإحرام أو عامة لكل ما نهى الله عنه، فهناك محظورات للإحرام كقتل الصيد ولبس المخيط وتقليم الأظافر واستعمال الطيب وغير ذلك..

ويدخل فى الفسوق كل معصية، فالحاج الذى ترك الأهل والوطن وتحمل المشاق فى النفس والمال يجدر به أن يواصل مسيرة النقاء والطهر، وينأى بنفسه عن كبائر الذنوب وصغائرها، فلا يزاحم ولا يظلم فى بيعه وشرائه، ولا يبخس الناس أشياءهم ولا يسىء إلى أحد..

وإذا كان اجتناب المعاصى واجباً في كل وقت إلا أنه فى وقت الإحرام بالحج ألزم ولهذا كان مجرد نية السوء فى الحرم تحمل صاحبها وزراً كبيراً وذنباً عظيماً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]..

٣ ـ النهى عن الجدال فى الحج. وهذا النهى له معنيان:

المعنى الأول: لا جدال فى مشروعية الحج وفرضيته وحكمة مناسكه، فهذا أمر مقرر شرعاً بنصوص صحيحة وصريحة لا تحتمل تأويلاً.

إن هناك افتراءات يرددها أصحاب المذاهب الهدامة، وغرباء الفكر حول مناسك الحج ويصفونه بأنه من بقايا الجاهلية، ويتناسون أن شريعة الحج عرفتها رسالات الله إلى البشر قبل الإسلام وأن البيت الحرام بمكة المكرمة هو بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وأن دعوة إبراهيم الخليل مازالت تؤتى ثمارها الطيبة المباركة وستظل بمشيئة الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ

(١) سورة البقرة: الآية (١٨٧). (٢) سورة الحج: الآية (٢٥).

بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾(١)، فلا مراء فى مشروعية الحج ولا مناقشة فى ركنيته، ولا خلاف فى آثاره المباركة..

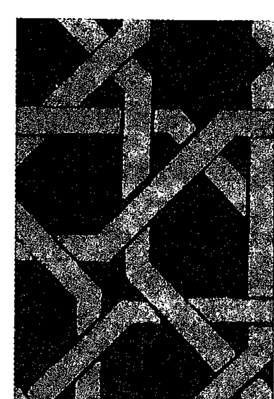
المعنى الثانى: لا مجال للمخاصمة والمنازعة فى موسم الحج، فالمسلم حريص على أن يسالم الزمان والمكان والبشر والمخلوقات كلها..

فالزمان من الأشهر الحرم، والمكان هو البيت الحرام ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾(٢)، وحرم صيد البر أثناء الإحرام.. وهكذا فالمناسبة كلها مناسبة سلام وأمن وإخاء وصفاء..

والمطلوب من المسلم الحاج هنا فعل الخير والتزود بالتقوى فى موسم الحج وفى كل وقت: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾(٣)..

***

(١) سورة الحج : الآيات (من ٢٧ إلى ٢٩).
(٢) سورة آل عمران: من الآية (٩٧).
(٣) سورة البقرة : الآية (١٩٧) .



٢ فتاوى فى الحج

◆◆ ١ - حكمة الحج فى ميقاته

س : ما أسباب الاختيار الإلهى لأداء الحج فى مكة وفى شهر ذى الحجة؟

***

ج : يجب أن يتنبه المسلم إلى أن الاختيار الإلهى لشىء ما لا يعلل إلا بالمشيئة الإلهية، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١)..

وقال جل شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾(٢)..

ويمكن لنا نحن البشر أن نتلمس حكماً لهذا الاختيار الإلهى، لكننا لا نحيط بالحكم كلها..

فالله تعالى اختار مكة مقصداً للحج لكونها أم القرى، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(٣)، قال الإمام الرازى فى تفسيره: «وأمُّ القرى أصلُ القرى، وهى مكة، وسُمِّيَت بهذا الاسم إجلالاً لها لأن فيها البيتَ ومقامَ إبراهيم، والعربُ تسمى أصل كل شىء أمه، حتى يقال هذه القصيدة من أمهات قصائد فلان»..

هذا وقد رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعد البيت الحرام فى هذه البقعة المباركة بإذن الله ليكون مثابة للناس وأمناً، أى يعتادون الذهاب إليه والرجوع منه مرات عديدة على مدى حياتهم كلها فى أمن وأمان..

(١) سورة القصص : الآية (٦٨). (٢) سورة الأحزاب : الآية (٣٦) . (٣) سورة الشورى : الآية (٧).

والكعبة المشرفة هى أول بيت بنى لعبادة اللّه وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1]..

واختار اللّه تعالى للحج زماناً هو ما يسمى بالميقات الزمانى وهو شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة، قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾[2]، أى أن المسلم لا يستطيع أن ينوى الحج إلا فى هذا الوقت بالذات على أن يقف يوم التاسع من ذى الحجة بجبل عرفات، فالحج عرفة ومن فاته الوقوف بعرفة فاته الحج..

ومن المعلوم شرعاً أن ذا القعدة وذا الحجة من الأشهر الحرم التى عظمها اللّه تعالى فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[3]..

***

◆◆ ٢ - معنـــى «بكـــة»

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾[4]؟ فما المقصود بالبيت؟ وماذا تعنى كلمة «بكة»؟

***

ج : أول بيت وضع للناس للعبادة والطاعة هو الكعبة المشرفة، رفع قواعدها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، والأولية أولية فضل ومكانة وتعظيم فهى أقدس مكان وأطهره، وأعز بيت وأرفعه..

وجاء فى الصحيحين عن أبى ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قلتُ يا رسولَ اللّهِ أىُّ مسجدٍ وُضِعَ أوّل؟ قال: المسجدُ الحرامُ، قلت: ثم أىّ؟ قال: المسجدُ الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعونَ سنةً»..

ومن المعروف أن المسجد الأقصى هو بناء يعقوب وهو ابن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام، فيكون يعقوب قد اكتسب صنعة البناء من جده الخليل واقتفى

(١) سورة آل عمران : الآيات (٩٦ ، ٩٧) .
(٢) سورة البقرة : الآية (١٩٧) .
(٣) سورة التوبة : الآية (٣٦) .
(٤) سورة آل عمران : الآية (٩٦).

أثره فى تشييد بيوت اللّه تعالى، وكل ما يذكره الناس حول الكعبة قبل إبراهيم عليه السلام لم يثبت به نص، ولم تقم به حجة، وهى روايات اللّه أعلم بها..

وكلمة «بكة» مراد بها مكة المكرمة وذلك أن بكة ومكة اسمان لمسمى واحد، والباء والميم حرفان متقاربان فى المخرج فيقال هذه ضربة لازم، وضربة لازب، ويقال هذا دائم ودائب..

وفى اشتقاق هذه الكلمة يرى العلماء أنها من البك بمعنى المزاحمة لأن الناس يزدحمون فى مكة للحج والعمرة أو من البك بمعتى الدك لأن اللّه يحميها ويدق أعناق الجبابرة الذين يريدونها بسوء..

وأياً ما كان فهى حرم اللّه الآمن تهوى إليه الأفئدة من كل فج عميق..

***

◆◆ ٣ ـ الحـــج عبـادة قديـمة

س : يزعم بعض المستشرقين أن الحج من بقايا الجاهلية، فما الفهم الصحيح لمناسك الحج؟

***

ج : هناك أمور يجب أن نعيها تماماً فى مجال العقيدة، وهى أن الإنسانية بدأت مؤمنة موحدة تلتزم بمنهج اللّه الذى أتى على لسان آدم أبى البشر ثم توالت الرسالات الإلهية توضح الحق وطرائق الخير كلما تباعد الناس وتشاغلوا بمتع الحياة الرخيصة، قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾(١)..

ومن المقطوع به أن المنطقة العربية ومكة على وجه الخصوص قد عرفت شريعة إبراهيم وشريعة إسماعيل وأن الحج هو ملة إبراهيم الذى بنى الكعبة ورفع قواعدها مع ولده إسماعيل عليهما السلام، قال اللّه تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(٢)..

(١) سورة فاطر: الآية (٢٤).
(٢) سورة البقرة: الآية (١٢٥).

ومع تطاول الزمن وتباعد العهد بدأ الناس يبتدعون فى دين اللّه وأغوتهم الشياطين فحرفوا وبدلوا، فوضع العرب الأصنام فى جوف الكعبة وطاف البعض منهم وهم عراة، وحرموا على أنفسهم مآكل ومطاعم قدموا بها من خارج الحرم، ومنعوا المحرم أن يدخل داره من بابها المعتاد.. وغير ذلك كثير، فلما جاء الإسلام محا آثار الجاهلية فحطم الأصنام وأصبح المبدأ الإسلامى «لا يطوفُ بالبيتِ عُريانٌ»، وقال اللّه تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]..

فالحج تشريع إلهى على لسان رسل اللّه وليس بدعة اخترعها الوهم العربى فى جاهليته..

وللحج حكمة بالغة تعجز عنها أقلام الباحثين ويكفى فيها على المستوى الفردى التجرد من حطام الدنيا والإخلاص للّه وحده وصفاء القلب واستشعار الملأ الأعلى وعلى المستوى العام التعارف الإسلامى والتقاء قادة المسلمين وأهل الفكر على كلمة سواء هى «لبيكَ اللهُمَّ لبيكَ»..

***

◆◆ ٤ - منافع الحج

س : ما الحكمة الشرعية من فريضة الحج بالنسبة للمسلمين؟

***

ج : للحج حكم متعددة على المستوى الفردى والمستوى الجماعى، عبّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[2]..

فعلى المستوى الفردى يبدأ المسلم طريقه إلى الكعبة بالتوبة ورد المظالم، ويمارس مناسك الحج بالتجرد عن حطام الدنيا والكف عن الملذات، والتنزه عن الشهوات والاقتصار على الضرورات.. الأمر الذى يجعل المسلم صابراً محتسباً يستطيع مواجهة أعباء الحياة بلا يأس من روح اللّه، وعندما يؤدى

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٩) . (٢) سورة الحج : الآية (٢٨) .

المسلم المناسك يكون فى قمة التسليم للّه والولاء للشرع والوفاء للدين فهو يقول بقلبه ولسانه: لبيكَ اللهم لبيكَ، ويقول: لبيك بحجةٍ حقاً تعبُّداً ورِقّاً، وهو يقول أمام الحجر الأسود: بسمِ اللهِ، واللهُ أكبر، اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاءً بعهدِكَ واتّباعاً لسُنَّةِ نبيك محمد ﷺ، وحين يسافر المسلم لأداء المناسك يتذكر السفر الطويل إلى الآخرة، ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ﴾(١)..

وإذا كان سفر الدنيا يحتاج إلى طعام وشراب فإن سفر الآخرة يحتاج إلى زاد التقوى، وإذا كان لسفر الدنيا عودة فإن سفر الآخرة لا عودة منه.. قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾(٢)..

وقال جل شأنه: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(٣)..

وعلى المستوى العام يحقق المسلمون التعارف الإسلامى ويلتقى قادتهم على ما ينفع الناس ويحقق سعادتهم فى الدنيا والآخرة..

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٤)..

وقال جل شأنه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ....﴾(٥)..

فالحج مؤتمر إسلامى كبير يبرز قوة المسلمين ووحدة صفوفهم ويوحد بين قلوبهم ويشعرهم بعزة الإسلام وكمال الإيمان..

***

(١) سورة الانشقاق : الآية (٦).
(٢) سورة البقرة : الآية (١٩٧).
(٣) سورة المؤمنون : الآيات (٩٩ ، ١٠٠).
(٤) سورة الحجرات : الآية (١٣).
(٥) سورة الحج : الآيات (٢٧ ، ٢٨).

◆◆ ٥ - الحــج والعمــرة

س : ما الفرق بين الحج والعمرة؟

***

ج : شأن المسلم أن يعبد الله على بصيرة بحيث يكون مدركاً للعبادة التى يؤديها فى أركانها وشرائط صحتها وهيئاتها وما ينبغى أن تكون عليه..

والحج والعمرة لكل منهما حكم شرعى خاص وكيفية تؤدى بها..

والحج فى اللغة القصد، وشرعاً قصد الكعبة للنسك الخاص..

أما العمرة فهى فى اللغة الزيارة، وشرعاً زيارة البيت الحرام بكيفية خاصة..

والحج أحد أركان الإسلام ومعلوم من الدين بالضرورة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1]، وقال عليه الصلاة والسلام فى صحيح الحديث: «أيُها الناسُ قد فَرَضَ اللهُ عليكم الحجَّ فحجُّوا، فقال رجلٌ: أَكُلَّ عامٍ يا رسولَ اللهِ؟ فسَكَتَ حتى قالَها ثلاثاً، فقال ﷺ: لو قلتُ نَعَم لَوَجَبَت ولما استطعتُم»..

أما العمرة فهى فرض عند الشافعية والحنابلة كالحج وسنة مؤكدة عند غيرهما لأنها لم تذكر فى الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الحج وإنما ذكرت تبعاً فى مواطن أخرى..

والحج لا يتكرر فى عام واحد أما العمرة فيمكن تكرارها يومياً وعلى مدار السنة لأن الحج يختص بميقات زمانى هو شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة ويرتبط بالوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾[2]، وبقوله ﷺ: «الحــجُّ عَرَفَــةُ»، والعمرة ليس لها ميقات زمانى..

كذلك يختص الحج برمى الجمار يوم النحر وأيام التشريق ولا شىء من ذلك فى العمرة..

وتلتقى العمرة مع الحج فى الإحرام من الميقات المكانى والطواف والسعى والحلق أو التقصير واجتناب محرمات الإحرام من لبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح وغير ذلك..

(١) سورة آل عمران : الآية (٩٧). (٢) سورة البقرة : الآية (١٩٧).

ولا تستغرق أعمال العمرة إلا ساعة من نهار..

وقد قال عليه الصلاة والسلام فى صحيح الحديث: «العمرةُ إلى العمرةِ كفَّارَةٌ لما بَيْنَهُمَا والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجَنَّةُ»..

***

◆◆ ٦ - حـــج الرســـول ﷺ

س : كم مرة حج رسول الله ﷺ؟ ومتى قام بأداء الحج؟

***

ج : فرض الحج على المسلمين فى العام السادس من الهجرة، وكان المسلمون يحجون مع المشركين إلى أن نزل قوله تعالى فى العام التاسع من الهجرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١)، وفى يوم مشهود من أيام الله خرج رسول الله ﷺ فى العام العاشر من الهجرة ومعه مائة ألف أو يزيدون يؤدون مناسك الحج بعد أن أصبحت مكة فى حمى المسلمين، وبعد أن طهرت الكعبة من الأصنام وبعد أن مُحيت آثار الجاهلية كلها، وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «خُذُوا عنِّى مناسِكَكُم»، وخطبهم خطبة جامعة حددت ملامح المجتمع الإسلامى وتوصف هذه الحجة وهذه الخطبة بأوصاف البلاغ والإسلام والوداع، أما أنها حجة البلاغ فلأن رسول الله ﷺ كان يقول عقب كل أمر أو نهى فى خطبته: «ألا هل بَلَّغتُ؟ فيقولُ الجمعُ الحاشدُ: نَعَم، فيقولُ عليه الصلاةُ والسلامُ: اللهُمَّ فاشْهَدْ»..

أما أنها حجة الإسلام فلأنها الحجة الوحيدة التى أداها الرسول الكريم ﷺ فى الإسلام بعد فرضيته، ونزل فيها قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾(٢)..

أما أنها حجة الوداع فلأن رسول الله ﷺ وَدَّع أمته قائلاً: «أيُّها الناسُ اسمَعُوا قَولِى فإنى لا أدرِى لعلِّى لا ألقاكُمْ بعد عامِى هذا بهذا الموقفِ أبداً»..

(١) سورة التوبة : الآية (٢٨).

(٢) سورة المائدة : الآية (٣).

فقد انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعد عودته إلى المدينة بقليل..
وفى صحيح البخارى سُئِل أنسٌ رضي الله عنه كم حجَّ النبىُّ ﷺ؟ قال: واحدة..
ولا ينفى ذلك أن يكون الرسول ﷺ قد أدى أكثر من حجة قبل الإسلام وفى العهد المكى قبل فرضية الحج، فقد كان رسول اللّه ﷺ يلتقى بالناس فى مواسم الحج يدعوهم إلى الإسلام، ولعلنا نتذكر أن الإعداد للهجرة إلى المدينة بدأ ببيعة العقبة الأولى والثانية قبل الهجرة أثناء موسم الحج.

***

◆◆ ٧ ـ عمـــرة رمضـــان

س : هل أدَّى الرسول ﷺ عمرة فى رمضان؟

***

ج : فى صحيح مسلم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لامرأةٍ من الأنصارِ: «ما مَنَعَكِ أن تحُجِّى مَعَنَا؟ قالت: لم يَكُن لَنَا إلا ناضحان فحجَّ أبو ولدها وابنها على ناضح وترك لنا ناضِحًا ننضَحُ عليه»..
والناضح هو البعير الذى يستقى عليه الماء..
فقال عليه الصلاة والسلام: «فإذا جاءَ رمضانُ فاعتَمِرِى فإن عُمرةً فيهِ تعدِلُ حجَّةً»..
لكن لم يثبت أن النبى ﷺ أدى عمرة فى رمضان، وقد اعتمر النبى ﷺ أربع عُمَرٍ كلهن فى ذى القعدة إلا التى مع حجة الوداع فقد نواها فى ذى القعدة وأداها فى ذى الحجة..
ولعل الرسول الكريم ﷺ ـ كما يقول ابن القيم ـ كان يشتغل فى رمضان من العبادات بما هو أهم من العمرة، ولم يكن يمكنه الجمع بين تلك العبادات وبين العمرة فأخر العمرة إلى أشهر الحج، ووفر نفسه على تلك العبادات فى رمضان، مع ما فى ترك ذلك من الرحمة بأمته والرأفة بهم، فإنه لو اعتمر فى رمضان لبادرت الأمة إلى ذلك، وكان يشق عليهم الجمع بين العمرة والصوم، وربما لا تسمح أكثر النفوس بالفطر فى هذه العبادة حرصاً على

تحصيل العمرة وصوم رمضان، فتحصل المشقة فأخرها إلى أشهر الحج..
وقد كان ﷺ يترك كثيراً من العمل وهو يحب أن يعمله خشية المشقة عليهم..

***

◆◆ ٨ - الأشـــهـر الحـــرم

س : ما الأشهر الحرم؟ وما وجه تعظيمها؟

***

ج : الأشهر الحرم هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وسمى الأول بذلك لقعودهم عن القتال والترحال استعداداً لموسم الحج، والثانى لوقوع الحج فيه، والثالث تأكيداً لحرمته، والرابع من الترجيب وهو التعظيم، وقد سجلها القرآن العظيم فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[1].

وقد بينها رسول اللّه ﷺ فقال: «ألا إن الزمنَ قد استدارَ كهيئتِهِ يومَ خلقَ اللّهُ السمواتِ والأرضَ، السنةُ اثنا عَشَرَ شهراً منها أربعةٌ حُرُمٌ ثلاثةٌ متوالياتٌ ذو القعدة وذو الحجة والمحرمُ، ورجبُ مُضَرَ الذى بين جُمادَى وشعبان»..

وإنما قال عليه الصلاة والسلام «رجب مضر» ليبين صحة قول هذه القبيلة فى رجب أنه الشهر الذى بين جمادى وشعبان لا كما تظنه قبيلة ربيعة من أن رجب المعظم هو الشهر الذى بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم..

وقد كان من عادة العرب فى جاهليتهم تغيير أحكام اللّه بأهوائهم الباردة فأحياناً يحلون المحرم ويأخرون حرمته إلى صفر فلا يقاتلون فيه وهو النسىء قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾[2]..

وهذه الأشهر الحرم يوضع فيها القتال إلا ردًّا للعدوان، وتضاعف فيها الحسنة كما تضاعف السيئة، وذهب الشافعى وكثير من العلماء إلى تغليظ دية القتيل فى الأشهر الحرم.

وجاء فى كتب التفسير عند قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[3]، قال

(١) سورة التوبة : الآية (٣٦).
(٢) سورة التوبة : الآية (٣٧).
(٣) سورة التوبة : الآية (٣٦).

قتادة: إن الظلم فى الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواها وإن كان الظلم على كل حال عظيماً، ولكن اللّه يعظم من أمره ما يشاء، وقال: إن اللّه اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالى ليلة القدر فعظموا ما عظم اللّه..

***

◆◆ ٩ - المال الحرام والحج

س : أملك محلاً «كوافير» للسيدات وأريد أن أحج فما رأى الدين فى ذلك؟

***

ج : المسلم حريص على أن يكتسب حلالاً ويطعم أولاده الطيبات، لأنه لا وزن لأخلاق الرجل وعباداته ما لم تكن قائمة على الرزق الطيب الحلال.. وفى صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال: «إن اللّهَ تعالى طيبٌ لا يقبلُ إلا طَيِّباً، وإن اللّهَ تعالى أمرَ المؤمنينَ بما أمرَ به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[2]، ثم ذكر الرجُلَ يُطِيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يَدَيه إلى السماءِ يا رَبِّ يا ربِّ ومطعمُهُ حرامٌ ومشربُهُ حرامٌ وملبسُهُ حرامٌ وغُذِىَ بالحرامِ فأنَّى يُستَجَابُ لذلك»..

والإنسان الذى يعمل فى تجميل السيدات وملامسة أجسادهن هو رجل مقيم على المعصية، مُصِرٌّ عليها ويكتسب سُحتاً خبيثاً ويخشى عليه سوء الخاتمة من كثرة ممارساته لهذه المنكرات الفواحش التى يقيم عليها ليلاً ونهاراً..

ومن البدهى فى الشريعة الإسلامية أن جسد المرأة عورة لا يجوز النظر إليه ولا ملامسته إلا لضرورة قاهرة كعلاج ونحوه..

ولنتذكر حديث رسول اللّه ﷺ - كما رواه مسلم - : «صِنفَان من أهلِ النارِ لم

(١) سورة المؤمنون : الآية (٥١). (٢) سورة البقرة : الآية (١٧٢).

أَرَهُمَا: قومٌ معهم سِيَاطٌ كأذنابِ البقرِ يضرِبُونَ بها النَاسَ، ونساءٌ كاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ رؤوسُهنَّ كأسنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ لا يدخُلْنَ الجنَّةَ ولا يَجِدْنَ ريحَهَا وإن ريحَهَا ليُوجَدُ من مَسِيرَةِ كذا وكذا»..

وخير من يفهم التعبير النبوى «رؤوسُهُنَّ كأسنِمَةُ البُخْتِ المائِلَةِ» هم أصحاب الكوافير الذين يتفننون فى تصفيف شعر المرأة..

وعلى السائل إن كان يخشى اللّه واليوم الآخر ويريد حجاً مبروراً أن يقلع فوراً عن هذا العمل الفاحش ويرجع إلى اللّه بتوبة صادقة..

وما أوسع أبواب الرزق الحلال..

واللّـه ولـى التوفيـق..

◆◆ ١٠ ـ الحـج علـى حسـاب الدولـة

س : وقع الاختيار على موظف بالشرطة ليشارك فى خدمة حجاج بيت اللّه الحرام، فهل أداؤه للفريضة حينئذ يجعله ينال ثوابها؟

***

ج : الحج فريضة محكمة على المسلم المستطيع مالاً وبدناً، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1]، فمن استطاع ببدنه وكان صحيحاً معافى ولكنه لا يملك ما يكفى الزاد والراحلة ونفقة من يعول خلال مدة السفر فلا يجب عليه الحج وجوباً عينياً..

فإن تيسر لمثل هذا الإنسان أو لغيره ولو كان غنيا ـ سبيل الوصول إلى الأرض المقدسة، وهيأ اللّه له أسباب السفر وأداء المناسك عن طريق هبة أو منحة من إنسان آخر أو عن طريق التواجد هناك للعمل أو عن طريق بعثة موفدة من قبل جهـة خاصـة أو عامة، فذلك فضل من اللّه، ونعمة ساقها اللّه لهذا المسلم، عليه أن يشكر اللّه عليها ويجتهد لينال التوفيق فى أداء المناسك..

فهناك فرق بين الوجوب والصحة ولا ارتباط بينهما، فقد يجب العمل على شخص ولا يصح منه، فالكافر مطالب بفروع الشريعة ـ على القول الراجح ـ

(١) سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

ولا تصح منه إلا بالدخول فى الإسلام، والصبى لا تجب عليه الصلاة ولكنها تصح منه، والمرأة والمسافر لا جمعة عليهما ولكن تصح منهما..

كذلك الحج لا يجب على غير المستطيع ولكن يصح منه، فمن وقع عليه الاختيار لخدمة حجاج بيت اللّٰه الحرام وأدى مناسك الحج بما يرضى اللّٰه عزوجل - حجه صحيح وله الثواب بقدر إخلاصه..

وقد سئل ابن عمر - رضى الله عنهما - عن العمل واكتساب الرزق فى موسم الحج، فقال: ألستم تحرمون وتطوفون بالبيت وتقضون المناسك؟ فأنتم حجاج..

وعندما تأثم الناس أن يتجروا فى موسم الحج نزل قول اللّٰه تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1]..

واللّٰه ولى التوفيق...

***

◆◆ ١١ - التمتع فى الحج

س : ذهبت للعمل فى موسم الحج فأديت عمرة ثم خرجت إلى المدينة المنورة فأقمت بها حتى حان موعد الحج فأحرمت بالحج.. فهل أكون متمتعاً ويلزمنى هدى؟

***

ج : التمتُّع هو أن يحرم الإنسان بالعمرة فى أشهر الحج من الميقات ثم يصل إلى الكعبة المشرفة فيطوف لعمرته ويسعى بين الصفا والمروة ويحلق أويقصر ثم يحل بمكة المكرمة ويظل مقيماً بها حتى تقرب أيام الحج فينوى الحج فى عامه هذا..

وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[2]..

والجمهور من العلماء على أن التمتع بالعمرة إلى الحج يقتضى الموالاة بينهما وعلى هذا فمن خرج من مكة بعد العمرة وسافر سفراً تقصر فيه الصلاة فليس بمتمتع..

(١) سورة البقرة : الآية (١٩٨).

(٢) سورة البقرة : الآية (١٩٦).

وحيث إن السائل ذهب إلى المدينة المنورة بعد عمرته ومكث بها فترة زمنية، ومعلوم أن المسافة طويلة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وتزيد على مسافة القصر بمراحل إذ هى تقرب من خمسمائة كيلو متر فيعتبر هذا السائل غير متمتع وليس عليه هدى التمتع..

***

◆◆ ١٢ ـ ارتداء الملابس فى الحج

س : ما رأى الدين فيمن يحج وهو يرتدى ملابسه كاملة لمرض فى بدنه يريد أن يخفيه عن أعين الناس؟

***

ج : تبدأ مناسك الحج بالإحرام من الميقات المكانى، وذلك بأن يقول المسلم بقلبه ولسانه: نويتُ الحج ـ مثلاً ـ وأحرمتُ به للّهِ تعالى اللهم يَسِّرْه لى وتَقَبَّلْهُ منى.. ويسن الإحرام مقترنا بالتلبية قائلاً: لبيكَ اللهمَّ لبيكَ، لبيكَ لا شريكَ لك لبيكَ، إن الحمدَ والنعمةَ لكَ والملكَ لا شريكَ لك..

ومنذ هذه اللحظة يحرم على الرجل لبس المخيط أو المحيط المعمول على قدر البدن أو قدر عضو منه ويحرم عليه تغطية رأسه، وفى صحيح مسلم: أن رجلاً سأل رسول اللّه ﷺ: **«ما يلبسُ المحرمُ من الثياب؟ فقال رسولُ اللّه ﷺ: لا تلبسُوا القُمُصَ ولا العمائِمِ ولا السراويلاتِ ولا البرانِسَ ولا الخِفَافَ إلا أحدٌ لا يجدُ النعلينِ فليلبس الخفَّينِ وليقطعهُمَا أسفلَ من الكعبينِ ولا تلبِسُوا من الثيابِ شيئاً مسَّهُ الزعفرانُ ولا الورس»**..

وهذه المحظورات للإحرام لا يتوقف صحة الحج عليها فلو أدى المسلم المناسك بملابسه العادية لعذر أو غير عذر صح الحج وسقطت عنه الفريضة، وشرع اللّه جبراً لذلك فدية هى على التخيير بين صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين أو ذبح شاة، قال اللّه تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[1]..

(١) سورة البقرة : الآية (١٩٦).

ولا يجزئ الهدى ولا الإطعام إلا بالحرم مع التفرقة على فقرائه ومساكينه ويجوز أن يصوم حيث شاء..

وليكن معلوماً أن المرأة تختلف عن الرجل عند الإحرام فهى تلبس ملابسها الإسلامية العادية الساترة لجميع بدنها ما عدا وجهها وكفيها..

هــذا وبالله التوفيــق...

***

◆◆ ١٣ ـ فرائض الحج وسننه

س: ما فرائضُ الحجِ؟ وما سُنَنُه؟

***

ج : هناك فى الحج أركان وواجبات وسنن، الركن لابد أن يؤتى به ولا يتم الحج بدونه، والواجب قد يجبر بدم عند تركه، والسنة من الخير فعلها لمزيد الثواب ولا يلزم بتركها شيء..

ومن أركان الحج الإحرام مع النية بأن يقول المسلم عند الميقات: «اللهمَّ إنى نويتُ الحجَّ فتقبلْهُ مِنِّى ويسِّرْهُ لِى».. قال ﷺ: «إنما الأعمالُ بالنياتِ»..

ومن أركان الحج الطواف والسعى، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[2]..

ومن أركان الحج الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة لقوله ﷺ: «الحــجُّ عَــرَفَــةُ»..

أما الواجبات فمنها الإحرام من الميقات فلكل بلد مكان خاص لا يتجاوزه الحاج إلا محرماً ناوياً لما أراد من حج أو عمرة، ومنها أيضاً رمى الجمار يوم العيد وأيام التشريق، ومنها المبيت بمنى أيام الرمى..

فمثل هذه الأشياء يجب فعلها ومن ترك منها شيئاً ولم يأته فيمكن جبر ذلك بذبح الهدى..

ومن السنن التى يحرص الحاج عليها رجاء ثوابها الإكثار من التلبية، ويرفع

(١) سورة الحج : الآية (٢٩). (٢) سورة البقرة: الآية (١٥٨).

الرجل بها صوته وتتأكد بتغير الأحوال كركوب وصعود وهبوط واختلاط رفقة وإقبال ليل أو نهار، وليس فى السعى أو الطواف تلبية وإنما هناك ذكر ودعاء، كذلك لا يلبى عند رمى الجمار وإنما يكبر..

ومن السنة إذا رأى الكعبة المشرفة لأول مرة أن يرفع يديه قائلاً: «اللهم زِدْ هذا البيتَ تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبرّا، وزِدْ من شرَّفه وكرَّمه ممن حجَّه أو اعتمرَهَ تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبرًّا، اللهم أنت السلامُ ومنك السلامُ فحيِّنا ربَّنا بالسلام»..

ومن السنة طواف القدوم لمن دخل مكة قبل الوقوف بعرفة، ومن السنة ركعتا الطواف خلف المقام فإن لم يتيسر ففى الحجر، فإن لم يتيسر ففى المسجد وإلا ففى أى مكان من الحرم بمكة..

هذا وتفصيل الأركان والواجبات والسنن موجود فى كتب الفقه، وقد يعد بعض العلماء منسكاً فى الأركان ويعده آخرون واجباً، وقد نجد منسكاً مختلفاً فى أنه واجب أو سنة، واجتهاد المذاهب الفقهية رحمة بالأمة، وعلى المسلم أن يلتزم بكل ما ورد عن رسول الله ﷺ بقدر ظروفه وأحواله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]..

***

◆◆ ١٤ ـ الأيـام المعـدودات

س : ما الأيام المعدودات؟ وما المقصود من الذكر فى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[2]..

***

ج : هذه الآية الكريمة من سورة البقرة، وهى متعلقة بالحج ومناسكه، والأيام المعدودات هى أيام التشريق الثلاثة بعد يوم عيد الأضحى، وذكر الله عام للحاج وغيره وهو يشمل التكبير عقب الصلوات الفرائض والتكبير على الأضحية والتكبير عند رمى الجمار..

(١) سورة الحج : الآية (٧٨).

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٠٣).

فمن المعروف فى فقه الشريعة أن هناك تكبيراً عقب الفرائض وهو عند الشافعى من صبح يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق الثلاثة..

ووقت الأضحية عقب صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق الثلاثة..

ورمى الجمار فى الحج يبدأ يوم العيد برمى جمرة العقبة الكبرى ثم يستمر ثلاثة أيام برمى الجمرة الصغرى والوسطى والكبرى لمن أراد أن يتم فإن تعجل رمى يومين بعد العيد وترك منى قبل الغروب ولا إثم عليه، فإن غربت الشمس عليه وهو فى منى فلابد أن يبيت ويرمى الجمرات فى اليوم الثالث عشر من ذى الحجة..

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾[1]..

ونفى الإثم فى التأخر مع أنه أفضل وهو السنة ـ للمجانسة فى التعبير مثل قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[2]، فإن رد السيئة بمثلها ليس سيئة..

فالمقصود من الآية التى معنا هو التخيير بين التعجيل والتأخير، ورفع الحرج عن الحاج..

وكان الناس فى الجاهلية أحياناً يؤثمون المتعجل وأحياناً يؤثمون المتأخر فجاء القرآن ينفى المأثم عنهما جميعاً..

والمسألة كلها قائمة على تقوى اللّٰه سبحانه ومراقبة حدوده والاستعداد ليوم لقائه..

***

◆◆ ١٥ ـ محظورات الإحرام

س : ما الأشياء التى يمتنع عنها الحاج، وماذا يحدث لو أتى شيئاً منها؟

***

ج : إذا أحرم المسلم بالحج أو العمرة فهناك أشياء يمتنع إتيانها وهى لبس المخيط والمعمول على قدر البدن أو قدر عضو منه، مثل الملابس الداخلية وأغطية الرأس بأنواعها والقفازين والأحذية التى تغطى الكعبين..

(١) سورة البقرة : الآية (٢٠٣).   (٢) سورة الشورى : الآية (٤٠).

ويمتنع المحرم من الطيب وإزالة الشعر وتقليم الأظافر ولا يباح له مأكول أو مشروب وضع فيه الطيب ولم تذهب رائحته.. أما رائحة الفواكه والنباتات الطيبة الرائحة فلا شيء فيها..

وقد سأل رجل رسول الله ﷺ: ما يلبس المحرم من الثياب، فقال ﷺ: «لا **تلبسُوا القُمُصَ ولا العمائِمَ ولا السراويلاتِ ولا البرانِسَ ولا الخِفافَ إلا أحدٌ لا يجدُ النعلين فليلبَس الخفَّين وليقطعهُمَا أسفلَ من الكعبين، ولا تلبسُوا من الثيابِ شيئاً مسَّه الزعفرانُ ولا الورسُ**»..

ويمتنع المحرم من صيد البر الوحشى وقطع شجر الحرم وحشيشه الرطب بقصد الإتلاف..

ويمتنع المحرم من عقد النكاح لنفسه أو لغيره ولا يعاشر النساء ولا يفعل كل ما يتصل بالشهوة، ولنتذكر قول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[1]..

ولا تأثير للحرم ولا للإحرام فى ذبح الحيوان الإنسى ولا فى قتل الفواسق الخمس التى أباح الشرع قتلها فى الحل والحرم وهى الحدأة والغراب والفأرة والعقرب والكلب العقور، وفى معناها كل ما فيه أذى من سباع البهائم وجوارح الطير والحشرات المؤذية كالبق والبعوض والبراغيث.. فالتعرض لمثل هذه الأشياء ليس محظوراً..

وإذا فعل الحاج أو المعتمر شيئاً من محظورات الإحرام لزمته الفدية إلا الجماع فإنه يفسد الحج أو العمرة، وعلى الحاج أن يتم أعمال الحج وتلزمه بدنة ويجب عليه القضاء فى العام القابل..

وفدية فعل المحظور هى صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة، وفى قتل الصيد جزاء هو مثل ما قتل من النعم، فمن قتل نعامة مثلاً وجب عليه ذبح بدنة، وإذا كان الصيد مما لا مثل له أخرج القيمة يشترى بها طعاماً ويتصدق به أو يصوم يوماً عن كل ما يجزئ لطعام مسكين..

وفى الشجرة الكبيرة بقرة وفى الصغيرة شاة أو يشترى بقيمة ذلك طعاماً يتصدق به أو يصوم يوماً عن كل ما يجزئ لطعام مسكين..

(١) سورة البقرة : الآية (١٩٧) .

◆◆ ١٦ ـ أنـــواع الطـــواف

س : ما الفرق بين طواف القدوم وطواف الإفاضة، وكيف يؤدّى المسلم الطواف؟

***

ج : طواف القدوم هو من أدب الدخول لمكة المكرمة وهو سنة للحاج والمعتمر وغيرهما، فتحية المسجد الحرام هى الطواف..

أما طواف الإفاضة وقد يسمى طواف الركن أو طواف الزيارة فهو ركن من أركان الحج، ويؤدى بعد الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة، وأول وقته عند الشافعية من نصف ليلة النحر وأفضله بعد رمى جمرة العقبة وذبح الهدى والحلق أو التقصير ويكون ذلك ضحى يوم النحر..

ويجوز الطواف طوال يوم النحر بلا كراهة، ولا آخر لوقته فلابد من الإتيان به مهما طال الزمن..

ويبتدئ الطواف من الحجر الأسود بأن يستقبله بوجهه وصدره ثم يتجه يميناً ويكون البيت الحرام عن يساره، ويطوف سبعة أشواط..

ومن السنة تقبيل الحجر الأسود عند التمكن ومن لا يستطيع أشار إليه بيده على بعد قائلاً: «بسم اللّه، اللّهُ أكبرُ، اللهم إيماناً بِكَ وتصديقاً بكتابِكَ ووفاءً بعهدِكَ واتباعاً لسنةِ نبيِّكَ محمدٍ ﷺ»..

ويشترط لصحة الطواف الطهارة من الحدث والنجس وستر العورة فالطواف كالصلاة إلا أنه أبيح لنا الكلام فيه..

وإذا شك فى عدد الأشواط بنى على اليقين وهو الأقل، وإذا أقيمت الصلاة المكتوبة توقف عن الطواف وصلى وعقب الصلاة يطوف مستكملاً الأشواط الباقية له ويبنى على ما سبق..

ومما يجب التنبه إليه أن حجر إسماعيل جزء من الكعبة ولا يصح الطواف داخل الحجر بل يجب أن يكون الطواف خارج حجر إسماعيل..

وعقب الانتهاء من الأشواط السبعة يؤدى الحاج ركعتين يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون وفى الثانية سورة الإخلاص، ويكون ذلك خلف مقام إبراهيم إن تيسر وإلا ففى أى موضع خال بالمسجد..

قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1]..

***

◆◆ ١٧ ـ السعى فى الحج

س : كيف يؤدى المسلم ركن السعى فى الحج؟

***

ج : السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج، ولا يكون السعى إلا بعد طواف حول الكعبة المشرفة سواء كان طواف قدوم أو إفاضة، ويخرج الحاج عقب الطواف من المسجد الحرام من باب الصفا فإذا دنا قرأ هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[2]، ثم يقول: أبدأ بما بدأ اللّهُ بِهِ ويرقى على بقايا جبل الصفا حتى يرى الكعبة المشرفة فيستقبلها قائلاً:

«لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كُلِّ شىء قديرٌ، لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَهُ، صَدَقَ وعدَهُ، ونصَرَ عَبدَهُ، وهَزَمَ الأحزابَ وحدَهُ»، ثم ينزل ويمشى فى طريقه إلى جبل المروة وسيجد مسافة محددة بين علامتين مضاءتين باللون الأخضر فيسرع المشى مع تقارب الخطى فإذا انتهت هذه المسافة المضاءة باللون الأخضر مشى المشية المعتادة حتى يصل إلى المروة فيصعد فوقها ويتجه نحو الكعبة ويدعو اللّه تعالى ويمجده ثم ينزل ويعود إلى الصفا يمشى فى موضع المشى ويسرع فى موضع الإسراع، وليس على المرأة إسراع بل تمشى بأدب جم ودون هرولة..

ويحسب الذهاب من الصفا إلى المروة شوطاً ومن المروة إلى الصفا شوطاً آخر بحيث يتم سبعة أشواط تبدأ بالصفا وتنتهى بالمروة..

ويستحب أن يسعى طاهراً متوالياً، ولو سعى بغير وضوء جاز، ولو استراح فى بعض الأشواط لا حرج عليه، ولا بأس أن يطوف أول النهار ويسعى آخره..

وإذا لم يسع فى يوم طواف القدوم وجب عليه أن يسعى عقب طواف الإفاضة يوم النحر..

(١) سورة البقرة : الآية (١٢٥).   (٢) سورة البقرة : الآية (١٥٨).

◆◆ ١٨ـ ذبـــح الهـــدى

س : ما حكم ذبح الهدى بالنسبة للحاج ومتى يذبح؟

***

ج : الهدى المرتبط بمناسك الحج أنواع منها:

هدى يجب بسبب ترك نسك كهدى التمتع وذلك أن المتمتع أدَّى عمرة فى أشهر الحج ومكث فى مكة حتى قرب موعد يوم عرفة فأحرم بالحج من مكة..

وهذا المتمتع يجب عليه ذبح شاة أو يشترك مع ستة آخرين فى ذبـــح بقـــرة أو بدنة فإن لم يجد صام عشرة أيام بدلاً من ذبح الهدى، ثلاثة منها بعد الإحرام بالحج، وسبعة إذا عاد إلى أهله ووطنه، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[١]..

وهناك هدى يتعلق بمحظـــورات الإحرام كإزالة الشـــعر أو لبـــس المخيـــط أو استعمال الطيب فالحاج أو المعتمر مخير حينئذ بين ثلاثة أشـياء ذبح شــاة أو صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[٢]..

وهناك هدى يتعلق بالإحصار بأن نوى المسلم حجاً أو عمرة ثم حبسه حابس ومنعه مانع قهرى من الذهاب إلى مكة وضاق الوقت فيتحلل حيث كان ويذبح شاة، فإن عجز عنها لعدم وجودها أطعم بقيمة الشاة، وإن عجز عنها لفقره صام أياماً بعدد من كان يطعم من الشاة.. قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[٣]..

وهناك هدى يتعلق بقتل الصيد.. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[٤]..

وهناك هدى يتعلق بالمعاشرة الزوجية أثناء الإحرام، فمن عاشر زوجته

(١) ، (٢) ، (٣) سورة البقرة : الآية (١٩٦) .   (٤) سورة المائدة : الآية (٩٥) .

أثناء الإحرام فسد حجه أو فسدت عمرته وعليه أن يستمر فى أداء بقية المناسك حتى نهايتها ويجب على الرجل ذبح بدنة أو بقرة أو سبع شياه فإن لم يجد اشترى بقيمتها طعاماً وتصدق به على فقراء الحرم فإن لم يستطع صام أياماً بقدر عدد المساكين الذين يمكن أن توزع عليهم اللحوم.. وعلى الحاج أن يأتى فى العام القادم ليؤدى الحج من جديد، وإن كان فى عمرة قد فسدت بالنكاح فبعد إتمامها يأتى بعمرة أخرى جديدة ..

***

◆◆ ١٩ـ الحلق للمرأة

س : هل يطلب من المرأة الحاجّة أن تحلق رأسها عند انتهاء المناسك؟

***

ج : من مناسك الحج والعمرة الحلق أو التقصير، وهو ركن فيهما على مذهب الإمام الشافعى وواجب عند باقى الأئمة، ويتوقف التحلل من الحج والعمرة على الحلق أو التقصير والأفضل فى الحلق أو التقصير أن يكون بعد رمى جمرة العقبة وبعد ذبح الهدى إن كان معه وقبل طواف الإفاضة وسواء كان قارناً أو مفرداً..

أما فى العمرة فيأتى الحلق أو التقصير فى ختام مناسكها بعد الإحرام والطواف والسعى وقد أشار القرآن العظيم إلى هذا النسك فقال: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ﴾[1]..

وهذا النسك مختص بالرأس فلا يجزئ عنه حلق أو تقصير فى سائر الجسد، والأفضل للرجال هو الحلق لفعل رسول الله ﷺ وقوله ، فقد حلق وقال : «اللهُمَّ اغفِرْ للمحلِّقِينَ، قالوا : يا رسولَ اللهِ وللمُقَصِّرين، قال : اللهُمَّ اغفِرْ للمحلِّقِينَ، قالوا : يا رسولَ الله و للمُقَصِّرين، قال : اللهُمَّ اغفِرْ للمحلِّقِين، قالوا : يا رسولَ الله و للمُقَصِّرين، قال : وللمُقَصِّرِينَ».

(١) سورة الفتح : الآية (٢٧) .

وذلك أن الحلق أبلغ فى العبادة وأدل على صدق النية فى التذلل لله تعالى فشأن الحاج أن يكون أشعث أغبر.

أما المشروع فى حق النساء فهو التقصير فقط ولا يجوز لهن الحلق، وقد أخرج أبو داود والبيهقى فى سننه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : «ليسَ على النِّسَاءِ حَلْقٌ وإنَّمَا على النِّسَاء التقصِيرُ»..

ولم يعهد فى النساء امرأة بغير شعر رأسها إلا مرضاً، والإسلام حريص على الطبائع السليمة والفطر النقية، والوصف الملازم للمرأة هو التنشئة فى الحلية قال تعالى : ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[1]..

***

◆◆ ٢٠ ـ الفرق بين الرجل والمرأة فى أداء المناسك

س : هل هناك اختلاف فى طريقة أداء فريضة الحج بالنسبة للمرأة والرجل؟

***

ج : الحج فريضة كتبها الله تعالى على المستطيع من الرجال والنساء، وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[2]..

إلا أن الاستطاعة بالنسبة للمرأة تزيد اشتراط المحرم معها يصحبها فى سفرها، ويقوم مقام المحرم النسوة الثقات، فالمرأة الحاجة تصحب زوجها أو أباها أو أخاها أو ابنها أو عمها أو خالها، فإذا لم يوجد هؤلاء وتوفر مجموعة من النساء الصالحات العفيفات فإنهن يقمن مقام المحرم..

وعند الإحرام بالحج من الميقات فإن الرجل يلبس ثوبين أبيضين نظيفين إزاراً ورداء ويتجرد عن المخيط أما المرأة فإحرامها فى و جهها وكفيها فقط فيحرم تغطيتهما وتلبس المرأة ملابسها المحتشمة..

وعلى الجميع أن يتذكر قول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[3]..

(١) سورة الزخرف : الآية (١٨). (٢) سورة آل عمران : الآية (٩٧). (٣) سورة البقرة : الآية (١٩٧).

وتؤدى المرأة الطواف والسعى بلا رمل فيهما أى أنها تمشى أثناء الطواف والسعى المشية المعتدلة العادية أما الرجل فإنه يسرع المشى مع تقارب الخطى فى الأشواط الثلاثة الأولى من الطواف، وبين العلمين الأخضرين فى السعى..

وإذا أصاب المرأة الدورة الشهرية فإنها ترجئ الطواف والسعى حتى تطهر لأن الطواف كالصلاة يشترط له الطهارة، والسعى لابد أن يقع عقب طواف..

أما الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة فلا يشترط فيه الطهارة فيصح للمرأة أن تقف بعرفة حائضاً ونفساء..

وترمى المرأة الجمار بنفسها متى كان ذلك مستطاعاً من غير مزاحمة مع الرجال فإن لم تستطع وكلت من ينوب عنها فى الرمى..

والمرأة تقصر شعرها فقط ولا يجوز لها الحلق الكامل لشعرها، أما الرجل فهو مخير بين الحلق والتقصير والحلق أفضل لقوله ﷺ : «اللهُمَّ اغفِرْ للمحلِّقِينَ، قالُوا: يارسولَ اللهِ وللمُقَصِّرين، قال : اللهم اغفر للمحلِّقِين، قالوا : يارسولَ اللهِ وللمُقصِّرين، قال: اللهم اغفِرْ للمحلِّقِين، قالوا: يارسولَ اللهِ وللمقصِّرين، قال: وللمُقَصِّرِين»..

***

◆◆ ٢١ ـ تكــــرار العمــــرة

س : هل يصح من الحاج أن يؤدى العمرة أكثر من مرة فى نفس العام؟

***

ج : قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[1]، فالحج أحد أركان الإسلام والعمرة واجبة عند جمهور العلماء، والفرق بين الحج والعمرة أن الحج خاص بميقات زمانى هو شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة، قال تعالى : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾[2]، أما العمرة فهى جائزة فى جميع السنة وتكره عند أبى حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ فى خمسة أيام هى يوم عرفة والنحر وأيام التشريق الثلاثة..

(١) سورة البقرة : الآية (١٩٦).
(٢) سورة البقرة : الآية (١٩٧).

كما يختص الحج بالوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة وبرمى الجمار ولاشيء من ذلك فى العمرة..

ويلتقى الحج مع العمرة فى الإحرام والطواف و السعى و الحلق أو التقصير واجتناب محرمات الإحرام من لبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح وغير ذلك مما هو معروف..

وفى فضل الحج والعمرة يقول الرسول ﷺ كما فى صحيح الحديث : «**العمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما والحجُ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةُ**»..

وقد احتج الشافعى والجمهور بهذا الحديث فى استحباب تكرار العمرة فى السنة الواحدة مراراً فهى طاعة يتقرب بها إلى الله تعالى وهى ارتياد لمواضع الخير وبقاع الطهر ولم يرد نص يمنع من ذلك، والحديث المذكور دليل على التفريق بين الحج والعمرة فى التكرار إذ لو كانت العمرة كالحج لا تفعل فى السنة إلا مرة واحدة لسوى بينهما فى الجزاء..

ونقل عن الإمام أحمد: «**إذا اعتمر فلابد أن يحلق أو يقصر، فلا يعتمر بعد ذلك إلى عشرة أيام، ليتمكن من حلق رأسه**.

فجمهور العلماء على استحباب تكرار العمرة فى السنة الواحدة مرارا، وذهب المالكية إلى كراهة ذلك..

وللعمرة فى رمضان شأن خاص فقد أوصى بها الرسول ﷺ امرأة تخلفت عن الحج معه لعذر فقال لها : «**إذا جاءَ رمضانُ فاعتمِرِى فإن عمرةً فيهِ تعدِلُ حجَّةً**»..

***

◆◆ ٢٢ ـ العطور للمحرم

س : أثناء أدائى لمناسك العمرة نسيت فوضعت «الكولونيا» على ملابسى فما رأى الدين؟

***

ج : أجمع العلماء على أن الطيب كله يحرم على المحرم بالحج أو العمرة فى حال إحرامه وذلك لما رواه مسلم فى صحيحه عن الزهرى عن سالم عن أبيه رضي الله عنه

قال : سُئِلَ النبى ﷺ ما يلبس المحرم؟ قال : «لا يلبس المحرمُ القَمِيصَ ولا العمَامَةَ ولا البرنسَ ولا السراويلَ ولا ثوباً مسَّهُ ورسٌ ولا زعفران، ولا الخفين إلا ألاَّ يجد نعلين فليقطعْهُمَا حتى يكوُناَ أسفلَ الكعبين»..

فقد حصر هذا الحديث محظورات الإحرام، فنبه ﷺ بالقميص والسراويل على ما فى معناهما وهو كل مُحيط أو مخيط معمول على قدر البدن أو قدر عضو منه..

ونبه بالعمائم والبرانس على كل ساتر للرأس بالنسبة للرجل، ونبه بالورس والزعفران على كل أنواع الطيب..

فوضع الطيب على جسم المحرم أو ثوبه أثناء أدائه للنسك حرام شرعاً، ويجب إزالته بالغسل أو خلع الثوب، لأنه يتنافى مع التجرد المطلوب فى هذا الموقف العظيم، المذكر بالحشر وسوق الناس إلى الحساب يوم الدين..

ويبقى تساؤل هل يلزمه فدية أم لا؟

وحيث إن السائل الكريم وضع الكولونيا ناسياً فقد قال عطاء والثورى والشافعى وغيرهم بأن من أصاب فى إحرامه طيباً ناسياً أو جاهلاً فلا كفارة عليه ولا فدية، وإنما يجب عليه المبادرة إلى إزالته متى علم، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[1]..

ولعموم قوله ﷺ : «رُفِعَ عن أُمتِى الخطأُ والنسيانُ»..

وفى مذهب الإمام مالك أن الفدية لا تجب إلا إذا طال استعماله للطيب و ظل أثره عليه مدة طويلة. لكن إذا تدارك فى الحال فلا شىء عليه..

وأيا ما كان فإن الفدية عند القائلين بها هى على التخيير بين ذبح شاة أو صوم ثلاثة أيام ولو متفرقات أو التصدق على ستة مساكين لكل مسكين قدح من غالب قوت البلد أو قيمة ذلك، يفعل من هذه الأشياء ما يراه مناسباً..

وبالله التوفيق..

***

(١) سورة الأحزاب : الآية (٥).

◆◆ ٢٣ ـ فقد تكاليف الحج

س : خرج اسمى فى قرعة الحج وذهبت لأدفع التكاليف، وأثناء الطريق سرق المبلغ بأكمله، وليس عندى غيره، وأنا الآن حائر، ولا أستطيع تجميع مثل هذا المبلغ إلا بعد سنوات، فهل سقطت عنى فريضة الحج؟

***

ج : الحج فريضة واجبة على المستطيع بماله وبدنه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1]..

وإذا كان السائل الكريم قد ضاع منه المبلغ المدخر لأداء فريضة الحج وليس يملك غيره فقد سقطت عنه فريضة الحج هذا العام..

وعليه أن يسعى جهده لتوفير تكاليف الحج وقد ييسر الله تعالى له من حيث لا يدرى.. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[2]..

ولنعلم أن نية المؤمن خير من عمله، وقد يبلغ الإنسان بنيته مالا يبلغه بعمله.. وقد جاء فى صحيح البخارى عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ بالمدينةِ أقواماً ماسِرتُمْ من مسيرٍ ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم مَعَكُم فيه، قالوا: وهم بالمدينةِ يا رسولَ الله؟! قال: نعم حبَسَهمُ العذرُ»..

فهؤلاء المتخلفون عن الجهاد لعذر المرض أو الفقر لهم ثواب المجاهدين بنياتهم الصالحة..

وحول هذا المعنى جاء قول الشاعر :

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر فقد راحا

***

(١) سورة آل عمران : الآية (٩٧).

(٢) سورة الطلاق : الآيات (٢ ، ٣).

◆◆ ٢٤ـ وقت الرمى

س : أنا سيدة قمت بأداء الحج هذا العام و أديت المناسك ما عدا الرمى فقد وكلت زوجى فيه إلا أنه رمى قبل الزوال فهل حجى صحيح؟

***

ج : التوكيل فى الرمى عند العجز عن القيام به جائز شرعاً، وتوقيت الرمى فيه سعة فقهية فأفضل أوقات الرمى من طلوع الشمس إلى زوالها يوم النحر، ومن الزوال إلى غروب الشمس فى باقى أيام التشريق..

إلا أن هذه الأفضلية لا تعنى حرمة الرمى فى باقى الأوقات الأخرى فأيام منى كلها رمى ليلاً ونهاراً، فالجواز أوسع من الفضيلة..

وقد وقف رسول الله ﷺ عند صخرات أسفل جبل الرحمة وقال: وقفتُ هَهُنا وعرفةُ كلُّها موقِفٌ.

ونحر رسول الله ﷺ فى مكان خاص بمنى وقال : « نحرتُ ههُنا ومنى كُلُّها منحرٌ فانحرُوا فى رِحَالِكُم »..

وهكذا فإذا كان رسول الله ﷺ رمى فى وقت معين فليس فيه تحديد لوقت الرمى وقد أطلق الله تعالى وقت الرمى ولم يحدده بوقت معين فقال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(١)..

والمراد بذكر الله هنا هو رمى الجمرات.. فى المقام الأول، ثم يشمل باقى أنواع الذكر.

ومن المعلوم شرعاً أن اليوم يبدأ من غروب الشمس وينتهى بغروبها فشهر رمضان يدخل برؤية الهلال عقب الغروب من آخر يوم فى شهر شعبان وينتهى لغروب الشمس من آخر يوم فى رمضان، ومع كثرة الحجيج وضيق المكان فإن توزيع الرمى على مدى أربع وعشرين ساعة هو الحل الصحيح منعاً لهلاك الأنفس وحرصاً على التيسير الذى هو من خصائص التشريع الإسلامى..

* * *

(١) سورة البقرة : الآية (٢٠٣) .

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

المحتوى	الصفحة

الفهـــرس

الفهـــرس

المحتوى	الصفحة

الفهـــرس

المحتوى	الصفحة

الفهــرس

من مؤلفات
الأستاذ الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير
بشركة نهضة مصر

١ – قضايا الفكر الإسلامى المعاصر.

٢ – منهج الفرقان فى علوم القرآن جـ ١ «تحقيق».

٣ – منهج الفرقان فى علوم القرآن جـ ٢ «تحقيق».

٤ – العبادات فى الإسلام «بحوث وفتاوى».

٥ – زلزال الحادى عشر من سبتمبر وتوابعه الفكرية.


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨
www.nahdetmisr.com

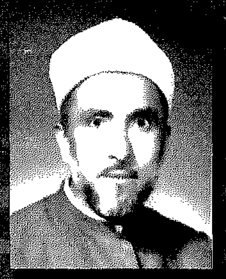


العبادات
فى الإسلام
"بحوث وفتاوى"

هذا الكتاب
يتوخى مقاصد الشريعة.
ويحرص على بيان حكمة التشريع.
ويقدم أهم المسائل الفقهية من خلال النصوص الشرعية.
ويهتم بالآراء الفقهية الميسرة.
ويبرز الأحكام التى تلبى حاجة الناس وسلوكيات البشر فى:

- الطهارة والصلاة.
- الزكاة والأموال.
- الصيام وآدابه.
- الحج والعمرة.

الناشر



أ. د/ محمد سيد أحمد المسير

- أستاذ العقيدة والفلسفة فى كلية أصول الدين - جامعة الأزهر.
- عمل أستاذا مشاركا ورئيسا لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية فى كلية التربية - جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة. ١٩٨٣ - ١٩٨٧م.
- أعير أستاذا للعقيدة والأديان فى كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٩٩٣ - ١٩٩٨م.
- شارك فى المؤتمرات العالمية فى كل من: (القاهرة - مكة المكرمة - مسقط - الكويت - بغداد - أبو ظبى - طهران - موسكو).
- له أربعون كتابا فى ... والفلسفة والأديان و... الإسلامية.



www.nahdetmisr.com